

عُيُونُ الْأَخْبَارِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

الجزء الثالث

كتاب الإخوان - كتاب الحوائج - كتاب الطعام

شرحه وعلق عليه

الدكتور مفيد محمد قميحة

أستاذ الأدب العربي بالجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ١١/٩٤٢٤ تلکس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوان

الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدَّثنا سَهْل بن محمد قال: حدَّثنا الأصمعيّ قال: أخبرنا العِجْلِيّ قال: بعضُ الأدباء لابنه: يا بُنَيَّ، إذا دخلتَ المصرَ فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا يَهْمَنَّكَ؛ وإياكَ والخُطْبَ فإنها مَشْوَارٌ^(١) كثيرُ العِثَارِ^(٢).

قال: وبلغني عن الأوزاعي^(٣) عن يحيى بن كثير: أن داود النبي عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام: يا بُنَيَّ، لا تَسْتَبْدِلَنَّ بأخٍ لك قديمٌ أخاً مُستَفاداً ما أَسْتَقَامَ لك، ولا تَسْتَقِلَّنَّ أن يكون لك عدوٌ واحدٌ، ولا تَسْتَكْثِرَنَّ أن يكون لك ألفُ صديق.

وكان يقال: أعجزُ الناس مَنْ فرطَ في طلب الإخوان، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ به منهم.

وفي الحديث المرفوع: «المرءُ كثيرٌ بأخيه». وأنشد ابن الأعرابي^(٤):

(١) المَشْوَار: الشوط.

(٢) العِثَار: السقوط والزلل.

(٣) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيسروت وتوفي بها سنة ١٥٧ هـ.

(٤) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد، أبو عبد الله، راوية علامة باللغة والأنساب، عالم بالشعر والأدب مات بسامراء سنة ٢٣١ هـ له عدة مصنفات، منها أسماء الخيل وفرسانها، والنوادر، وتاريخ القبائل.

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن إخوان الثقات الذخائر
وقال أبو الجراح العقيلي: وجدت أعراض الدنيا^(١) وذخائرها بعرض
المتالف^(٢) إلا ذخيرة الأدب وعقيلة الخلّة، فاستكثروا من الإخوان واستعصموا
بُعرا الادب.

وكان يقال: الرجل بلا إخوان كاليمين بلا شمال. وقال الشاعر:

[من طويل]

إذا لم يكن للقوم عز ولم يكن لهم رجل عند الإمام مكين
فكانوا كأيدي أو هن الله بطشها ترى أشملاً ليست لهن يمين
قال أيوب السخيتاني: إذا بلغني موت أخ لي فكأنما سقط عضو مني.
وقال القطامي^(٣): [من الكامل]

وإذا يصيبك - والحوادث جمّة - حدث حدّك إلى أخيك الأوثق^(٤)
وقال آخر^(٥): [من الطويل]

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح^(٦)
وإن ابن عم المرء فأعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

(١) أعراض الدنيا: أي متاعها، وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها عين.

(٢) المتالف: البلاء والفناء.

(٣) القطامي: هو عمير بن شبيب من بني تغلب، وكان حسن التشبيب رفيقه وله مدائح وأصابع كثيرة.

(٤) جمّة: كثيرة، وحداك: ساقل.

(٥) هو مسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر من بني دارم، ولقب مسكيناً فقال.

وسميت مسكيناً وكانت لجاجة وإنني لمسكين إلى الله راغب

(٦) أخاك أخاك: منصوبة على فعل مضمر تقدير إلزم.

وقال الثَّقَفِيُّ ^(١) :

من كان ذا عَصْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصْدُ
تَنْبُويدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنَفُ الضَّيْمِ إِنَّ أَثَرِي لَهُ عَدْدُ ^(٢)

وقال آخر :

وَبَغْضَاءِ الثَّقِيِّ أَقْلٌ ضَيْرًا وَأَسْلَمَ مِنْ مَوْدَةِ ذِي الْفُسُوقِ ^(٣)
وَلَنْ تَنْفَكَ تُحَسِّدُ أَوْ تُعَادِي فَأَكْثَرَ مَا أَسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ

وكتب الفضل بن سَيَّارٍ إِلَى الفضل بن سَهْلٍ ^(٤) :

يَا أَبَا الْعَبَّاسِ إِنِّي نَاصِحٌ لَكَ وَالنَّصْحُ لَذِي الْوَدِّ كَبِيرُ
لَا تُعِدَّنْ لِيَوْمٍ صَالِحٍ إِنَّ إِخْوَانَكَ فِي الْخَيْرِ كَثِيرُ
وَلْيَكُنْ لِلشَّرِّ مَا أَعَدَدْتَهُمْ إِنَّ يَوْمَ الشَّرِّ صَعْبٌ قَمَطَرِيرُ ^(٥)
هَذِهِ السُّوقُ الَّتِي أَمْلُهَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ وَالْعَمْرُ قَصِيرُ

قال المأمون : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُسْتَغْنَى عَنْهُ ،
وطبقة كالدواء لا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا أحيانًا ، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدًا .

قال حَذَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ سَعِيدِ
ابن طَرِيفٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ الْمَأْمُونِ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ : مَنْ أَدَامَ
الْإِخْلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ ثَمَانِي خِصَالٍ : آيَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَأَخَا مُسْتَفَادٌ ،

(١) الثَّقَفِيُّ هُوَ : عمرو بن حبيب أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية : أسلم سنة ٩ هـ . وروى
عدة أحاديث . توفي بإذربيجان .

(٢) تَنْبُويدُهُ : أي شُكْلٌ وتضعف ، وقيل نَبَا السيف : إذا لم يعمل في الضَّرْبَةِ .

(٣) الضير : من الضرر .

(٤) الفضل بن سهل : السرخسي هُوَ وزير المأمون وصاحب تدبيره . كان مجوسياً وأسلم . ولي
الوزارة وقيادة الجيش ولقب بذي الرياستين .

(٥) قَمَطَرِيرُ : شديد .

وعِلْماً مُسْتَطَرَفاً، وَرَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، وَكَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هَدًى أَوْ تَرَدُّعُهُ عَنْ رَدًى، وَتَرْكَ الذُّنُوبِ حَيَاءً أَوْ خَشْيَةً.

قال وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: كان يقال: الصاحب رُقْعَةٌ فِي قَمِيصِ الرَّجُلِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ بِمَ يَرْقَعُ قَمِيصَهُ.

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه أنه قال: كان يقال: ما وجدنا شيئاً أبلغ في خير أو شرٍّ من صاحب.

وحدثني الرياشي عن الأصمعي قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال: قال يونس^(١): أَثْنَانُ مَا فِي الْأَرْضِ أَقْلُ مِنْهُمَا وَلَا يَزْدَادَانِ إِلَّا قِلَّةً: دَرَهْمٌ يَوْضَعُ فِي حَقٍّ^(٢)، وَأَخٌ يُسَكِّنُ إِلَيْهِ فِي اللَّهِ.

وحدثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَازِرٍ عن سفيان بن عُيينة^(٣) قال: قال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه: يَا بَنِيَّ، إِذَا نَزَعْتَكَ^(٤) إِلَى صَحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةً، فَاصْحَبْ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَجِبَهُ زَانِكٌ، وَإِنْ خَدِمْتَهُ صَانِكٌ، وَإِنْ أَصَابَتْكَ خَصَاصَةٌ مَانِكٌ^(٥)؛ وَإِنْ قُلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ، وَإِنْ صُلْتَ شَدَّ صَوْلُكَ^(٦)؛ وَإِنْ مَدَدْتَ يَدَكَ بِفَضْلٍ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا؛ وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهُ أَبْتَدَاكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكَ إِحْدَى الْمَلِمَاتِ آسَاكَ؛ مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ

(١) يونس: هو ابن حبيب الضبي أبو عبد الرحمن. يعرف بالنحوي علامة بالأدب كان إمام نحاة البصرة أخذ منه الكسائي والفراء.

(٢) الحق: الطريق الصحيحة.

(٣) سفيان بن عيينة: بن ميمون الهلالي الكوفي: أبو محمد من الوالي. كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز له الجامع. في الحديث.

(٤) نزعتك: أغرتك.

(٥) الخصاصة: الفقر، ومانك: أي أنعم عليك.

(٦) الصول: الوثوب.

البوائق^(١)، ولا تَخْتَلِفْ عَلَيْكَ مِنْهُ الطَّرَائِقُ، وَلَا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ؛ وَإِنْ حَاولَ حَوِيلًا آمَرَكَ^(٢)، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا مُنْفَسًا^(٣) أَثْرَكَ.

قال محمد بن كعب القُرَظِيُّ لعمر بن عبد العزيز: إِنْ فِيكَ عَقْلًا وَإِنْ فِيكَ جَهْلًا، فَذَاوِ بَعْضَ مَا فِيكَ بِبَعْضٍ، وَأَخِرْ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ ذَا مَعْلَاةٍ^(٤) فِي الدِّينِ وَنِيَّةٍ فِي الْحَقِّ، وَلَا تُؤَاخِرْ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مِثْلُكَ عِنْدَهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ مِنْكَ ذَهَبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. وَإِذَا غَرَسْتَ غِرَاسًا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَلَا تَبْقَيْنَ^(٥) أَنْ تَحْسُنَ تَرْبِيَتَهُ.

وقال الأحنف بن قيس^(٦): خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي الْمَوَدَّةِ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا، وَإِنْ عَثَرْتَ عَصَدَكَ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى مَوْوِنَتِهِ رَفَدَكَ. وقال الشاعر:

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ لَنْ يَدْعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ^(٧) شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
وَإِنْ رَأَى ظَالِمًا سَعَى مَعَكَ

(١) البوائق: الدواهي.

(٢) آمرك: شاورك.

(٣) منفساً: من النفيس، وأثرك: أي فضلك على نفسه.

(٤) المعلاة: العلو والشرف.

(٥) فلا تبقيين: أي فلا تنتظرن، وبقي الشيء بقيه بقيا: انتظره ورصده.

(٦) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي، سيد تميم. أحد العظماء الدهاة الفصحاء، ولد في البصرة. وأدرك النبي ﷺ ولم يره. شهد الفتوح في خراسان وشهد صفين مع علي توفي في الكوفي.

(٧) صدع: فرق وباعد.

وقال حُجَيَّةُ بن المَضْرَب^(١): [من الطويل]
 أَخَوُكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لُمْلِمَةً يُجِيكَ وَإِنْ تَغْضَبُ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ
 وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: أَنْتَ كَمَا قَالَ أَعْشَى بَاهِلَةً^(٢): [من
 البسيط]

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ فُيْضِدَهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ^(٣)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرُ^(٤)
 وقال عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: [من الطويل]
 أَخَوُكَ الَّذِي إِنْ أَحْوَجَتْكَ مُلْمَةٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَبْرَحْ لَهَا الدَّهْرُ وَاجِمًا^(٥)
 وَلَيْسَ أَخَوُكَ الْحَقُّ مَنْ إِنْ تَشَعَّبَتْ عَلَيْكَ أُمُورٌ ظَلَّ يَلْحَاكَ لَائِمًا^(٦)

وقال آخر: [من الطويل]
 إِذَا كَانَ إِخْوَانُ الرِّجَالِ حَرَارَةً فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحُلُوُّ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
 لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مَرْكَبُهُ صَعْبُ^(٧)
 وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرُّطْبُ^(٨)
 وقال آخر: [من البسيط]
 أَبِيكِي أَخَا يَتَلَقَّانِي بِنَائِلِهِ قَبْلَ السَّوَالِ وَيَلْقَى السَّيْفَ مِنْ دُونِي^(٩)

(١) حُجَيَّةُ بن المَضْرَب الكندي. أبو حوط. شاعر جاهلي من نصارى كنده أدرك الإسلام.

(٢) أعشى باهلة: هو عامر بن الحارث بن رياح الباهلي شاعر جاهلي ويكنى أبا قحطان.

(٣) الكدر: ضد الصقو.

(٤) يأسرته: من اليسر.

(٥) الواجم: الشديد الحزن.

(٦) يلحاك: يلومك ويعاديك.

(٧) الدميث: السهل اللين.

(٨) الهزة: النشاط والارتياح والبارح.

(٩) النائل: العطاء والمعروف، ويلقى السيف من دوتي: أي يذبه عني ويدفعه.

إِنَّ الْمَنِيَا أَصَابَتْنِي مَصَائِبُهَا فَاسْتَعْجَلْتُ بِأَخٍ قَدْ كَانَ يَكْفِينِي
وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: رَأْسُ الْمَوَدَّةِ الْإِسْتِرْسَالُ^(١).

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي^(٢): مَنْ تَرَ أَخِي تَأَلَّفَ^(٣)، وَمَنْ تَشَدَّدَ نَفَرٌ، وَالشَّرَفُ
التَّغَافُلُ. وَقَالَ حَاتَمٌ: الْعَاقِلُ فَطِنٌ مُتَغَافِلٌ.

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: مِنْ عَلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لَصَدِيقٍ صَدِيقَهُ
صَدِيقًا وَلَعَدُوٍّ صَدِيقَهُ عَدُوًّا. قَالَ الْعَتَابِيُّ فِي ذَلِكَ^(٤): [مِنْ الطَّوِيلِ]

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّني صَدِيقُكَ، إِنَّ الرَّأْيَ عَنْكَ لِعَازِبٌ^(٥)
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني رَأْيَ عَيْنِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ صَدَّقْتَهُ الْمَغَافِبُ^(٦)
قِيلَ لِبُزْرِجَمَهْرٍ: أَخُوكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ صَدِيقُكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي
إِذَا كَانَ صَدِيقًا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ أَحَبَّ إِخْوَانِي إِلَيَّ، مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عَلَيَّ.

وَقَالَ رَجُلٌ فِي أَخٍ لَهُ: [مِنْ الْوَافِرِ]

وَكُنْتُ إِذَا الشَّدَائِدُ أَرْهَقْتَنِي يَقُومُ لَهَا وَأَقْعُدُ لَا أَقُومُ

(١) الْإِسْتِرْسَالُ: الْإِسْتِثْنَاءُ وَالْحُبُورُ.

(٢) أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي بْنِ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ التَّمِيمِيِّ حَكِيمِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ
الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ الْمَعِيُّ بِالْأَيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

(٣) تَأَلَّفَ: مِنَ الْإِلَافَةِ، أَيِ كَثِيرِ الْإِلَافَةِ وَصَحْبِهِ.

(٤) الْعَتَابِيُّ: هُوَ كُلْثُومُ بْنُ عَمْرِ بْنِ أَبِيوبِ التَّغْلِبِيِّ، مِنْ بَنِي عَتَابِ بْنِ سَعْدٍ كَاتِبٍ، حَسَنُ التَّرْسُلِ،
وَشَاعِرٌ مَجِيدٌ، سَكَنَ بَغْدَادَ وَمَدَحَ الرَّشِيدَ وَاخْتَصَّ بِالرَّامِكَةِ.

(٥) عَازِبٌ: مُفَارِقٌ وَمُبْتَعَدٌ.

(٦) أَيُّ أَنَّ الْأَخَ مِنْ يَحْفَظُ أَخَاهُ فِي غِيَابِهِ وَلَيْسَ فِي حُضُورِهِ.

وقال آخر:

[المتقارب]

أخ طالما سَرَّني ذكرُهُ فأصبحتُ أشجى لَدَى ذكرِهِ^(١)
 وقد كنتُ أغدُو إلى قصره فأصبحتُ أغدُو إلى قبره
 وكنتُ أراني غنيًّا به عن الناس لو مُدَّ في عُمره
 إذا جئته طالباً حاجةً فأمرِي يَجُوزُ على أمرِهِ^(٢)

وصف أعرابي رجلاً قال: كان والله يَتَحَسَّى مرارة الإخوانِ وَيَسْقِيهِمْ

عَذْبُهُ. وقال أعرابي^(٣): [من الوافر]

أخ لك ما تراه الدَّهرَ إلَّا على العِلَّاتِ بَسَماً جَوَادًا^(٤)
 سألناه الجزيلَ فما تَلَكَّا وأعطى فوق مُنْبِتِنَا وزادًا^(٥)
 فأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدنَا فأحسنَ ثم عدتْ له فعادا
 مراراً لا أعودُ إليه إلَّا تبسّم ضاحكاً وثنى الوَسَادَا^(٦)

المودة بالتشاكل^(٧)

بلغني عن ابن عُيينة أنه قال: قال ابن عباس: القِرابَةُ تُقَطِّعُ والمعروفُ يُكْفِرُ، ولم يُرَ كَتَقَارُبِ القلوبِ.

(١) أشجى: أحزن.

(٢) يجوز: يتقدم.

(٣) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢) طبع بولاق.

(٤) على العِلَّات: هو من قولهم: على علَّته: أي على كلِّ حال.

(٥) تَلَكَّا: أي تَلَكَّا واعتذر وقصّر.

(٦) وثنى الوَسَاد: أي طواه ليرفع ما تحته.

(٧) التشاكل: التقارب والتشابه.

قال رجل للعرجي^(١): جئتكَ أخطبُ إليك مودَّتَكَ؛ فقال: لا حاجة بك إلى الخطبة، قد جاءتك زناً فهو الذُّ وأحلى. وقال الكميت بن معروف^(٢): [من الطويل]

وما أنا بالنكسِ الدنيء ولا الذي إذا صدَّ عنه ذو المودةِ يقربُ^(٣)
ولكنه إن دام دمتُ وإن يكن له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ^(٤)
ألا إن خيرَ الودِّ ودُّ تطوَعْتُ به النفسُ لا ودُّ أتى وهو متعبُ

[وقال الطائي^(٥):
[من البسيط]

ذو الودِّ مني وذو القربى بمنزلةٍ وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عصاةٌ جاوزتْ آدابهم أدبي فهم وإن فُرقوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وعدتُ أبداننا بِشامٍ أو خراسانِ

وقال عبدُ الله بنُ عبدِ الله بن عتبةَ لعمر بن عبد العزيز: [من الطويل]

أبْنِ لي فكنُ مثلي أو آتبعِ صاحباً كمثلك إنِّي مُبتَغٍ صاحباً مثلي
عزيزُ إخواني، لا ينالُ مودَّتي من القومِ إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
وما يلبثُ الإخوانُ أن يتفرَّقوا إذا لم يُؤلفْ رُوحُ شكلٍ إلى شكلِ

(١) العرجي: هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه، شاعر مجيد.

(٢) الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن نوفل الأسدي من بني جحوان بن فقعس شاعر مخضرم.

(٣) النكس: هو الرديء الذي لا يرتجى منه خير.

(٤) مذهب: : رحيل وفراق.

(٥) الطائي: هو أبو تمام الشاعر.

وقال الطائي :

[من الطويل]

ولن تنظّم العقدَ الكعابُ لزينةٍ كما ينظّمُ الشملُ الشَّيْتِ الشَّمالُ^(١)
كتب بعضُ الكتّابِ إلى صديق له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فأنا
غيرُ محمودٍ على الانقياد لك بغيرِ زمامٍ^(٢) ، لأن النفسَ يتبعُ بعضها بعضاً .

قال حدّثني محمد بن داود قال حدّثنا يزيد بن خَلَف عن يعقوب بن
كعب عن بَقِيَّة عن صَفْوَانَ بن عمرو عن شُريح عن أبي عُبَيْدٍ قال : كتب أبو
الدُّرداء إلى سَلْمَانَ^(٣) : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيدةً فإنَّ الرُّوحَ من الرُّوحِ
قريبٌ ، وطيرُ السماءِ على إلفه من الأرضِ يَقَعُ .

وقال أبو العتاهية :

[من الهزج]

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ	إذا ما هوَ ما شاءُ
وللقلبِ على القلبِ	دليلٌ حين يلقاهُ
وللشَّكلِ على الشَّكلِ	مقاييسُ وأشباهُ
وفي العينِ غنىٌ للعينِ	حي أن تنطقَ أفواهُ

وقال المُساحِقِي :

[من الطويل]

يُزَهِّدُنِي فِي وَدَّكَ أَبَنَ مُسَاحِقِي مَوَدَّتِكَ الْأَرْدَالَ دُونَ ذَوِي الْفَضْلِ
وَأَنْ شِرَارَ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُم زِمَانَكَ ، إِنَّ الرَّدْلَ لِلزَّمَنِ الرَّدْلِ

(١) الكعاب : الفتاة الناهد .

(٢) الزمام : ما يقاد به من حبلٍ وخيط .

(٣) سلمان : يعني سلمان الفارسي أحد الصحابة .

باب المحبة

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيد عن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معد يكرّب^(١)، وكان أدرك النبي ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبّه».

وحدثني محمد بن داود عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد^(٢) قال: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تبدّاه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوّه بأحب أسمائه إليه. وثلاث من العي^(٣): أن تعيب على الناس ما تأتي، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك، وأن تؤذي جليسك فيما لا يعينك.

وكان يقال: لا يكن حُبك كلفاً ولا بُغضك تلفاً. أي لا تُسرف في حبك وبُغضك. ونحوه قول الحسن: أجبوا هوناً^(٤) فإن أقواماً أفرطوا في حُب قوم فهلكوا. وكان يقال: مَنْ وجد دون أخيه سترًا فلا يهتكه.

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لطلحة الأسدي: قتلت عكاشة بن محصن! لا يُحبك قلبي! قال: فمعاشرة جميلة يا أمير المؤمنين، فإن الناس يتعاشرون على البغضاء.

(١) المقدم بن معد يكرّب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرّب بن سيار، أبو كريمة الكندي، صاحب.

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج النمكي، تابعي، مفسّر من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس.

(٣) العي: الجهل.

(٤) الهون: السكينة والوقار.

وكتب رجل إلى صديق له: الشوق إليك وإلى عهد أيامك - التي حَسُنَتْ بِكَ كأنها أعيادٌ، وقَصُرَتْ بِكَ حتى كأنها ساعاتٌ - يفوت الصفات؛ ومما جَدَّدَ الشوق وكَثَّرَ دواعِيَه تصاقُبُ الدار، وقربُ الجوار؛ تتمُّ الله لنا النعمة المتجددة فيك بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها.

قال الحسن^(١): المؤمن لا يحيف^(٢) على من يُغَضُّ ولا يَأْثُمُ فيمن يُحِبُّ.

وقرأت في بعض الكتب: إنه لَيُلْغُ من حُسْنِ شفاعَةِ المحبة أنَّ الحبيبَ يُسِيءُ قِيْظُنْ به الغَلَطُ ويَذْنُبُ فيُحْتَجُّ له بالدَّالَّةِ^(٣)، وذنبُه لا يَحْتَمِلُ التأويلَ ولا مَخْرَجَ له في جواز العقول.

وفيه: كُلُّ ذَنْبٍ إِذَا شَتَّ أَنْ تَنْسَاهُ نَسِيَّتَهُ وَإِنْ شَتَّ أَنْ تَذْكُرَهُ ذِكْرَتَهُ، فليس بمخوفٍ. وليس الصغيرُ من الذنب ما صَغُرَ الحَبُّ، وإنما الصغيرُ ما صَغُرَ العدلُ. وليس الذنبُ إلا ما لا يَصْلُحُ معه القلبُ ولا يزال حاضراً الدهرَ، وإلا ما كان من نتاج اللؤمِ ومن نصيب المعاندة، فأما ما كان من غير ذلك فَإِنَّ الْغَفْرَانَ يَتَغَمَّدُهُ وَالْحَرَمَةَ تَشْفَعُ فِيهِ.

وكتب رجل إلى صديق له في فصل من كتاب: لساني رَطْبٌ بذكرك، ومكانك من قلبي معموزٌ بمحبتك. ونحوه قولُ مَعْقِلِ أَخِي أَبِي دُلْفٍ لِمُخَارِقٍ:

(١) الحسن: هو الحسن البصري أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وهو أحد العلماء الفقهاء والفصحاء، شَبَّ في كنف علي بن أبي طالب توفي بالبصرة.

(٢) يحيف: يجور ويظلم.

(٣) الدالة: الحظوة والأمل.

[من الطويل]

لَعَمْرِي لئن قَرَرْتُ بِقُرْبِكَ أَعَيْنُ لقد سَخَنْتُ بِالْبَيْنِ مِنْكَ عَيُونُ^(١)
 فَسِرْ وَأَقِمْ، وَقَفُّ عَلَيْكَ مُودَّتِي مَكَائُنُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
 وقال رجل لَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ: وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: وما يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ وما
 أَنْتَ لِي بِجَارٍ وَلَا أَخٍ وَلَا قَرَابَةَ^(٢)! يريد أن الحسد موْكُلٌ بِالْأَدْنَى فَلَا أَدْنَى.

قال رجل لَشَهْرٍ بْنِ حَوْشِبٍ^(٣)؛ إِنِّي لِأُحِبُّكَ قَالَ: وَلِمَ لَا تَحْبِنِي وَأَنَا
 أَخُوكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَوَزِيرُكَ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَمُؤْنَتِي عَلَى غَيْرِكَ! قَالَ بَشَارُ:

[من البسيط]

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَنْزِلَةً تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي
 وقال غيره:

[متقارب]

أُحِبُّكَ حُبِّينِ لِي وَاحِدٌ وَحُبٌّ لَأَنَّكَ أَهْلٌ لَذَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَحُسْنُ فَضْلَتَ بِهِ مَنْ سِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي فِي ضَمِيرِ الْحَشَا فَلَسْتُ أَرَى الْحَسْنَ حَتَّى أَرَاكَ
 وَلَيْسَ لِي الْمَنْ فِي وَاحِدٍ وَلَكِنْ لَكَ الْمَنْ فِي ذَا وَذَاكَ

وقال المَسِيبُ بْنُ عَلَسٍ^(٤):
 وَعَيْنُ السَّخَطِ تُبْصِرُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى

[من الوافر]

- (١) سَخَنْتُ: تَأَلَّمْتُ مِنَ الْبُكَاءِ
 (٢) وَلَا قَرَابَةَ: أَيِ وَلَا يَذِي قَرَابَةَ.
 (٣) شَهْرُ بْنُ حَوْشِبِ الْأَشْعَرِيِّ فقيه قَارِئٍ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ شَامِي الْأَصْلِ. سَكَنَ الْعِرَاقَ. وَكَانَ
 يَتَزَيَّأُ بِزِي الْجَنْدِ. وَيَسْمَعُ الْغَنَاءَ بِالْأَلَاتِ وَكَانَ ظَرِيفاً.
 (٤) الْمَسِيبُ بْنُ عَلَسٍ: هُوَ مِنْ شُعْرَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، مِنْ جَمَاعَةِ، وَهُمْ مِنْ بَنِي ضَبْيَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
 نَزَارٍ، يَكْنَى أَبُو الْفَضَّةِ وَهُوَ خَالَ الْأَعَشَى.

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر: [من الطويل]

فلست براء عيب ذي الودّ كلّهُ ولا بغض ما فيه إذا كنت راضياً
وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلهُ ولكنّ عين السخطِ تُبدي المساوياً^(١)
وقال بعضُ الخلفاء لرجل: إني لأبغضُكَ؛ قال: يا أمير المؤمنين، إنما
يجزُعُ من فقد الحبِّ المرأةُ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ. وقال شريح^(٢): [من
الطويل]

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب^(٣)
فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصدر والأذى إذا اجتمعاً لم يلبث الحبُّ يذهبُ
وقال أعرابيٌّ: إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع، ولا
يظهر الودّ السليم إلا من القلب المستقيم.
وقال آخر: من جمع لك مع المودة الصادقة رأياً حازماً، فأجمع له مع
المحبة الخالصة طاعة لازمة.

قال اليزيدي: رأيتُ الخليل بن أحمد فوجدته قاعداً على طُنْفَسَةٍ^(٤)،
فأوسع لي فكرهتُ التضييقَ عليه؛ فقال: إنه لا يضيق سَمُ الخياط^(٥) على
متحابين ولا تسع الدنيا مُتباغِضين. وقال أبو رُبيد^(٦) للوليد بن عقبة:

-
- (١) كليله: مغضبة.
(٢) شريح: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، عمرٌ طويلاً.
(٣) السورة: حدة الغضب.
(٤) الطنفسة: البساط الذي له حمل رقيق.
(٥) سَمُ الخياط: الثقب، ومنه قوله تعالى: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾.
(٦) أبو ربيد: هو المنذر بن حرمله الطائي كان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ومات نصرانياً وكان من المعمرين ونديماً للوليد بن عقبة.

[من الخفيف]

مَنْ يَخْنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ أَوْ يَزُولُ مِثْلَمَا تَزُولُ الظَّلَالُ
فَاعْلَمْ أَنَّي أَخُوكَ أَخُو الْعَهْدِ بِحَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بَخْلٍ عَلَيْكَ مِنِّي بِمَالٍ أَبَدًا مَا اسْتَقْلَّ سَيْفًا حِمَالُ^(١)
فَلَكَ النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَفِّ فَإِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ^(٢)
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرِّجَالُ غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِلْمَنَايَا أَحْتِيَالُ

وقال المنخلُ الشكري^(٣): [من مجزوء الكامل المرفل]

وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

وذكر أعرابي رجلاً فقال: واللّه لكأنّ القلوب والألسن رِيضَتْ^(٤) له، فما
تُعقدُ إلا على وَدّه، ولا تنطقُ إلا بحمده

قال عبد الله بن الزبير ذات يوم: واللّه لو ددتُ أن لي بكلّ عشرة من أهل
العراق رجلاً من أهل الشام صَرَفَ الدينار بالدرهم؛ فقال أبو حاضِرٍ: مثُلنا
ومثُلُك كما قال الأعشى:

[من البسيط]

عُلِّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(٥)

أَحَبُّكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ عَبْدُ الْمَلِكِ
أَبْنُ مَرْوَانَ.

(١) الحِمَال: من حمائل السيف: أي ما يعلّق به السيف.

(٢) مصال: من الصّول، وهو الوثوب.

(٣) المنخل الشكري: هو المنخل بن عُبيد بن عامر من بني يشكر، وهو قديم جاهلي، وأنهم
بالمجنّدة امرأة النعمان، له حكاية مع النابغة الذبياني.

(٤) رِيضت له: أي انقادت.

(٥) عَرَضًا: حبًّا غير ثابت.

وقال عمرُ لأبي مريم السُّلُولي: والله لا أُحِبُّكَ حتى تُحِبَّ الأرضُ الذَّم؛ قال: فَتَمْنَعُنِي لذلكَ حقًّا؟ قال: لا؛ قال: فلا ضَيْرَ. وقال عمرُ أيضاً لرجلٍ همُّ بطلاقِ امرأته: لِمَ تُطَلِّقُهَا؟ قال: لا أُحِبُّهَا؛ قال: أو كُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبِّ! وأين الرعايَةُ^(١) والتذمُّمُ!.

قال أعرابيٌّ: [من الطويل]

أُحِبُّكَ حُبًّا بِبَعْضِهِ أَصَابِكَ مِنْ وَجَدٍ عَلَيَّ جُنُونٌ^(٢)
لَطِيفٌ مَعَ الْأَحْشَاءِ أَمَّا نَهَارُهُ فَسَبَبْتُ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَنِينٌ^(٣)

وكتب رجلٌ إلى صديق له: اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي أُحِبُّكَ لِنَفْسِكَ فَوْقَ مُحِبَّتِي إِيَّاكَ لِنَفْسِي، وَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِي وَعَلَيْكَ وَالْآخَرُ لَكَ وَعَلَيَّ، لَأَثَرْتُ الْمَرْوَةَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوَّةَ بِإِثَارِ حَظِّكَ عَلَيَّ حَقِّي؛ وَإِنِّي أُحِبُّ وَأُبْغِضُ لَكَ، وَأُوَالِي وَأُعَادِي فِيكَ.

وقال بعضهم: هَوْنٌ^(٤) فَقَدْ يُفْرِطُ^(٥) الْحُبُّ فَيَقْتُلُ وَيُفْرِطُ الْغَمُّ فَيَقْتُلُ وَيُفْرِطُ السُّرُورُ فَيَقْتُلُ؛ وَيَنْفَتَحُ الْقَلْبُ لِلسُّرُورِ، وَيَضِيقُ وَيَنْضَمُّ لِلْحُزَنِ وَالْحُبِّ.

وقالوا: الْعِشْقُ آسَمٌ لِمَا فَضَّلَ عَنِ الْمَحَبَّةِ. وقال بعضهم: الْعِشْقُ مَرَضٌ قَلْبٍ ضَعْفٌ. وقال بعضُ الشعراء^(٦): [من الطويل]

فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا إِلَيْهِ بَلَاءُ السَّوْءِ إِلَّا تَحِبُّبًا^(٧)

(١) التذمُّمُ: أي حفظ النفس من الذَّم.

(٢) الوجد: الحزن الشديد. (٣) السبت: السكون والراحة.

(٤) هَوْنٌ: أرفق. (٥) يفرط: يكثر ويزداد ويخرج عن الحد.

(٦) هو الأعشى ميمون بن قيس. (٧) تمَّ: أجهز وأكمل.

ما يجب للمصديق على صديقه

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خِصَالٌ سِتٌّ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ^(١)، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَحْضُرُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِبُّ لَهُ مَا يُجِبُّ لِنَفْسِهِ».

قَالَ حَدَّثَنِي شَبَابَةُ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعِنِ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَخُذْ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَخُذْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ».

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمَسِيُّ^(٢) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الطَّبْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جُبَيْرِ بْنِ بُكَيْرٍ قَالَ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: إِذَا آخَيْتَ أَخًا فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُشَارِهِ^(٣) وَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ، فَعَسَى أَنْ تُوَافِقَ عَدُوًّا فَيُخَيِّرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَيُفَرِّقَ بَيْنَكُمَا.

وَقَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوَلِّبٍ^(٤) فِي هَذَا الْمَعْنَى: [من الطويل]
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا حَمْزَةَ بَنَةَ نَوْفَلٍ جَزَاءً مُغِلًّا بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ^(٥)
 بِمَا سَأَلْتُ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا عَلَيَّ وَقَدْ وَالَيْتُهَا فِي النَّوَائِبِ^(٦)

(١) سَمَّيْتُهُ إِذَا عَطَسَ: أَيِ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ وَقَالَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.

(٢) الْقَوْمَسِيُّ: نَسَبُهُ إِلَى قَوْمِ بَكْرِ الْمِيمِ، صَقَعَ كَبِيرٌ بَيْنَ خُرَاسَانَ وَبِلَادِ الْجَبَلِ.

(٣) لَا تُمَارِهِ: أَيِ لَا تَجَادَلْهُ، وَلَا تُشَارِهِ: أَيِ لَا تَلَاَحَهِ وَلَا تَغْضَبِهِ.

(٤) النَّمِرُ بْنُ تَوَلِّبٍ: شَاعِرٌ مَخْضَرٌ، عَاشَ عَمْرًا طَوِيلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ مِنْ ذَوِي الْوَجَاهَةِ وَالنِّعْمَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَشْبَهُ شَعْرَهُ شَعْرُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ.

(٥) الْمَغِلُّ: مِنَ الْإِغْلَالِ، وَهُوَ الْخِيَانَةُ. (٦) النَّوَائِبُ: الْمَصَائِبُ.

قال حدثني محمد بن داود قال حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال قال ابن سيرين^(١): لا تُكْرِمُ أخاك بما يكره، ولا تحمِلَنَّ كتاباً إلى أمير حتى تعلم ما فيه .

وكان يقال: يُستحسنُ الصبرُ عن كلِّ أحدٍ إلا عن الصديق .

وقال بعضُ الشعراء:

إذا ضَيِّقْتَ امرأً ضاقَ جِداً وإن هَوَّنتَ ما قد عَزَّ هاناً
فلا تَهْلِكْ بشيءٍ فاتٍ يأساً فكم أمرٌ تصعَّبَ ثم لانا
سأصبرُ عن رفيقي إن جفاني على كلِّ الأذى إلا الهواناً

وقال ابن المقفَّع: ابذلْ لصديقك دَمَكَ ومالكَ، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومُخَضَّرَكَ، وللعمامةِ بِشْرَكَ وتحيَّتَكَ، ولعدوك عدْلَكَ، وضُنَّ^(٢) بدينك وعِرْضَكَ عن كلِّ أحدٍ .

قال أبو اليقْظان: وليَّ خالدُ بنُ عبد الله بن أبي بَكْرَةَ قضاءَ البصرة فجعل يُحايِبُ^(٣)، فقبل له في ذلك؛ فقال: وما خيرُ رجلٍ لا يَقْطَعُ لأخيه قِطْعَةً من دينه! .

قالوا: وقفَ رسولُ الله ﷺ على عَجُوزٍ، فقال: «إنها كانت تأتينا أيامَ خديجةَ، وإنَّ حسنَ العهدِ من الإيمانِ» .

قال إبراهيمُ النَّخعي^(٤): إنَّ المعرفةَ لتنفَعُ عند الأسدِ الهَصورِ والكلبِ

(١) ابن سيرين: هو محمد بن سيرين البصري . الأنصاري بالولاء، أبو بكر إمام وقته في علوم الدين تابعي من أشراف الكتاب مولده ووفاته بالبصرة .

(٢) الهوان: الذلّ .

(٣) ضنّ: أي ابخل به محافظةً عليه .

(٤) يحايِبُ: يؤثّر ويعطي .

(٥) إبراهيم النخعي: هو أبو عمران النخعي من مذحج، من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً وحفظاً للحديث .

العقور فكيف عند الكريم الحبيب! . وقال الخليل بن أحمد: [من البسيط]
وَفَيْتُ كُلَّ صَدِيقٍ وَدَّني ثَمَنًا إِلَّا الْمُؤَمِّلَ دُولَاتِي وَأَيَّامِي^(١).

وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق: [من الوافر]
وَحُلَّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا سَمِيعًا
أَطَافَ بَغْيَةٍ فَنَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا^(٢)
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جُهْدِي فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وقال بعض الكوفيين: [من الوافر]
فَإِنْ يَشْرَبْ أَبُو فَرْوُخَ أَشْرَبَ وَإِنْ كَانَتْ مُعْتَقَةً عُقَارًا^(٣)
وَإِنْ يَأْكُلْ أَبُو فَرْوُخَ آكَلَ وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا^(٤)

وقال رجل من الأعراب لأخ له: أما والله، رُبَّ يَوْمٍ كَتُنُورِ الطَّاهِي
رَقَاصٍ بِشَارِهِ، قَدْ رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجِ لَهْيِهِ فَأَحْتَمِلُ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ لَمَّا
تُحِبُّ.

وأنشد ابن الأعرابي: [من الوافر]
أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ

وقال كثير^(٥): [من الطويل]
وَمَنْ لَا يُغْمَضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبٌ

(١) المؤمل دولاتي وأيامي: أي الحسود الذي يتأمل تغير الأيام من يسرٍ إلى عسر.

(٢) الغية: الضلال والزانية.

(٣) العقار: الخمر العتيقه.

(٤) الخنانيص: جمع خنوص، وهو ولد الخنزير.

(٥) كثير: هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة، كان رافضياً وهو صاحب عزة التي عرف بها، شاعر مجيد عاصر الدولة الأموية.

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَشْرَةٍ^(١) يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال آخر:

[من الطويل]

إِذَا مَا صَدِيقِي رَأَيْتِي سُوءٌ فَعَلِهِ وَلَمْ يَكْ عَمَّا سَاءَ نِي بِمُفِيقِ

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيئِي مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بغير صديق^(٢)

ومن المشهور في هذا قول النابغة:

[من الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدُبِ^(٣)

وكان يقال: مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلُّهُ. وأنشدني الرياشي: [من مجزوء

الكامل المرفل]

أَقْبَلُ أَخَاكَ بِبَعْضِهِ قَدْ يُقْبَلُ الْمَعْرُوفُ نَزْرًا^(٤)

وَأَقْبَلُ أَخَاكَ فَإِنَّهُ إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرًا

ونحوه قول الآخر:

[من الطويل]

أَخْ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ تَلَوْنُ الْوَنَاءَ عَلَى خُطُوبِهَا

إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةً لَا أَعِيبُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

[منسرح]

أَصْبِرْ إِذَا عَضَّكَ الزَّمَانُ، وَمَنْ أَصْبَرَ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلَةٍ

وَلَا تُهِنْ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوْلِهِ^(٥)

يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَيْكَ كَمَا يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَى جَمَلَةٍ

وَلَسْتُ مُسْتَبْقِيًّا أَخَا لَكَ لَا تَصْفَحُ عَمَّا يَكُونُ مِنْ زَلَّةٍ

(١) العشرة: الزلة والخطأ.

(٢) تربيئي: أي تجعلني أشك فيها.

(٣) لا تلمه: أي تجمعه، والشعث: التفرقة والتصدع والفساد.

(٤) النزر: القليل.

(٥) الخول: العبد.

ليس الفتى بالذي يحول عن الـ عهدٍ ويؤتى الصديق من قبله^(١)
وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر
زلي، ويقبل عليلي^(٢) ويسد خللي^(٣).

وقال بشار:
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربته^(٤)
وقال الخريمي^(٥): لأبي ذلف:
تملك إن كنت ذا إربة من العالمين لشيخ وصيف^(٦)

الإنصاف في المودة

كان يقال: لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له.
وقال جرير:
وإني لأستحيي أخِي أن أرى له علي من الحق الذي لا يرى لي^(٧)
وله أيضاً:
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيّمه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل^(٨)

(١) يحول: يتغير وينقلب.

(٢) العليل: الأعذار.

(٣) والخلل: النقص.

(٤) القذى: ما يقع في الشراب من أذى.

(٥) الخريمي: هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب من العجم وكان مولى ابن خريم الذي يقال لأبيه خريم الناعم، أصيب بالعمى عندما كبر سنه شاعر مجيد.

(٦) كذا ورد بالأصل ولم نوفق إليه في مصدر آخر.

(٧) أستحيي: أنف.

(٨) المعدل: المجيد والتجنب.

سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ، فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

وقال آخر^(١):

[من الكامل]

يَا ضَمْرُ أَخْبِرْنِي وَلَسْتَ بِمُخْبِرِي وَأَخْوَكُ نَافِعُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ إِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمْ وَأَمِيتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا الشَّدَائِدُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً أَشْجَيْنَكُمْ فَأَنَا الْمُحِبُّ الْأَقْرَبُ
عَجَباً لِنَتْلِكَ قَضِيَّةً وَإِقَامَتِي فَيَكُمُ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ
وَلَمَّا لَكُمْ طَيْبُ الْبِلَادِ وَرِعْيُهَا وَلِي الثَّمَادُ وَرَعِيهِنَّ الْمُجْدِبُ^(٢)
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ^(٣)
هَذَا لَعَمْرُكُمْ الصَّغَارُ بَعِينُهُ لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ^(٤)

وقال ابن عُيَيْنَةَ: سئل عليّ كرم الله وجهه عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٥)، فقال: العدلُ: الإنصاف، والإحسان: التفضل.

وقال الشاعر:

[من الكامل]

صَبَعْتُ أُمِّيَّةً فِي الدَّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوْتُ أُمِّيَّةً دُونَنَا دُنْيَاهَا
ويقال: مَنْ سَنَّ سَنَةً فَلْيَرَضْ أَنْ يُحَكَّمَ عَلَيْهِ بِهَا، وَمَنْ سَأَلَ مَسْئَلَةً فَلْيَرَضْ بَأَنْ يُعْطَى بِقَدْرِ بَذَلِهِ.

وقال أبو العتاهية:

[من الوافر]

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَأْتُ إِجَابَةً وَأَسَأْتُ سَمْعاً

(١) جاء في اللسان أنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لَهْنِي بْنِ أَحْمَرَ الْكِنَانِيِّ وَقِيلَ: هِيَ لَزْرَافَةِ الْبَاهِلِيِّ.

(٢) المال: الإبل وغيرها، والثمد: الماء القليل.

(٣) الحيس: التمر والأقط يدقان ويعجنان عجنًا شديدًا ثمَّ تَسْوَى كَالثَرِيدِ.

(٤) الصغار: المذلة، الهوان.

(٥) سورة النحل الآية ٩٠.

وَلَيْتَ الدَّهْرَ مُتْسِعاً بِفَضْلِ إِذَا مَا ضِيقَتْ بِالْإِنْصَافِ ذَرْعَا

وقال حماد عجرد^(١): [مجزوء الرمل]

لَيْتَ شَعْرِي أَيَّ حَكَمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطٍ حِينَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا

وقال آخر: [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ وَيَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرُكُ أَجْمَلُ
وَفِي الْعَيْسِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْهَجْرِ رَاحَةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرْحَلُ^(٢)

وقال بشار: [من السريع]

إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ هَوَاناً فَمَا هُنْتُ وَمَا فِي الْهُونِ لِي مِنْ مُقَامٍ^(٣)
فِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَلِي مَرْحَلٌ عَنْ مَنْزِلِ نَاءٍ وَمَرْعَى وَخَامٍ^(٤)
لَا نَبَائِلُ مِنْكَ وَلَا مَوْعِدٌ وَلَا رَسُولٌ، فَعَلَيْكَ السَّلَامُ

وقال آخر^(٥): [من الوافر]

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حَقُّوفاً عَلَيْهِ لغيره وهو الرسولُ

وقال أكتثم بن صيفي: أَحَقُّ مَنْ يَشْرُكَكَ فِي النَّعَمِ شُرَكَاءُكَ فِي الْمَكَارِهِ.

أخذه دُعْبَلُ^(٦) فقال: [من البسيط]

(١) حماد عجرد: هو حماد بن عمر من أهل الكوفة، وكان معلماً وشاعراً محسناً رُمي بالزندقة.

(٢) العيس: الناقة الكريمة، والمرحل: أي المكان الذي يرتحل إليه.

(٣) الهون: الذل.

(٤) المرعى الوخام: الذي لا ينتجع كلوه لسوئه.

(٥) هو عبد الله بن مصعب الزبيري، ويسمى عائد الكلب، قاله في عبد الله بن حسن بن حسن.

(٦) دُعْبَل: هو دُعْبَل بن علي بن رزين من خزاعة، ويكنى أبا علي شاعر مجيد عاصر الدولة العباسية.

وإنَّ أولى البرايا أن تُواسِيَهُ عند السرور لَمَنْ آسَاكَ في الحَزَن
إنَّ الكرامَ إذا ما أسهلُوا ذَكَرُوا مَنْ كان يألُفُهُم في المنزلِ الحَشيَنِ^(١)

وانشد أبْنُ الأعرابيِّ : [من الطويل]

فإنَّ أثَرَتْ بالوَدِّ أهلَ بلادِها على نازحٍ من أهلها لا ألومُها^(٢)
فلا يَستوي مَنْ لا تَرى غيرَ لَمَّةٍ وَمَنْ هو ثاوٍ عندها لا يَريمُها^(٣)

وقال رجلٌ لبعض السُلطان: أحقُّ الناسِ بالإحسان مَنْ أحسنَ اللهُ إليه،
وأولاهم بالإِنصاف مَنْ بَسِطَتِ القُدرةُ بين يديه؛ فَاسْتَدِمَّ ما أُوتِيَتْ من النعم
بتأدية ما عليك من الحق.

قال المستهِّلُ بنُ الكُمَيْتِ لبني العباس: [من الطويل]

إذا نحن خِفنا في زمانِ عِدوكم وخِفناكمُ إنَّ البلاءَ لَراكِدٌ^(٤)

مدارة الناس وحُسن الخُلُق والجوار

قال حَدَّثنا الحَسينُ بنُ الحسنِ قال حَدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ المبارك عن وَهيب
قال: جاء رجلٌ إلى وَهَب بنِ مِنبَهٍ^(٥) فقال: إنَّ الناسَ قد وقعوا فيما وقعوا فيه،
وقد حَدَّثتُ نفسي ألاَّ أخالطَهُمْ؛ فقال له وَهَبٌ: لا تَفْعَلْ، فإنَّه لا بَدَّ للناسِ
منكَ ولا بَدَّ لك منهم؛ لَهم إِلَيكَ حوائِجٌ، وَلَكَ إِلَيْهِم حوائِجٌ، وَلَكن كُنْ فيهِم
أَصمَّ سَميعاً، وأعمى بصيراً، وَسَكُوتاً نَطُوقاً.

(١) أسهلوا: أصبحوا في حالة من اليسر.

(٢) النازح: البعيد.

(٣) اللَمَّة: المَرَّة من الإلمام أي الزيارة التي يعقبها وقتٌ، ولا يريمها: أي لا يفارقها.

(٤) الرَّاكِد: المقيم.

(٥) هو وَهَب بنِ مِنبَه الصنعاني الذُّماري، أبو عبد الله، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب
القديمة عالم بأساطير الأولين ولا سيَّما الإسرائيليات.

قال وحدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن المبارك^(١) عن موسى بن علي بن رباح قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أربع خلال إن أُعْطِيَتْهُنَّ فلا يضرُّك ما عُدِلَ به عنك من الدنيا: حُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعَفَافُ طُعْمَةٍ^(٢)، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحِفْظُ أَمَانَةٍ.

قال: وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله ابن بآياه قال: قال عبد الله بن مسعود: خَالِطُوا النَّاسَ وَزَايِلُوهُمْ^(٣).

عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال: قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه: إِذَا لَقِيتَ الْمُؤْمِنَ فَخَالِطْهُ، وَإِذَا لَقِيتَ الْفَاجِرَ فَخَالَفْهُ، وَدِينُكَ فَلَا تَكَلِّمْهُ^(٤).

قال المسيح صلى الله عليه: كُنْ وَسْطًا وَآمَسْ جَانِبًا.

وروى أبو معاوية عن الأحمص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال: قال أبو الدرداء: إِنَّا لَنَكْثِرُ^(٥) فِي وَجْهِهِ أَقْوَامَ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنَهُمْ.

ودخل لبدة العجلي على عمر رضي الله عنه، فقال له عمر: أَقْتَلْتَ زَيْدًا؟ فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَتَلْتُ رَجُلًا يَسْمَى زَيْدًا، فَإِنْ يَكُنْ أَخَاكَ فَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِيَدِي وَلَمْ يُهَيِّ بِه؛ ثُمَّ لَمْ يَرَّ مِنْ عَمْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَكْرُوهًا.

قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي: قُلْتُ لِأَبِي: لِمَ تَجْلِسُ إِلَى فَلَانٍ

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي، أبو عبد الرحمن، الخافض شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والأسفار.

(٢) الطعمة: وجه الكسب طيباً أو خبيثاً.

(٣) المزايلة: المفارقة.

(٤) تكلمته: تجرعته.

(٥) التكشير: إظهار الأسنان للضحك.

وقد عرفتَ عداوته؟ فقال: أُخْبِي^(١) ناراً وأقدَحُ عن وُدِّ. وقال المهاجرُ بن عبد الله الكلابي^(٢):
[من الطويل]

وإني لأقصي المرءَ من غيرِ بَغْضَةٍ وأدنى أخا البغضاءِ مِنِّي على عَمْدٍ
ليُحْدِثَ وُدًّا بعدَ بَغْضَاءٍ أو أَرَى له مصرعاً يُرِدِي به اللهُ مَنْ يُرِدِي^(٣)
وقال عِقَالُ بْنُ شَبَّةَ: كُنْتُ رَدِيفَ أَبِي، فَلَقِيهِ جَرِيرٌ عَلَى بَغْلِ فَحَيَّاهُ أَبِي
وَالنُّطْفَةَ؛ فَلَمَّا مَضَى قُلْتُ: أَبْعَدُ مَا قَالَ لَنَا مَا قَالَ! قَالَ: يَا بُنَيَّ، أَفَأَوْسَعُ
جُرْجِي!.

قال ابنُ الحَنْفِيَّةِ: قد يُدْفَعُ باحتمالِ مكروهٍ ما هو أعظمُ منه.
قال الحسنُ: حُسْنُ السُّؤالِ: نصفُ العلمِ، ومُداراةُ الناسِ نصفُ
العقلِ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المؤونة.
مدح ابنُ شِهَابٍ شاعراً فأعطاه، وقال: منِ ابْتَغَى الخيرَ آتَى الشرَّ.
وفي الحديثِ المرفوع: «أَوَّلُ ما يُوضَعُ في المِيزانِ الخَلْقُ الحَسَنُ». .
وقال: «إِنَّ حَسْنَ الخُلُقِ وَحُسْنَ الجِوارِ يُعِمِّرانِ الدِّيارَ، وَيَزِيدانِ في الأعمارِ». .
وقال: «مَنْ حَسَّنَ اللهَ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ كانَ من أَهلِ الجنةِ».

قال الشاعر:

فَتَى إِذَا نَبَّهَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ أبيضُ بَسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ

(١) أُخْبِي ناراً: أي أطفئها.

(٢) هو المهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة والبحرين في خلافة هشام والوليد بن يزيد، كان جميل الصورة وهجاء الفرزدق في شعر له.

(٣) يردي: يميت من الردى.

مُنَوَّكُلِ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَالْأَجْنَبِ^(١)
وَقَرَأَتْ فِي كِتَابِ الْعَجَمِ: حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ،
وَالْتَوَفَّقُ خَيْرُ قَائِدٍ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا تُبَالِي الْمَرْأَةُ إِذَا نَزَلَتْ بَيْنَ بَيْتَيْنِ مِنَ
الْأَنْصَارِ صَالِحِينَ إِلَّا تَنْزَلَ مِنْ أَبْوِئْهَا.
وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ مَثْرَاءٌ
لِلْمَالِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيشٍ أَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا
وَأَصْبَحُهَا وَجُوهًا وَأَشَدُّهَا حَيَاءً، إِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذِبُوكَ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ بِحَقٍّ أَوْ
بَاطِلٍ لَمْ يُكْذِبُوكَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الطَّطَرِيَّةِ^(٢): [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَأَبْيَضَ مِثْلَ السِّيفِ خَادِمَ رُفْقَةٍ أَشْمَ تَرَى سِرْبًا لَهُ قَدْ تَقَدَّدَا^(٣)
كَرِيمٍ عَلَى عِلَاتِهِ لَوْ تَسُبُّهُ لَقَدْ أَكَّ رِسْلًا لَا تَرَاهُ مُرَبَّدَا^(٤)
يُجِيبُ بِلَبِّيهِ إِذَا مَا دَعَوْتَهُ وَيَحْسَبُ مَا يُدْعَى لَهُ الدَّهْرَ أَرْشَدَا^(٥)

وَقَرَأَتْ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: مَنْ تَزَوَّدَ خَمْسًا بَلَغَتْهُ وَآنَسَتْهُ: كَفُّ الْأَذَى،
وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَبِجَانِبِ الرَّيْبِ، وَالنُّبْلُ فِي الْعَمَلِ، وَحُسْنُ الْأَدَبِ.

(١) كَالْأَجْنَبِ: أَيِ الَّذِي يَسِيرُ إِلَى جَنْبِهِ.

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ الطَّطَرِيَّةِ، وَالطَّطَرِيَّةُ أُمُّهُ، وَهِيَ مِنْ طَثْرِ بْنِ عَزْرِينَ وَائِلَ وَقَتْلَتْهُ بَنُو حَنِيفَةَ يَوْمَ الْفُلَجِ فَرِثَتْهُ
أَخْتَهُ بِشَعْرِهَا.

(٣) تَقَدَّدَ: تَقَطَّعَ وَبَلَى.

(٤) عَلَى عِلَاتِهِ: أَيِ عَلَى كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَالرِّسْلُ: التَّمَهُلُ. وَالْمُرَبَّدُ: الْمَتَجَهَّمُ وَجْهًا مِنَ الْغَضَبِ.

(٥) بِلَبِّيهِ: الْأَصْلُ أَنْ تَضَافَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ فَيَقَالُ: لَبَّيْكَ.

وقال المَرَار ^(١) في مداراة القرابة:	[من الطويل]
ألا إِنَّمَا المولى كَعَظْمٍ جَبَرْتَه	فلا يَخْرُقُ المولى ولا جَابِرُ العَظْمِ ^(٢)
وقال آخر في مداراة الناس:	[من الطويل]
وأنزلني طولُ النوى دارَ غُرْبَةٍ	إذا شئتُ لاقيتُ أمراً لا أَشَاكِلُهُ ^(٣)
فحامقته حتى يُقالَ سَجِيَّةٌ	ولو كان ذا عقلٍ لَكنتُ أعاقِلُهُ ^(٤)
وقال بشار:	[من الطويل]
خَلِيلِي إِن العسرَ سوفَ يُفِيقُ	وإنَّ يساراً في غَدٍ لَخَلِيقُ
وما أنا إلا كالزمان إذا صحا	صَحَوْتُ وإن ماقَ الزَّمانُ أموقُ ^(٥)

التلاقي والزيارة

حدَّثنا محمد بن عُبَيْد قال حدَّثنا الفضلُ بن دُكَيْنٍ عن طلحةَ بن عمرَ عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «رُزْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا»^(١).
وقال الأصمعي: دخل حبيبُ بن سُويدٍ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة؛ فقال جعفر: حبيب بن سويد وادُّ الصديق، حَسَنُ الشَّاءِ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُمِلَّةَ، والقَعْدَةَ المُنْسِيَّةَ.
وقرأت في كتاب للهند: ثلاثة أشياء تَزِيدُ في الأُنسِ والثِّقَّةِ: الزِّيَارَةُ في الرَّحْلِ^(٢)، والمؤاكلة، ومعرفة الأهلِ والحَشَمِ.

(١) هو المَرَار بن سعيد الفقعي من بني أسد، وكان يهاجي المساور بن هند، إسلامي كثير الشعر.

(٢) الخرق: الجهل.

(٣) النوى: البعد، وأشاكله: أشابهه.

(٤) السجية: الطبع والخلق.

(٥) الموق.

(٦) أي أن تكون الزيارة فترة بعد فترة بحيث لا تتواصل.

(٧) الرَّحْل: منزل الرجل ومسكنه وبيته.

وقال الطائي: [من الوافر]

وَحَظُّكَ لَقِيَّةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مُوَافِقَةً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصَّوَّاف عن موسى بن يعقوب السَّدُوسِي
عن أبي السَّنان عن عثمان بن أبي سَوْدَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَادَ
مَرِيضاً أَوْ زَارَ أَخاً نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ تَبَوَّاتٌ مِنَ
الْجَنَّةِ مُنْزَلاً».

كتب رجل إلى صديق له: مَثَلُنَا، أَعَزَّكَ اللهُ، فِي قَرَبِ تَجَاوُزِنَا وَبُعْدِ تَزَاوُرِنَا
ما قال الأول: [من المنسرح]

مَا أَقْرَبَ الدَّارَ وَالْجَوَارَ وَمَا أَبْعَدَ مَعِ قُرْبِنَا تَلَاقِنَا
وَكُلُّ غَفْلَةٍ مِنْكَ مُحْتَمَلَةٌ، وَكُلُّ جَفْوَةٍ مَغْفُورَةٌ، لِلشَّغْفِ بِكَ، وَالثَّقَةِ
بِحَسَنِ نِيَّتِكَ، وَسَاخِذَ بِقَوْلِ أَبِي قَيْسٍ^(١):
وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرْنَهَا وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ فَتَعْذُرُ^(٢)

وقال أعرابي: [من الطويل]

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزِّيَارَةِ إِنِّي أَزُورُكُمْ إِذَا لَمْ أَجِدْ مُتَعَلِّلاً
وكتب رجل إلى صديق له يستزيره: طَالَ الْعَهْدُ بِالْاجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا
نَتَنَاقَرُ عِنْدَ التَّلَاقِ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ لِلسَّرُورِ نِظَاماً، وَلِلْأَنْسِ تِمَاماً، وَجَعَلَ
الْمَشَاهِدَ مُوَحِّشَةً إِذَا خَلْتُ مِنْكَ.

وقال سهل بن هارون^(٣): [من الطويل]

(١) أبو قيس: هو أبو قيس بن الأسلت، والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل.
(٢) تعتل: أي تختلق العلل والأعذار.
(٣) سهل بن هارون بن راهبون، أبو عمرو الدستيمساني. كاتب بليغ، حكيم، من واضعي القصص. يلقب «بزر جمهر الإسلام» فارسي الأصل.

وما العيشُ إلا أن تطولَ بنائلُ وإلا لقاء المرءِ ذي الخلقِ العَالِي

وقال بشار:

[من الخفيف]

تسقط الطيرُ حيث تلتقطُ الحَـ بَ وتُغشى منازلُ الكُرماءِ

قال رجل لصديق له: قد تصدّيتُ للقائك غيرَ مرّةٍ فلم يُقَضَ ذلك، فقال له الآخرُ: كلُّ برٍّ تأتيه فأنت تأتي عليه.

قال ابن الأعرابي:

[من الطويل]

وأرُمي إلى الأرض التي من ورائكم لِتَرْجِعَنِي يوماً عليك الرواجِعُ^(١)

وقال آخر:

[من الطويل]

رأيتُ أحبا الدنيا وإن بات آمناً على سفرٍ يُسرَى به وهو لا يَدْرِي
تساقَلْتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها وزُورَةٍ ذي وُدٍّ أشدُّ به أُرِّي^(٢)

وقال آخر:

[من الوافر]

أزورُ محمداً وإذا آلتقينا تكلمتِ الضمائرُ في الصدورِ
فأرجعُ لم أَلُمّه ولم يَلُمّني وقد رَضِيَ الضميرُ عن الضميرِ
كان سفيانُ بن عُيينة يقول: لا تعفُّوا^(٣) الأقدامَ إلا إلى أقدارها؛ وأنشد:

[من الكامل]

نضعُ الزيارة حيث لا يُزري بنا شَرَفُ الملوكِ ولا تَخِيبُ الزُورُ
وكان يقال: امشِ ميلاً وعُدْ مريضاً، وامشِ ميلين وأصلح بين اثنين.
وامشِ ثلاثة أميال وزُرْ أحاً في الله.

(١) أرُمي إلى الأرض: أنطلع إليها، وترجعني: تردني.

(٢) أشدُّ به أُرِّي: أي أتقوى به.

(٣) التعفُّير: أي التمرغ بالتراب والغبار.

وقا بعض المحدثين: [من الطويل]
 إذا شئت أن تُقَلَى فَرُزْ متتابعاً وإن شئت أن تزدادَ حُباً فَرُزْ غِيّاً^(١)
 وقال آخر: [مجزوء الكامل المرفل]
 أَقْبَلْ زيارتك الصَّديـدِ قَى يراك كالشوب استجدّه^(٢)
 إِنَّ الصديق يُمِلُّهُ أَلَّا يزال يراك عندّه
 قال رجل لصديق له: ما أخلو وإن كان اللقاء قليلاً من سؤالٍ أو مُطالعةٍ
 لك، فقلبي يقوم مقام العيان^(٣).
 وقال آخر لصديق له: قد جمعنا وإياك أحوال لا يُزري بها بُعدُ اللقاء
 ولا يُجَلِّ بها تنازُحُ الديار^(٤).
 وقال آخر: لولا ما في بديه اللقاء من الحيرة والتعرض به قبل معرفة
 العين للجفوة، لم أتوقف على مُطالعةٍ حتى أصير إليك.

وقال الشاعر: [من الطويل]
 ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُّ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
 أصبح إذا لاقيتهم وكأنني إذا أنا لاقيت اللثام مريضُ
 وقال علي بن الجهم^(٥): [من البسيط]
 أَبْلَغَ أَخا ما تَوَلَّى اللهُ صَحْبَتَنَا أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
 وَأَنَا طَرَفِي مَوْصُولٌ بِرؤيته وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنْ مَشَايَ مَشَاهُ

(١) القلي: البغض.

(٢) استجدّه: استحسّنه لأنه جديد.

(٣) العيان: المشاهدة والحضور.

(٤) تنازُح الديار: بُعدها.

(٥) هو علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد يكنى أبا الحسن أصله من خراسان. كان مبغضاً لأهل البيت وهو شاعر مطبوع عذب الألفاظ سهل الكلام.

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ وكيف أذكره إذ لست أنساه

المعاتب والتجني

قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ الْمَضَاءِ عَنْ فَرْجِ بْنِ فَضَالَةَ عَنْ لَقْمَانَ بْنِ
عَامِرٍ قَالَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَعَاتِبَةُ الْأَخِ خَيْرٌ مِنْ فَقْدِهِ، وَمَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلَّهُ!
وكان يقال: التجني وافد الصرم^(١).

وقرأت في الإنجيل: إِنْ ظَلَمَكَ أَخُوكَ فَأَذْهَبْ فَعَاتِبْهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ،
فَإِنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ رِبَحْتَ أَخَاكَ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُطِيعْكَ فَاسْتَبْعُ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ
يَشْهَدَانِ ذَلِكَ الْكَلَامَ، فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَأَنْهَ أَمْرَهُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْعَةِ^(٢)، فَإِنْ لَمْ
يَسْمَعْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْعَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كصاحب المَكْسِ^(٣).

وقال ابن أبي فَنَنِ^(٤):

وَتَعْتَبُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ عَلَيَا	إِذَا كُنْتَ تَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ
عَدَدْتُكَ مَيْتًا وَإِنْ كُنْتَ حَيًّا	طَلَبْتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَّنِي
فَأَصْبَحْتُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شَيْئًا	قَنِعْتُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا حَاجَةٍ
فَأَكْثَرُ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدَيَا	فَلَا تَعْجَبَنَّ بِمَا فِي يَدَيْكَ

وقال أَبُو نَهْشَلٍ^(٥) يَعَاتِبُ صَدِيقًا لَهُ:

عَدَلْتُ عَنِ الرَّحَابِ إِلَى الْمَضِيقِ وَزَرْتُ الْبَيْتَ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ

(١) الصرم: القطيعة والهجر.

(٢) البيعة: متعبد النصارى.

(٣) المكس: الجباية والضريبة.

(٤) ابن أبي فَنَنِ: هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور شاعر رقيق.

(٥) أبو نهشل: هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل وأبو الجراح، شاعر جاهلي من سادات تميم، كان فصيحاً. جواداً.

وَتَظَلِّمْ عِنْدَ طَاعَتِكَ الْمُؤَالِي وليس الظلمُ من فعل الصديق
تَجُودُ بِفَضْلِ عَدْلِكَ لِلْأَقَاصِي وتمنعه من الخِلِّ الشفيق
أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ وربّ البيت والرُّكنِ الوثيق^(١)
لَقَدْ أَطْلَقْتَ لِي تُهْمًا أَرَاهَا سَتَحْمِلُنِي عَلَى مَضَضِ الْعُقُوقِ^(٢)

وقال آخر:

فَدَعَ الْعِتَابَ فَرُبَّ شَرِّ هَاجٍ أَوَّلُهُ الْعِتَابُ

وقال الجعدي^(٣):

[من المتقارب]

وَكَانَ الْخَلِيلُ إِذَا رَابَنِي فعاتبته ثم لم يُعْتَبِ^(٤)
هُوَ أَيْ لَهُ وَهَوَى قَلْبِهِ سِوَايَ وَمَا ذَاكَ بِالْأَصُوبِ
فَإِنِّي جَرِيءٌ عَلَى صُرْمِهِ إِذَا مَا الْقَرِينَةُ لَمْ تُصَحِّبِ^(٥)

قال رجلٌ لصديق له يعاتبه: ما أشكوك إلا إليك، ولا أستبطئك إلا لك، ولا أستزيدك إلا بك، فأنا منتظرٌ واحدةً من اثنتين: عُتْبَى تكون منك، أو عُقْبَى الغنى عنك.

وقال آخر: قد حميتُ جانبَ الأملِ فيكَ وقطعتُ الرجاءَ لك، وقد أسلمني اليأسُ منك إلى العزاء عنك، فإن نَزَعْتَ من الآن فصفحٌ لا تَثْرِيْبٌ فيه^(٦)، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وصلَ بعده.

(١) الراقصات: النوق، لأنها ترقص في خبيها، وذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة.

(٢) المَضَضُ: الوجع والألم، والعقوق: أي جحود النعمة.

(٣) الجعدي: هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة. كان يُكنى أبا ليلي. هو جاهلي.

(٤) لم يعتب: لم يرض.

(٥) القرينة: النفس وأصبحت: انقادت.

(٦) لا تثرِب: لا لوم.

وقال بعض الشعراء:

[من الطويل]

ولا خيرَ في قُرْبى لغيركَ نفعُها ولا في صديقٍ لا تزالُ تُعَاتِبُهُ
يخونُكَ ذو القربى مراراً وربّما وفى لك عند الجُهدِ مَنْ لا تُنَاسِبُهُ

وقال آخر وهو أوس بن حَجَر:

[من الطويل]

وقد أُعْتِبَ أبَنُ العمِّ إن كان ظالماً وأغفرُ عنه الجهلُ إن كان أجهلاً
وكتب رجل إلى صديق له: الحالُ بيننا تحتِمِلُ الدَّالَّةَ^(١)، وتوجِبُ الأنسَ
والثِّقَّةَ، وتبسط اللسانَ بالاستزادة.

وكتب رجل آخرُ إلى صديق له: قد جعلك الله ممن يحتِمِلُ الدَّالَّةَ
الكبيرةَ لذي الحرمةِ اليسيرةِ، ورفعكَ عن أن تبلغَ استزادةَ المستزيد بعُنفِ
الحَمِيَّةِ.

والعرب تقول لمن عُوتِبَ فلم يُعْتَبِ: «لك العُتْبَى بأن لا رَضِيْتَ»^(٢).

ونحوه قول بشر بن أبي خازم^(٣):

[من الكامل]

غَضِبْتُ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرُ يومَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ^(٤)

وقال أوس بن حارثة لابنه: العِتَابُ قبل العِقَاب. وهذا نحو قول الآخر:
ليكن إيقاعُكَ بعد وعيدِكَ، ووعيدُكَ بعد وَعْدِكَ.

(١) الدَّالَّةُ: الحظوة والأمل.

(٢) أي أَنَّ اعتابني إليك بقولي لك: لا رَضِيت، على وجه الدعاء أي لا رَضِيت أبداً.

(٣) بشر بن أبي خازم: وهو عمرو بن عوف الأسدي أبو نوفل شاعر جاهلي فحلَّ من الشجعان.
من أهل نجد من بني أسد. هجا أوس بن حارثة الطائي.

(٤) يوم النَّسَار: ذكره أبو عبيدة فقال: تحالفت أسدٌ وطِيءٌ وغطفان فغزوا بني عامر فقتلواهم قتلاً
شديداً فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر فتجمعوا يوم الفجار فقتلوا طيئاً أشدَّ ما قتل عامراً يوم
النسار، والصيلىم: السيف.

وقال إياس بن معاوية^(١): خرجتُ في سفرٍ ومعي رجل من الأعراب، فلَمَّا كان ببعض المناهل لقيَه آبنُ عمٍّ له فتعانقا وتعتابا وإلى جانبهما شيخٌ من الحيِّ، فقال لهما الشيخ: أنعمًا عيشاً، إنَّ المعاتبةَ تبعثُ التجنيَّ، والتجنيَّ يبعثُ المخاصمةَ، والمخاصمةُ تبعثُ العداوةَ، ولا خيرَ في شيءٍ ثمرتهُ العداوةُ، فقلتُ للشيخ: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا آبنُ تجربةِ الدهرِ ومَنْ بَلَا تَلُونَهُ^(٢)، فقلتُ له: ما أفادكَ الدهرُ؟ قال: العلمُ به، قلتُ: فماذا رأيتَ أحمدًا؟ قال: أن يُبقيَ المرءُ أحدوثَةً حسنةً بعده، قال: فلم أبرحْ ذلك الماءَ حتى هلكَ الشيخُ وصليَّتُ عليه.

وقال رجل لصديق له: أنا أُبقي على مودتك من عارضٍ^(٣) يغيِّره وعتابٍ يقدِّح فيه، وأؤمل نائياً من رأيك يُغني عن اقتضائك.

وقرأتُ في كتاب العتابي^(٤): تأتينا إفاقتك من سكر غفلتك، وترقبنا انتباهك من وسن رقدتك، وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك، فها نحن قد عرفناك حقَّ معرفتك في تعديك لطويلِ حقٍّ من غلط في اختيارك.

وقال الشاعر:

فأُيهِمَا يَا لَيْلَ إِنْ تَفْعَلِي بِنَا فَأَخْرُ مَهْجُورٍ وَأَوَّلُ مُعْتَبٍ
وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب^(٥): يَجِبُ عَلَى

(١) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني، أبو وائلة قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه.

(٢) بَلَا تَلُونَهُ: أي اختبر تغيراته.

(٣) العارض: أي ما يعرض للشيء ويطرأ عليه.

(٤) العتابي: هو كلثوم بن عمر بن أيوب التغلبي سبق أن ترجمنا له.

(٥) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي، كاتبٌ من الشعراء، عاصر أبا تمام واستكتبه الخلفاء.

المرووس إذا تجاوز به الرئيس حقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب ومحلّه من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامياً على محلّه، وإلا لن يؤمّن عليه معنى بيت شريح:

[من الطويل]

فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصّدر والأذى إذا اجتمعَا لم يَلْبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ

باب الوداع

قال حدّثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدّثنا مسلم حدّثنا سلّم بن قتيبة عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية عن نافع عن ابن عمر: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول «إذا ودّع رجلاً أَسْتَوِدُّعُ اللهَ دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ» عملِكَ وآخرِ عمرِكَ».

قال وحدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن أبي كعب الأزديّ عن موسى بن ميسرة عن أنس بن مالك: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إنّي أريدُ سفراً غداً فقال: «في حفظِ اللهِ وكنفه زودَكَ اللهُ التقوى وغفر ذنبَكَ ووجهَكَ للخير حيثُ كنتَ».

المعتمرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال: رأيتُ الحَسَنَ ودّع رجلاً وعيناه تَهْمِلَانِ وهو يقول:

[من الطويل]

وما الذّمُّ إلا هكذا فأصْطَبِرْ له رَزِيئَةُ مالٍ أو فِرَاقُ حبيبٍ

قال وودّع رجلٌ صديقاً له وهو يقول:

[من المتقارب]

وَدَاعُكَ مِثْلُ وِدَاعِ الرِّبْعِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ أَفْتِقَادِ الدَّيْمِ^(١)
 عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ نُفَارِقُهُ مِنْكَ أَوْ مِنْ كَرَمٍ
 وَقَالَ الطَّائِي : : [من الخفيف]

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقْدَهَا، قَلَمَاتَع رِفْ فَقْدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا^(٢)
 وَقَالَ جَرِيرٌ : [من الكامل]

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرِّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ الرِّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
 أَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلٍ لَقِنَعْتُ أَوْ لَسَأَلْتُ مَا لَمْ يُسْأَلَ

وبلغني عن بكر المازني أنه قال : دخلت على الواثق حين أمر بحملي،
 فقال لي : ما أسمك؟ فقلت : بكر، قال : من خلفت وراءك؟، قلت : بُيَّة،
 قال : ما قالت عند وداعك؟ قلت : قالت :
 [من المتقارب]

إِذَا غَبَتَ عَنَّا وَخَلَفْتَنَا فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ^(٣)
 أَيُّنَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدِنَا فَإِنَّا بَخِيرٌ إِذَا لَمْ تَرَمْ^(٤)
 أَيُّنَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا دُ نُجْفَى وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرَّجْمُ^(٥)

قال : فما قلت لها أنت؟ قال : قلت ما قال جرير :
 [من الوافر] يُقَيِّ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

كان لبني عُقَيْلٍ عَبْدٌ رَضِيعٌ بِلَبَّانٍ بَعْضُهُمْ فَبَاعُوهُ، فَقَالَ حِينَ شَخَّصَ بِهِ
 مَوَالِيَهُ شِعْرًا : [من الطويل]

(١) الدَّيْمُ : جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعدٍ ولا برق.

(٢) بَيْنَ الْبَيْنِ : أي أظهر البعد والفراق الحاجة لها.

(٣) يَتِمُّ : من اليتيم، أي تركتنا دون مُعِيل.

(٤) لم ترم : لم تبرح وتفارق.

(٥) أَضْمَرْتَكَ الْبِلَادَ : أخففتك وأبعدتك.

أشوقاً ولَمَّا يُمَضِّ بِبِي غَيْرَ لَيْلَةٍ فكيف إذا سار المِطِيُّ بنا شهراً

وقال مسلمُ بن الوليد: [من الطويل]

وإني وإسماعيلُ عند وداعه لكالغمدِ يومَ الرَّوْعِ زايِلَه النَّصْلُ^(١)
فإن أغشَ قوماً بعدهم وأزورهم فكالوحشِ يُذْنِبُهَا مِنَ الْإِنْسِ الْمَحْلُ^(٢)

وقال آخرُ عند توديعه: [من الطويل]

عجبتُ لتطويحِ النَّوى مَنْ نُجِبُهُ وتدنو بمنْ لا يُسْتَلَدُّ لَهُ قُرْبُ^(٣)
وقال آخر: [من البسيط]

مالتُ تُودِعُنِي وَالْقَلْبُ يَغْلِبُهَا كما يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْغُصْنِ
ثم أستمِرتُ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ يا لَيْتَ مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ

وقال آخرُ لرجل ودَّعه: بقي علينا أن نُكْفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤُونِ^(٤)؛
وَنَسْتَعِينُ عَلَى فُرْقَةِ الْوَحْشَةِ بِالْكُتُبِ، فَإِنَّهَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٍ، وَعَيُونُ رَامِقَةٍ^(٥).

وقال البُحْتَرِيُّ: [من مجزوء الكامل المرفل]

اللَّهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُ لَنِي فِي مَسِيرِ رِي يَوْمِ سِرَّتْ وَلَمْ أَلِاقِكَ

(١) الغمد: جفن السيف والرَّوْع: الحرب، وزايِلَه: فارقه، والنَّصْل: السيف.

(٢) الأنس: الإنسان، والمحل: الجفاف.

(٣) التطويح: الإبعاد والتفريق.

(٤) غرب الشُّؤُون: الغرب: مسيل الدمع، والشُّؤُون: الدموع.

(٥) الرامقة: الناظرة.

إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكَ^(١)
وَعَلِمْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَ دُعُ عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِنَاقِكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الهدايا

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا عُمير بن عِمْران قال حدثنا الحارث ابن عتبة عن العلاء بن كثير عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «تَصَافَحُوا فَإِنَّ الْمَصَافَحَةَ تُذْهِبُ غِلَّ الصُّدُورِ، وَتَهَادُّوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالسَّخِيمَةِ»^(٢).

وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أُهْدِيَتْ لِي ذِرَاعُ لَقَبْلَتِ، وَلَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ^(٣) لَأَجَبْتُ».

وفي حديث آخر: «تَهَادُّوا تَحَابُّوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَفْتَحُ الْبَابَ الْمُصْصَمَتِ»^(٤) وَتَسْلُ سَخِيمَةَ الْقَلْبِ».

قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: سمعتُ نافعاً يحدث قال: كان ابن عمر يقول: الهدايا من أمراء الفتنة.

وروى الزبير بن بَكَار عن عمه قال: كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوَانَ، ما يكادان يفترقان، وكان عمرو يبعثُ إلى الحارث في كلِّ يوم بِقَرْبَةٍ من ألبان إبله، فاختلف ما بينهما فأتى

(١) تسفح غرب ماقك: أي تجعلك تذرف دموع عينك.

(٢) السَّخِيمَةُ: الضغينة والحقْد.

(٣) الكُرَاع: يد الشاة.

(٤) الْمُصْصَمَت: المغلق.

عمرو أهله فقال: لا تبعثوا للحارث باللبن فإننا لا نأمن أن يرده علينا؛ وأنقلب الحارث إلى أهله فقال: هل أتاكم اللبن؟ قالوا: لا؛ فلما راح الحارث بعمرو قال: يا هذا لا تجمعن علينا الهجر وحسن اللبن؛ فقال: أما أنت؟ هذا فلا يحملها إليك غيري، فحملها من ردم^(١) بني جُمَح إلى أجياد^(٢).

وبعث النضر بن الحارث إلى صديق له يسكن عبّادان بنعلين مخصوفتين وكتب إليه: بعث إليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى، ولكني أحببت أن تعلم أنك مني على ذكر.

وقال بعض الشعراء: [من مجزوء الكامل المرفّل]

إن الهدية حلوة كالسحر تجلب القلوباً
تدني البغيض من الهوى حتى تُصيرَه قريباً
وتعيد مضطغن العداوة بعد نُفرتِه حبيّاً^(٣)

أهدى رجل إلى صديق له عبداً أسوداً؛ فكتب إليه: أما بعد، فلو علمت عدداً أقل من واحد أو لوناً شراً من الأسود لبعثت به إليّ. وهذا نظير قول الآخر وقد سُئِلَ كم لك من الولد؟ قال: خبيث قليل؛ قيل: وكيف؟ فقال: لا أقل من واحد ولا أخبث من بنت.

أهدى رجل إلى بعض الأمراء هدية، فكتب إليه الأمير: قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء.

(١) ردم بني جمح: موضع بمكة سُمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمح بن عمرو، وبين محارب بن فهر، رُدم فيه كثير من بني جمح.

(٢) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا، واختلف في تسميته فقيل: سُمي بذلك لأن تبعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه، وقيل غير ذلك.

(٣) المضطغن: الحاقد، والنفرة: من النفور.

وكان ابن عباس يقول: مَنْ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ هَدِيَّةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهَا؛ فَأَهْدَى إِلَيْهِ صَدِيقٌ ثِيَاباً مِنْ ثِيَابِ مِصْرَ وَعِنْدَهُ أَقْوَامٌ فَأَمَرَ بِرَفْعِهَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَلَمْ تُخْبِرْنَا أَنَّ مَنْ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهَا! فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ فِيمَا يُوَكَّلُ وَيُشْرَبُ وَيُشْمُ، فَأَمَّا فِي ثِيَابِ مِصْرَ فَلَا.

وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرُ^(١): [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَتَانِي أَخٌ مِنْ غَيَّةٍ كَانَ غَابَهَا وَكُنْتُ إِذَا مَا غَابَ أَنْشُدُهُ رُكْبًا^(٢)
فَجَاءَ بِمَعْرُوفٍ كَثِيرٍ فَدَسَّهُ كَمَا دَسَّ رَاعِي السَّوءِ فِي حِضْنِهِ الْوُطْبَا^(٣)
فَقُلْتُ لَهُ هَلْ جِئْتَنِي بِهَدِيَّةٍ فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَتَحِفُّ بِهَا الْكَلْبَا
هِيَ النَّفْسُ لَا أَرْتَى لَهَا مِنْ بَلِيَّةٍ وَلَا أَتَمْنَى أَنْ رَأَيْتُ لَهَا قُرْبَا
أَهْدَى رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ وَكُتِبَ إِلَيْهِ: الْأَنْسُ سَهْلٌ سَبِيلَ الْمَلَاطِفَةِ،
فَأَهْدَيْتُ هَدِيَّةً مِنْ لَا يَحْتَشِمُ، إِلَى مَنْ لَا يَغْتَنِمُ.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ عَنْ حُبَابَةَ بِنْتِ عَجْلَانَ عَنْ
أُمِّهَا أُمِّ حَفْصٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ جَرِيرٍ عَنْ أُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ وَدَّاعِ الْخَزَاعِيَّةِ قَالَتْ:
قُلْتُ لِلْبَّبِيِّ عليه السلام: مَا جَزَاءُ الْغَنِيِّ مِنَ الْفَقِيرِ؟ قَالَ: «النَّصِيحَةُ وَالِدَعَاءُ قُلْتُ: يُكْرَهُ
رَدُّ اللَّطْفِ؟»^(٤). قَالَ: مَا أَقْبَحُهُ، لَوْ أَهْدَيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ
لَأَجَبْتُ، تَهَادَوْا فَإِنَّهُ يُضْعِفُ الْحُبَّ^(٥) وَيَذْهَبُ بِغَوَائِلِ الْقُلُوبِ^(٦).

(١) خلف الأحمر: هو خلف بن حيَّان أبو محرز، كان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار، شاعر كثير الشعر جيِّده، لم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه.

(٢) أنشده: أسأل عنه.

(٣) الوطْب: سقاء اللَّبَنِ.

(٤) اللطف: اسمٌ من اللطفة، أي برِّه وأعانه.

(٥) يضاعف الحب: أي يجعله يتضاعف ويزداد.

(٦) غوائل القلوب: أحقادها وضغائنها.

وحَدَّثني محمد بن سَلَام الجُمَحِيّ^(١) قال حَدَّثني خَلَاد بن يزيد الباهليّ قال: أَهْدَيْتُ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَة في يوم المِهْرَجَان هدايا وهو أمير العراق فُصِّفَتْ بين يديه؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضراً: [من المتقارب]
 كأنَّ شَمَاميسَ في بَيْعَةٍ تَسْبَحُ في بعض عِيدَاتِهَا^(٢)
 وقد حَضَرْتُ رَسْلَ المِهْرَجَا نِ وَصَفُوا كَرِيمَ هَدِيَّاتِهَا
 علَوْتُ بِرَأْسِي فوق الرءوس فَأَشْخَصْتُهُ فوق هَامَاتِهَا^(٣)
 لَأَكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً تَغِيظُ بِهَا بعضَ جَارَاتِهَا
 فَأَمَرَ لَه بِجَامٍ^(٤) من ذهب، ثم أَقْبَلَ يَفْرُقُ بين جلسائه تلك الهدايا وَيُنْشِدُ:
 لا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وهي مَقْبَلَةٌ فليس يَنْقُصُهَا التَّبْذِيرُ والسَّرْفُ^(٥)
 فَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرْتُ خَلْفُ

كُتِبَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ إِلَى بعضِ العُلَمَاءِ يَسْتَهْدِيهِ مِهَارَةً^(٦) مِنْ نَاحِيَةِ عَمَلِهِ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْعَامِلُ: أَمَّا المِهَارَةُ فَإِنْ أَهْلُ عَمَلِنَا يَصُونُونَهَا صِيَانَةَ الْأَعْرَاضِ، وَيَسْتَرُونَهَا سِتْرَ الْحُرْمِ، وَيَسُومُونَ^(٧) بِهَا مَهُورَ الْعَقَائِلِ^(٨)؛ وَأَنَا مُسْتَخْلِصٌ لَكَ مِنْهَا مَا يَكُونُ زَيْنَ الْمَرْبِطِ وَحُمْلَانٍ^(٩) الصَّدِيقِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) هو محمد بن سلام الجمحي أبو عبد الله إمام في الأدب من أهل البصرة وصاحب كتاب طبقات الشعراء.

(٢) الشماميس: الرهبان من النصارى، والبيعة: مكان العبادة.

(٣) أشخصه: رأيته وحدقت به.

(٤) الجام: الإناء.

(٥) السرف: من الإسراف وهو التبذير.

(٦) المهارة: جمع مهر، وهو ولد الفرس.

(٧) يسومون: من السوم في المبايعه.

(٨) العقائل: المحصنات الكريمات.

(٩) حملان الصديق: ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه ممّا يجمل عليه.

وقال بعضهم: الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير، فكلماً لطفت ودقت كان أبهى لها، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير، فكلماً عظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع.

وكتب أبو السمط^(١): [من الوافر]

بدولة جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ لنا بك كلَّ يومٍ مَهْرَجَانُ
ليومٍ "هَرَجَانِ بك آخِثَالُ وإشراقٌ ونورٌ يُسْتَبَانُ
جعلتُ هديتي لك فيه وَشِيَاءُ وخيرُ الوُشي ما نَسَجَ اللسانُ"^(٢)

أهدى حُسام بن مَصَكَّ إلى قَتَادَةَ نعلًا رقيقةً، فجعل قَتَادَةُ يَزِنُهَا بيده، وقال: إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجلِ في سُخْفِ هِدِيَّتِهِ.

وقال الشاعر: [من الوافر]

سقى حُجَّاجَنَا نَوءَ الثريَّا على ما كان من بُخْلِ وَمُظْلٍ^(٣)
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها وسدُّوا دونها بَابُهَا بِقُفْلٍ
فإنَّ أهديتُ فاكهةً وجدياً وعشرَ دجائجَ بَعَثُوا بِنَعْلٍ
ومُسَوَّاكَيْنِ طَوْلُهُمَا ذِرَاعُ وعشرٍ من رِدَى الْمُقْلِ حُسْلٍ^(٤)
فإنَّ أهديتُ ذاكَ ليحملوني على نَعْلٍ فِدَقَ اللهِ رِجْلِي
أناسَ تائِهونَ لهم رُوءاءُ تَغِيْمُ سَمَاوَهُمْ من غيرِ وَبِلٍ
إذا آنَسبوا ففرعٌ من قریشٍ ولكنَّ الفِعَالِ فِعَالٌ عُكْلٍ^(٥)

(١) أبو السمط: هو مروان بن يحيى «أبي الجنوب» بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، ويلقب بغبار العسكر، وأبو السمط كنيته شاعر ونديم قرّبه المتوكل العباسي.

(٢) الوشي: المحبر من الثياب.

(٣) النوء: المطر، والمطل: التسويف وعدم الوفاء بالوعد.

(٤) المقل: ثمر الدوم، وحُسل: جمع حسيل، وهو رذال الشيء.

(٥) تائِهون: من التيه وهو التكبر، والرُوءاء: المنظر، والوبل: المطر.

(٦) عكل: قبيلة فيهم غباء وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة وحمق: عكلى ..

كتب رجل إلى صديق له: لولا أنَّ البضاعة قَصَّرت بي عن بلوغ الهمة
لأتعبتُ المسابقين إلى برك. وكَرِهْتُ أن تُطَوِّى صحيفة البرِّ، وليس لي فيها
ذكر، فبعثت إليك بالمبتدأ بيمنه وبركته، والمختوم بطييه ورائحته: جراب
ملح، وجراب أُشنان^(١).

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً وكتب إليه: [من الخفيف]
قد بعثنا إليك أكرمك الله به بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغم ر ولا تيلك الكثير الجزيل^(٢)
وأغترف قلة الهدية مني إن جهد المقل غير قليل
وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها: [من
الكامل]

نعل بعثت بها لتلبسها تسعى بها قدم إلى المجد
لو كان يمكن أن أشركها جلدي جعلت شراكها خدي^(٣)

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك: [من الكامل]
أو ما رأيت الورد أتحفنا به إتحاف من خطر الصديق بباله
لو كان يهدي لامرئ ما لا يرى يهدي لعظم فراقه وزباله^(٤)
لرددت تحفته عليه وإن علت عن ذاك وأستهديت بعض خصاله

وقال المهدي^(٥): [من السريع]

تفاحة من عند تفاحة جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

(١) الأشنان: نبات وهو أجناس كثيرة وكلها من الحمض وتغسل به الثياب وغيرها.

(٢) الغمر: الوفير.

(٣) أشركها: أي أجعل لها شراكاً، والشراك: سير النعل على ظهر القدم يربط به.

(٤) الزبال: الفراق.

(٥) المهدي: هو المهدي الخليفة العباسي.

والله ما أدري أبصرتها أم أبصرتها في الرقاد
 قال: وكتب بعض العمال إلى صديق له: إني تصفحت أحوال الأتباع
 الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في
 الإهداء، وإن قصرت الحال عن قدرك، فرأيتني إن أهديت نفسي فهي ملكك
 لك لا حظ فيها لغيرك، ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدت أكثرها منك،
 فكنت إن أهديت شيئاً منه كالمهدي مالك إليك ومُنْفِق نفقتك عليك؛ وفزعْتُ
 إلى مودتي وشكري فوجدتهما خالصين لك قديمين غير مستحدثين، ورأيت إن
 أنا جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد براً ولا لطفاً. ولم أقس منزلة
 من شكري بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر مُقَصِّراً عن الحق، وكانت النعمة
 زائدة على ما تبلغه الطاقة؛ ولم أسلك سبيلاً ألتبس بها براً أعتد به أو لطفاً
 أتوصل إليه، إلا وجدت رضاك قد سبقني إليه، فجعلتُ الإعراف بالتقصير
 عن حقلك هديةً إليك؛ وقد قلت في ذلك: [من السريع]

إن أهد نفسي فهي من ملكه أو أهد مالي فهو من ماله
 لما قدم معاوية المدينة مُنْصِرفاً من مكة، بعث إلى الحسن والحسين
 وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان
 ابن أمية بهدايا من كسَى وطيبٍ وصلاتٍ من المال، ثم قال لرسله: ليحفظ
 كل رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الرد. فلما خرج الرُّسلُ من عنده، قال
 لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم؛ قالوا: أخبرنا يا أمير
 المؤمنين؛ قال: أما الحسن فلعله يُنِيل نساءه شيئاً من الطيب ويُنْهَب^(١) ما بقي
 من حصره ولا ينتظر غائباً. وأما الحسين فيبدأ بأيتامٍ من قُتِل مع أبيه بصفيين،

(١) ينهب: أي يجعله نهبا لهم وعطاء.

فإن بقي شيء نُحَرِّبُهُ الجُزْءَ وَسَقَى به اللبن . وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يا بُدَيْح^(١) ! أَقْضِ به ذَنْبِي ، فإن بقي شيء فَأَنْفِذْ به عِدَاتِي^(٢) . وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عَدِيَّ بن كعب ، فإن بقي شيء آدْخِرْهُ لِنَفْسِهِ وَمَا^(٣) به عِيَالُهُ . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يَسْبَحُ فلا يلتفت إليه ثم يعاوده الرسولُ فيقول لبعض كُفَّاتِهِ^(٤) : خذوا من رسول معاوية ما بعثَ به ، وصله الله وَجَزَاهُ خَيْرًا ، لا يلتفت إليها وهي أعظم في عينه من أُحَدٍ ، ثم ينصرف إلى أهله فَيَعْرِضُهَا على عينه ويقول : أرفعوا ، لعلِّي أن أعودَ على ابنِ هَندٍ يوماً ما . وأما عبد الله بن صفوان فيقول : قليلٌ من كثير ، وما كلُّ رجلٍ من قريش وصل إليه هكذا ، رُدُّوا عليه ؛ فإن رَدَّ قَبَلْنَاها . فرجع رُسُلُهُ من عندهم بنحوِ مِمَّا قال معاوية ؛ فقال معاوية : أنا بَنُ هَندٍ ! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عُبيد : أَتَيْتُ أَبْنَ سِيرِينَ^(٥) فَدَعَوْتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولوا له : إِنِّي نَائِمٌ - يريد : سَأْنَامُ - ؛ فقلت : مَعِيَ خَيْصٌ^(٦) ؛ فقال : مَكَانَكَ حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكَ .

قال رجل لأبي الدَّرْدَاءِ : إِنْ فَلَانًا يُقْرِئُكَ السَّلامَ ؛ فقال : هَدِيَّةٌ حَسَنَةٌ وَمَحْمَلٌ خَفِيفٌ .

وبعث رجلٌ إلى جارية يقال لها «راح»^(٧) ، وكتب إليها :

(١) بُدَيْح : إسم حولى كان لعبد الله بن جعفر .

(٢) عِدَاتِي : جماعتي .

(٣) مَا به عِيَالُهُ : أي جعله مؤنةً لهم .

(٤) كُفَّاتِهِ : أي الذين يقومون على خدمته .

(٥) ابن سيرين : هو محمد بن سيرين إمام وقته في علوم الدين .

(٦) الخييص : نوع من الحلواء يصنع في الطناجير وهو أنواع كثيرة .

(٧) الرَّاح : الخمر .

[من مجزوء الخفيف]

قُبِلَ لِمَنْ يَمْلِكُ الْمَلُو كَ وَإِنْ كَانَ قَدْ مُلِكَ
قَبْدَ شَرِبْنَالٍ فَأَشْرَبِي وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِكَ
أَهْلَى رَجُلٍ إِلَى عُبَيْدِ بْنِ الْأَخْطَلِ شَاةً مَهْزُولَةً^(١)، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ:

[من المتقارب]

وَهَبْتَ لَنَا يَا أَخَا مِنْقَرٍ وَعَجَلٍ وَأَكْرَمَهَا أَوْلَا^(٢)
عَجُوزًا أَضْرَّ بِهَا دَهْرُهَا وَأَنْزَلَهَا الذُّلَّ دَارَ الْبِلَى
سَلُوحًا حَبِيبَتْ بِأَنْ الرِّعَاءِ سَقَوْهَا الْغَرِيقُونَ وَالْحَنْظَلَا^(٣)
وَأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرٍ زَرَّاعَةٍ أَصَابَ عَلَى جُوعِهِ سُنبُلًا^(٤)
وَأَزْهَدَ مِنْ حَيْفَةٍ لَمْ تَدْعَ لَهَا الشَّمْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصِلًا
فَأَهْوَتْ يَمِينِي إِلَى جَنْبِهَا فَخَلْتُ حَرَاقِيْقَهَا جَنْدَلًا^(٥)
وَأَهْوَتْ يَسَارِي لِعُرْقُوبِهَا فَخَلْتُ عَرَاقِيْقَهَا مَغْزَلًا^(٦)
فَقَلْتُ أَبِيعُ فَلَا مَشْرَبًا تُؤَدِّي إِلَيَّ وَلَا مَأْكَلًا
أَمْ أَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهَا حَنْبَلًا فَأَقْذِرُ بِحَنْبِلِهَا حَنْبَلًا^(٧)
إِذَا هِيَ مَرَّتْ عَلَى مَجْلِسٍ مِنْ الْعُجْبِ كَبَّرَ أَوْ هَلَّلَا
رَأَوْا آيَةً خَلْفَهَا سَائِقُ يَحُثُّ وَإِنْ هَرُولْتُ هَرُولًا

(١) المهزولة: الضعيفة.

(٢) منقر وعجل: من القبائل.

(٣) السِّلُوح: من السِّلَح، وهو ما يخرج من الطَّيْرِ والبَهَائِمِ والغَرِيقُونَ: ترياق للسموم مفتوح مسهل، والحَنْظَل: نبات ثمره شديد المرارة.

(٤) الزَّرَّاعَةُ: موضع الزرع كاللَّاحَةِ لموضع الملح.

(٥) الحَرَاقِيقُ: جمع حَرْقَفَةٍ وهي رَأْسُ الْوَرَكِ، والجَنْدَل: الصخر الصلب.

(٦) العُرْقُوبُ من الدَّابَّةِ: عَصَبٌ غَلِيظٌ هُوَ فِي رِجْلِهَا كَالرَّكْبَةِ فِي يَدِهَا.

(٧) الحَنْبَل: الفرو.

فكنتَ أمرتَ بها ضَخْمَةً بشحمٍ ولحمٍ قد استُكْمِلَا
ولكنَّ رَوْحاً عَدَا طَوْرَهُ وما كنتُ أحسبُ أن يفعلَا^(١)
فَعَضَّ الذي خانني حاجتي بإسبِ آمه بَطَرَهَا الا غَرَلَا^(٢)
فلولا مكانُك خَضِبْتُهَا وعَلَقْتُ في جِيدِها جُلُجَلَا^(٣)
فجاءت لكيما ترى حالها فتعلم أني بها مُبْتَلَى
سألتُك لحمًا لِصِيانِنَا فقد زدّني فيهم عَيْلَا^(٤)
فخذها وأنت بها مُحْسِنٌ وما زلتَ بي مُحْسِنًا مُجْمِلَا
وبعثَ رجلٌ إلى دُعْبِلٍ بأُصْحِيَّةٍ^(٥)، فكتبَ إليه: [مقارب]

بعثتَ إليَّ بأُصْحِيَّةٍ وكنتَ حَرِيًّا بأن تفعلَا
ولكنَّها خرجتْ غَثَّةً كأنك أُرْعِيْتَهَا حَرْمَلَا^(٦)
فإن قَبِلَ الله قُرْبَانَهَا فسبحانَ ربِّك ما أعدلَا

قيل لرجل قديم من مكة: كيف أثمان النعال بمكة؟ قال: أثمان الجداء بالعراق.

وقال مُسلم بن الوليد: [طويل]
جَزَى الله من أهدى التُّرْنَجِ تحيةً ومَنَّ بما يهوى عليه وعَجَلَا^(٧)

(١) عدا طوره: جاوز حده.

(٢) الأغزل: الذي لم يخن.

(٣) الجيد: العنق، والجلجل: واحد الجلجل وصوته الجلجلة، يعلق في عنق الحمار وغيره.

(٤) العيل: أي ما يجب إعالته ومؤنته.

(٥) الأضحية: ما يضحي به من شاة وغيرها.

(٦) الغثة: الهزيلة، والحرميل: حب نبات يمتنع عن الأكلة، ولا يأكله إلا الماعز.

(٧) الجداء: جمع جدي.

(٨) الترنج: ثمر شجر بستانني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب.

أَتَيْنَا هَدَايَا مِنْهُ أَشْبَهْنَ رِيحَهُ وَأَشْبَهَ فِي الْحَسَنِ الْغَزَالَ الْمَكْحَلَا
وَلَبِوْا أَنَّهُ أَهْدَى إِلَيَّ وَصَالَهُ لَكَانَ إِلَى قَلْبِي أَلَدُّ وَأَوْصَلَا
وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ شَرِبَ دَوَاءً: [وَأَفَر]

تَأْتَقُ فِي الْهَدِيَّةِ كُلِّ قَوْمٍ إِلَيْكَ غَدَاةٌ شُرْبِكَ لِلدَّوَاءِ
فَلَمَّا أَنْ هَمَمْتُ بِهِ مُدَلًّا لِمَوْضِعِ حُرْمَتِي بِكَ وَالْإِخَاءِ
رَأَيْتُ كَثِيرَ مَا أَهْدِي قَلِيلًا لِعَبْدِكَ فَاقْتَصَرْتُ عَلَى الدُّعَاءِ
وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: وَجَدْتُ الْمَوَدَّةَ مُنْقَطِعَةً مَا كَانَتْ الْجِشْمَةُ
عَلَيْهَا مُتَسَلِّطَةً، وَلَيْسَ يُزِيلُ سُلْطَانَ الْجِشْمَةِ إِلَّا الْمَوَاسَّةُ، وَلَا تَقَعُ الْمَوَاسَّةُ إِلَّا
بِالْبَرِّ وَالْمَلَاطِفَةِ.

العيادة

قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنَا شَرِيكَ
عَنْ أَبِي نُصَيْرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ
مَنْ رَمِدٍ كَانَ بَعِينَهُ. وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُعَادُونَ
صَاحِبَ الدَّمَلِ وَالرَّمَدِ وَالضَّرْسِ».

وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ ابْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ
عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ: أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَادَ جَارًا لَهُ نَصْرَانِيًّا.

قَالَ الشَّعْبِيُّ^(١): عِيَادَةُ النَّوْكِيِّ^(٢) أَشَدُّ عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ وَجَعِهِ.

(١) الشَّعْبِيُّ: هُوَ عَامِرُ بْنُ شَرْحِبِيلَ بْنِ عَبْدِ ذِي كِبَارٍ، الْحَمِيرِيُّ أَبُو عَمْرٍو، رَاوِيَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ
يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِحِفْظِهِ، أَرْسَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَسُولًا إِلَى الرُّومِ، نَسَبَتْهُ إِلَى شُعْبٍ بَطْنِ
مِنْ هَمْدَانَ.

(٢) النَّوْكِيُّ: الْحَمَقِيُّ.

وعن شَيْبَانٍ عَنْ أَبِي هَدِيَّةٍ عَنْ أَبِي هِلَالٍ قَالَ: قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِقَوْمِ عَادُوهِ فَأَطَالُوا عَنْدهُ: الْمَرِيضُ يُعَادُ، وَالصَّحِيحُ يُزَارُ.

عَادَ قَوْمٌ عَلِيلاً فَأَطَالُوا عَنْدهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ فِي الدَّارِ حَقٌّ فَخُذُوهُ وَأَنْصَرِفُوا.

عَادَ رَجُلٌ رَقَبَةً، فَنَعَى رَجَالاً أَعْتَلَوْا مِثْلَ عِلَّتِهِ، فَقَالَ لَهُ رَقَبَةٌ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَلَا تَنْتَعِ إِلَيْهِ الْمَوْتَى، وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِنَا فَلَا تَعُدْ إِلَيْنَا.

عَادَ أَعْرَابِيٌّ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ! بَلَّغْنِي أَنْتَكَ مَرِيضٌ، فَضَاقَ وَاللَّهِ عَلَيَّ الْأَمْرُ الْعَرِيضُ، وَأَرَدْتُ إِيْتَانَكَ فَلَمْ يَكُنْ بِي نَهْوُصٌ؛ فَلَمَّا حَمَلْتَنِي رَجُلَانِ، وَلَيْسَتْ تَحْمِلَانِ؛ أَتَيْتُكَ بِجُرْزَةٍ^(١) شَيْخٍ مَا مَسَّهَا عَرْنَيْنٌ قَطًّا^(٢)، فَاشْمُمُهَا وَأَذْكَرْ نَجْدًا، فَهُوَ الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ كَثِيرٌ: [مُقَارَب]

أَلَا تِلْكَ عَزَّةٌ قَدْ أَقْبَلْتُ	تَقَلَّبُ لِلْبَيْنِ طَرْفًا غَضِيضًا ^(٣)
تَقُولُ مَرِيضْتُ وَمَا عُدَّتْنَا	فَقُلْتُ لَهَا لَا أُطِيقُ النَّهْوُضَا
كَانَا مَرِيضَانِ فِي بَلَدَةٍ	وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا ^(٤)

وَقَالَ آخَرُ^(٥): [بَسِيط]

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ

(١) الجُرْزَةُ: الْحِزْمَةُ.

(٢) الْعَرْنَيْنِ: الْأَنْق.

(٣) الطَّرْفُ: الْعَيْنُ، وَالْغَضِيضُ: الْفَاتِرُ.

(٤) يَعُودُ: يَزُورُ.

(٥) هُوَ الْمُؤْمَلُ بْنُ أَمِيلَ بْنِ أَسِيدِ الْمُحَارِبِيِّ، شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، انْقَطَعَ إِلَى الْمُهْتَدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ.

وقال بشار:

[سريع]

لو كانت الفدية مقبولةً لقلتُ بي لا بك حَمَاكَ^(١)

وكتب آخر إلى عليل:

[بسيط]

نُبِّتُ أَنَّكَ معتلٌ فقلتُ لهم نفسي الفداء له من كلِّ محذورٍ
يا ليتَ علته بي غير أن له أجر العليل وأني غير مأجورٍ

وكتب آخر إلى عليل:

[طويل]

أقولُ بحقٍّ واجبٍ لك لازمٍ وإخلاصٍ شكرٍ لا يغيّره الدهرُ
بي السوء والمكروه لا بك كلِّما أراداك كنانا بي وكان لك الأجرُ

وقال آخر في مثله:

[طويل]

فإنَّ بك حُمى الغبِّ شَفَكَ ورُدُّها فعُقباك منها أن يطولَ لك العمرُ^(٢)
وَقَيْنَاكَ! لو نُعطى المُنَى فيكَ والهوى لكان بي الشكوى وكان لك الأجرُ

وفي الحديث المرفوع «خَصَّنَا أَمْوَالَكُم بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرَضَاكُم بِالصَّدَقَةِ، وَاسْتَقْبَلُوا الْبَلَايَا بِالدَّعَاءِ». وفي آخر أنه ﷺ قال يوماً لأصحابه: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِماً؟ قال عمر: أنا، قال: فمن شَيَّعَ جَنَازَةً؟ قال عمر: أنا؛ قال: فمن عاد مريضاً؟ قال عمر: أنا؛ قال: فمن فيكم تصدَّقَ بصدقة؟ قال عمر: أنا؛ فقال ﷺ: «وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ». وفي حديث آخر: أنه ﷺ قال: إِيَّامُ عِيَادَتِكُمُ الْمَرِيضَ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى رَأْسِهِ، أَوْ يَدُهُ، «فِي يَدِهِ وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ، وَتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمُ الْمَصَافِحَةُ».

(١) حَمَاكَ: أي الحمى مضافة إلى خمير المخاطب.

(٢) حَمَى الغب: أي التي تنوب المريض يوماً بعد يوم، وشَفَكَ: أهزلك وألمك، والورد: من أسماء الحمى، وقيل هو يومها الذي تأخذ فيه صاحبها.

وقال الشاعر:

[طويل]

إِنْ كُنْتُ فِي تَرْكِ الْعِيَادَةِ تَارِكاً حَظِّي فَإِنِّي فِي الدُّعَاءِ لَجَاهِدُ
فلربما تَرَكَ الْعِيَادَةَ مُشْفِقُ وَأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الْحَاسِدُ^(١)

أبو حاتم قال حَدَّثَنَا الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ يَقَالُ: إِذَا أَشْتَكَى الرَّجُلُ
ثُمَّ عُوْفِي وَلَمْ يُحْدِثْ خَيْرًا وَلَمْ يَكُفَّ عَنْ سُوءٍ، لَقِيَ الْمَلَائِكَةَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَقَالَتْ: إِنْ فَلَانًا دَاوَيْنَاهُ فَلَمْ يَنْفَعَهُ الدَّوَاءُ.

وقال أبو حاتم^(٢) حَدَّثَنَا الْقَحْذَمِيُّ قَالَ: أَطْلَعُ^(٣) مَعَاوِيَةَ فِي بَثْرِ الْأَبْوَاءِ^(٤)
فَأَصَابَتْهُ لَقْوَةٌ^(٥)، فَأَعْتَمَ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ وَسَدَّلَهَا عَلَى الشَّقِّ الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ، ثُمَّ
أَذِنَ لِلنَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنْ ابْنُ آدَمَ بَعَرَضَ بِلَاءٍ: إِمَّا مُعَاتَبٌ لِيُعْتَبَ،
وإِمَّا مُعَاقَبٌ بِذَنْبٍ، أَوْ مُبْتَلًى لِيُؤَجَّرَ، فَإِنْ عُوتِبْتُ فَقَدْ عُوتِبَ الصَّالِحُونَ قَبْلِي،
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ؛ وَإِنْ عُوقِبْتُ فَقَدْ عُوقِبَ الْخَطَّاءُونَ قَبْلِي، وَمَا أَمِنَ
أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ؛ وَإِنْ مَرِضَ عَضْوَمَنِي فَمَا أُحْصِي صَحِيحِي وَلَمَّا عُوفِيْتُ أَكْثَرَ،
وَلَوْ أَنَّ أَمْرِي إِلَى مَا كَانَ لِي عَلَى رَبِّي أَكْثَرُ مِمَّا أَعْطَانِي. وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ عَاتِبًا
عَلَى خَاصٍّ مِنْكُمْ فَإِنِّي حَدِبٌ^(٦) عَلَى جَمَاعَتِكُمْ، أُحِبُّ صَلَاحَكُمْ. وَقَدْ أُصِيبْتُ
بِمَا تَرَوْنَ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا دَعَا لِي بِعَافِيَةٍ! فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْبُكَاءِ وَالِدُّعَاءِ.

(١) الغَلَّ: الغش والحقد.

(٢) أبو حاتم: هو سهل بن محمد بن عثمان الجشني السجستاني من كبار العلماء باللغة والشعر
من أهل البصرة.

(٣) أطلع: أشرف.

(٤) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة
وعشرون ميلًا، وقبل: الأبواء: جبل عن يمين آره ويمين الطريق للمصعد إلى مكة.

(٥) اللقوة: داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق.

(٦) الحدب: الشقوق العطوف.

مَرَضَ أَبُو عمرو بن العَلَاءِ^(١) مَرَضَةً، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَأَبْطَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ؛ فَقَالَ: مَا يُبْطِئُ بِكَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَسَاهِرَكَ؛ قَالَ: أَنْتَ مَعَاذِي وَأَنَا مُبْتَلَى، فَالْعَافِيَةُ لَا تَدْعُكَ تَسَهَّرَ وَالْمَرَضُ لَا يَدْعُنِي أَنَامَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَسُوقَ إِلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ، وَإِلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ وَالْأَجْرَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: كَمَا قُلْتُ لَصَاحِبِكَ.

قَالَ: وَقَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَوُثِّتَ^(٢) رِجْلَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأَضْجَرَ كَتَبَ قِصَّتَهُ فِي رُقْعَةٍ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ عَائِدٌ وَسَأَلَهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ.

الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُحَدِّثًا^(٣) لَا يَقْصِدُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْصَرَفَ عَنْهُ، فَغَابَ مَرَّةً فَأَطَالَ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ حَالِهِ وَمَا كَانَ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِ بَرَمٌ^(٤)، فَأَخَذَ رُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا: [مُقَارِبُ] وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عُرْضَ الْفَلَاحِ مِنْ الْمَشْرِقِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِيِّينَ وَأَطْوَى الْفِيَّافِي أَرْضًا فَأَرْضًا وَأَسْتَمِطِرُ الْجَدْيَ وَالْفَرْقَدَيْنِ^(٥) وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْهَمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِخُفِّي حُنَيْنَ^(٦)

(١) أَبُو عمرو بن العلاء: هُوَ زَيَّانُ بْنُ عَمَّارِ التَّمِيمِيِّ الْمَازَنِيِّ الْبَصْرِيِّ مِنْ أَيْمَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَوَاحِدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَلَدَ بِمَكَّةَ، وَمَاتَ بِالكُوفَةِ.

(٢) وَثَّتْ: أَصَابَهَا وَهْنٌ لَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ كُسْرًا.

(٣) الْمُحَدِّثُ: الَّذِي لَا يَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ.

(٤) الْبَرَمُ: الضَّيْفُ.

(٥) الْفِيَّافِي: الْمَهَامَةُ وَالصَّحَارَى، وَالْجَدْيُ وَالْفَرْقَدَانِ: مِنَ الْكُوَاكِبِ.

(٦) خُفِّي حُنَيْنٍ: مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَسَافِرُ وَيَعُودُ خَائِبًا مِنْ سَفَرِهِ.

فَقِيرًا وَقِيرًا أَخًا عُسْرَةً بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ صِفَرَ الْيَدَيْنِ^(١)

كَثِيبَ الصَّدِيقِ بِهِيَجَ الْعَدُوَّ طَوِيلَ الشُّقَا زَانِيَ الْوَالِدَيْنِ

وطرحها في مجلسه، فكلَّ من سأله عن حاله دفع إليه الرقعة.

قال حَدَّثَنَا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطِيًّا^(٢) وقع من موضع عالٍ،

فدخلوا يسألونه، كيف وقعت؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرَّةً وألقاها من يده وقال: هكذا وقعتُ.

أبو الخطاب قال: كان عندنا رجلٌ أُحْدَبُ فسَقَطَ في بئر فذهبت حَدَبَتُهُ

فصار أَدْر^(٣)، فدخلوا يسألونه ويهنتونه بذهاب حَدَبَتِهِ، فجعل يقول: الذي جاء شَرٌّ من الذي ذهب.

المدائني قال: سقط ابنُ شُبْرُمَةَ القاضي عن دَابَّتِهِ فَوَثَّتْ رِجْلُهُ، فدخل

يحيى بن نوفل الحِمِيرِي عليه فقال: [مقارب]

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانِي الْخَبِيرُ فَدَسَّ أَحَادِيثَهُ الْهَيْئِمَةَ^(٤)

لَكَ الْوَيْلُ مِنْ تُخْبِرُ مَا تَقُولُ؟ أَيْنُ لِي وَعَدٌّ عَنِ الْجَمَجَمَةِ^(٥)

فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضِي الْقَضَا هُ مُثْقَلَةٌ رِجْلُهُ مُؤَلِّمَةٌ

فَقُلْتُ وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْبِلَادُ وَخِفْتُ الْمُجَلَّلَةَ الْمُعْظَمَةَ

فَعَزَّوَانُ حَرٌّ وَأَمَّ الْوَلِيدُ إِنَّ اللَّهَ عَافَى أَبَا شُبْرُمَةَ

جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا، وَمَا عِتَقَ عَبْدٌ لَهُ أَوْ أَمَةً؟

(١) الوقير: الذليل المهان.

(٢) نبطيًّا: نسبة إلى النبط.

(٣) الأدر: المصاب بانتفاخ من إحدى خصيتيه.

(٤) الهينة: الصوت الخفي.

(٥) الجمجمة: عدم الإبانة في الكلام.

قال: وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزله، فلما خرج تبعه وقال: يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد؟ فضحك وقال: أو ما تعرفهما؟ هما سنوران في البيت.

قال حدثنا الرياشي عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُقَيْش وهو شاك^(١)، فقلنا له: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، ولقد أصبحت في شرِّ زمانٍ وشرِّ أناسٍ: مَنْ جاد لم يجد ومن وجد لم يجد.

قيل: لعمر بن العاص وقد مرض مرة: كيف تجدك؟ قال أجدني أذوب ولا أثوب، وأجد نجوي^(٢) أكثر من رُزئي^(٣)، فما بقاء الشيخ على هذا!

سئل عليل عن حاله فقال: أنا مُبل^(٤) غير مُستقل، ومتماثل غير متحامل.

وقيل لآخر: كيف تجدك؟ قال أجدني لم أرض حياتي لموتي.

وقيل لرجل من العجم: ما حالكم؟ قال: ما حال مَنْ يريد سفرًا طويلاً بلا زاد! وينزل منزلاً موحشاً بلا أنيس! ويقدم على جبار قد قدم العذر بلا حجة!

قيل لعكرمة: كيف حالك؟ قال: بشر، أصبحت أجرب مبسوراً^(٥).

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قيل لشيخ من العباد: كيف أنت، وكيف أحوالك؟ فقال: ما كلها كما أشتهي.

(١) شك: أي متألم من مرض.

(٢) النجو: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط.

(٣) الرزء: ما يتاله الإنسان من طعام.

(٤) المبل: الثابت.

(٥) المبسور: الذي أصابه داء البواسير.

قيل لآخر: ما تشتكي؟ قال: تمام العدة وأنقضاء المدة.
وبلغني عن معاوية بن قرة قال: مريض أبو الدرداء، فعاده صديق له
فقال: أي شيء تشتكي؟ قال: ذنوبي؛ قال: فأني شيء تشتكي؟ قال: الجنة؛
قال: فندعو لك بالطبيب؟ قال: هو أمرضني.

سئل رجل عن حاله فقال: [رجز]

كنّا إذا نحن أردنا لم نجد حتى إذا نحن وجدنا لم نرد
أرجف^(١) الناس بعلّة معاوية وضعفه، فدخل عليه مصقلة بن هبيرة،
فأخذ معاوية بيده ثم قال يا مصقل: [مجزوء الكامل المرفل]

أبقى الحوادث من خلية لك مثل جندلة المراجم^(٢)
قد رامني الأقوام قب لك فامتنعت من المظالم

فقال مصقلة: أما قول أمير المؤمنين: «أبقى الحوادث من خليلك»،
فقد أبقى الله منك جبلاً راسياً وكلاً مرعياً لصديقك وسمّاً ناقعاً لعدوك. وأما
قولك: «قد رامني الأقوام قبلك»، فمن ذا يرومك أو يظلمك! فقد كان الناس
مشركين فكان أبو سفيان سيدهم، وأصبح الناس مسلمين وأصبحت أميرهم؛
فأعطاه معاوية فخرج؛ فسئل عنه فقال: والله لغمزني غمزة^(٣) كاد يكسر منها
يدي وأنتم تزعمونه مريضاً.

وقال المدائني: دخل كثير غزّة على عبد الملك بن مروان، فقال: يا
أمير المؤمنين، لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف

(١) أرجف: من الإرجاف، وهو الخوض من الأعماق والأحداث.

(٢) الجندلة: الحجارة الصلبة، والرّجام من الحجارة أي الضخمة التي تجمع على القبر ليسم.

(٣) الغمزة: من غمز الشيء، أي شدّ بيده عليه.

ما بك إليّ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ولي في كَفَنِكَ النعمة؛ فضحك وأمر له بمال؛ فقال:

[كامل]

ونعودُ سيّدنا وسيّد غيرنا ليت التَّشْكِي كان بالعُودِ
لو كان يُقبَلُ فديةً لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادي^(١)

وقال آخر:

[منسرح]

لا تشكُون دهرًا صَحَتْ به إِنَّ الْغِنَى في صحة الجسم
هَبَكَ الخليفة، كُنْتَ متفعًا بلذاذة الدنيا مع السُّقْم؟

إِغْتَلِ الْمِسُورُ^(٢) فجاءه آبنُ عباس يعودُه نصفَ النهار؛ فقال المسور: يا
أبا عباس^(٣) هَلَا سَاعَةٌ غيرَ هذه! قال آبن عباس: إِنَّ أَحَبَّ السَّاعَاتِ إِلَيَّ أَنْ
أُودِيَ فِيهَا الْحَقُّ أَشَقُّهَا عَلَيَّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسي أنت! وكيف كنت؟ لا
زلت! وكيف قوتك ونشاطك؟ لا عِدَمَتُهُمَا ولا عِدَمُنَاهُمَا منك، وأعادك الله إلى
أحسن ما عودك! لولا عوائق يُوجب العذرُ بها تَفْضُلُكَ لم أدْعُ تعرّفَ خبرك
بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل^(٤) وأشدُّ تسكينًا للأعج الشوق^(٥).

وقرأت فصلاً في كتاب: لئن تخلفتُ عن عيادتكَ بالعذر الواضح من
العلّة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصاً عن خبرك في مُمَسَاكٍ ومُصْبَحِكَ

(١) المصطفى: المنخوب، والطارف والتلید. المال المستحدث والموروث.

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري. أبو عبد الرحمن من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أدرك النبي ﷺ وهو صغير السن وسمع منه.

(٣) أبو العباس: هي كنية عبد الله بن عباس.

(٤) أنقع للغليل: أروى للظمأ.

(٥) لأعج الشوق: شدته وحرارته.

وتنقل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك^(١) وزاد في ألمها ألمك ومن تتصل بك أحواله في السراء والضراء . ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنتاً بالعافية مخبراً بالعدر، معفياً من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالاً .

وقال عبد بني الحسحاس^(٢) :
 تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَى ثَلَاثُ وَأَرْبَعُ وَوَاحِدَةٌ حَتَّى بَلَغْنَ ثَمَانِيَا
 سُلَيْمَى وَسَلَمَى وَالرَّبَابُ وَزَيْنَبُ وَهَنْدٌ وَدَعْدٌ وَالْمَنَى وَقَطَامِيَا
 وَأَقْبَلْنَ مِنْ بَعْضِ الْخِيَامِ يَعُدَّنِي أَلَا إِنَّ بَعْضَ الْعَائِدَاتِ دَوَائِيَا

وقال عبد الله بن مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ :
 مَا لِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدَّنِي عَائِدٌ مِنْكُمْ وَيَمْرَضُ كُلُّكُمْ فَأَعُودُ
 فَسُمِّي «عَائِدُ الْكَلْبِ» وَلَوْلَاهُ الْآنَ يَسْمَوْنَ «بَنِي عَائِدِ الْكَلْبِ» .

التعازي وما يُتمثلُ به فيها

وحدَّثني محمد بن داود عن غَسَّانِ بْنِ الْفَضْلِ قَالَ قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ
 الثَّقَفِيُّ : أَنَانِي ابْنُ جُرَيْجٍ بِمَكَّةَ يُعَزِّرُنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِي ، فَقَالَ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ
 يَسْلُ^(٣) أَهْلَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا سَلَا كَمَا تَسْلُو الْبَهَائِمَ .

كتب إبراهيم بن يحيى الأسلمي^(٤) إلى المهديّ يعزّيه عن أبنته : أما
 بعد، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ مِنْ عَظَمَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيمَا

(١) الوصب: المرض.

(٢) عبد بني الحسحاس: إسمه سحيم وكان حبشياً قبيحاً وشاعراً محسناً، قتل في أيام عمر بن الخطاب لاتهامه في أخلاقه.

(٣) لم يسْلُ: من السلوان وهو الصبر والتّسيان.

(٤) هو إبراهيم بن يحيى الأسلمي؛ أحد رواة الحديث قيل: إنّه كان من المعتزلة وله كتاب الموطأ راجع شذرات الذهب ٣٠٦ ج ١.

أَبْقَى لَهُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَكَ ، وَأَنَّ أَجْرَ الصَّابِرِينَ فِيمَا يُصَابُونَ بِهِ أَعْظَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ فِيمَا يُعَافَوْنَ مِنْهُ .

وَنَحْوَهُ قَوْلُ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ : التَّهْنِئَةُ عَلَى آجَلِ الثَّوَابِ ، أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلِ الْمَصِيبَةِ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي ظِلِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

وَسَقَطَتْ مَقَادِيمُ فَمِ مَعَاوِيَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعْمَرٍ السَّلَامِيُّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا بَلَغَ أَحَدٌ سِنِّكَ إِلَّا أَبْغَضَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، ففَوْكَ أَهْلُونَ عَلَيْنَا مِنْ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ .

وَقَالَ صَالِحُ الْمُرِّي^(١) لِرَجُلٍ يَعْزِيهِ : إِنْ لَمْ تَكُنْ مَصِيبَتُكَ أَحْدَثَتْ فِي نَفْسِكَ مَوْعِظَةً فَمَصِيبَتُكَ بِنَفْسِكَ أَعْظَمَ . وَنَحْوَهُ : شَرُّ مِنَ الْمَرَزَّةِ سَوْءُ الْخَلْفِ عَنْهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِيبَتْ جَلِيلًا فَلَفَقْدُ الْعِزَاءِ فِيهِ أَجْلٌ

عَزَّى شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ الْمَهْدِيُّ عَنْ بَانُوقة^(٢) ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهَا مِمَّا عِنْدَكَ ، وَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهَا .

عَزَّى رَجُلٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ^(٣) عَنْ ابْنَتِهِ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مِمَّ

تَجْزَعُ ؟ [بسيط]

(١) هُوَ صَالِحُ الْمُرِّي الزَّاهِدُ ، وَاعْظَمُ الْبَصْرَةِ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ «رَاجِعَ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ص ٢٨١ ج ١» .

(٢) بَانُوقة : بِنْتُ كَانَتْ لِلْمَهْدِيِّ .

(٣) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زُرَيْقِ الْخَزَاعِيِّ بِالْوَلَاءِ . أَبُو الْعَبَّاسِ أَمِيرُ خُرَاسَانَ وَمِنْ أَشْهُرِ الْوَلَاةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ أَصْلُهُ مِنْ «بَادِغِيَس» بِخُرَاسَانَ .

الموتُ أكرمُ نَزَالٍ على الحُرَمِ

وقال جرير:

[طويل]

وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ ناله على المرءِ مِنْ أصحابِهِ من تَقَنَّعا

وقال آخر:

[من الوافر]

ولم أرَ نعمةً شملتُ كريماً كنعمة عورةٍ ستّرت بقبر

وعزّي رجلٌ رجلاً فقال: لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكها.

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز:

[طويل]

تَعَزَّى أميرَ المؤمنين فإنّه لِمَا قد ترى يُغذّي الصغيرُ ويولدُ

هل أبْنُكَ إلّا من سُلالةِ آدمٍ لكلٍّ على حوضِ المنيةِ مَورِدُ

عزّي أبو بكرٍ عمرَ رضي الله عنهما عن طفلٍ أُصيب به، فقال: عَوْضُكَ
اللهُ منه ما عَوْضُهُ منك.

وقال محمودُ الوراق^(١):

[متقارب]

يُمَثِّلُ ذو اللَّبِّ في نفسه مصائبه قبل أن تَنزِلَا

فإن نزلتْ بغتةً لم ترعه لِمَا كان في نفسه مثلاً

رأى الهَمُّ يُفْضِي إلى آخرٍ فصيرَ آخره أولاً

وذو الجَهْلِ يَأْمَنُ أيامه وَيَنسَى مصارعَ من قد خلا^(٢)

فإن بدّهتْهُ صروفُ الزمانِ ببعضِ مصائبه أَعْوَلَا^(٣)

ولوقدَّم الحِزْمَ في أمره لعَلَّمه الصبرَ عند البَلَا

عزّي موسى بن المهديّ سليمان بن أبي جعفر عن ابنِ له، فقال:
أَيُسْرُكَ وهو بليّةٌ وفتنةٌ، ويُحْزِنُكَ وهو صلاةٌ ورحمةٌ!.

(١) هو محمود بن حسن الوراق، شاعرٌ أكثر شعره في المواعظ والحكم له ديوان شعرٍ مطبوع.

(٢) المصارع: الحتوف: خلا؛ سبق.

(٣) بدّهته: فاجأته على غرةٍ منه، وأعول: أي بكى وناح.

وعزَّى رجل موسى بن المَهْدِيِّ عن أبي له فقال: كان لك من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات.

توفي سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله وأطنب في كتابه؛ فكتب إليه عمر: [طويل]

حَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وحسبي بقاءُ الله من كلِّ هالك
إذا ما لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا فإنَّ شفاءَ النفس فيما هنالك

كتب ابن السَّمَاكِ^(١) إلى الرشيد يعزِّيه بأبي له: أما بعد، فإن استطعت أن يكون شكرُك لله حين قبضه أكثر من شكرِك له حين وهبه، فإنه حين قبضه أحرز لك هبته، ولو سلم لم تسلم من فتنته؛ أرايت حزنك على ذهابه وتلهُّفك لفراقه! أَرْضِيتَ الدارَ لنفسك فترضاها لابنك! أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت أنت معلقاً بالخطر. وأعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت، وإنما هي واحدة إن صبرت، فلا تجمع الأمرين على نفسك.

كتب عبد الله بن طاهر إلى أبي دُلَفٍ^(٢): المصائب حالة لا بد منها، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفاً بعبده، وآية ذلك أن يوفِّقه للصبر ويلهمه الرضا وييسِّطَ أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل. ومنها ما يكون سُخْطاً وانتقاماً، أوله حُزن وأوسطه قُنوط وآخره ندامة، وهي المصيبة حقاً الجامعة لخُسران الدنيا والآخرة. ولم تزل عادةُ الله عندك الإخلاف والإتلاف. وإن يك ما نالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام،

(١) ابن السَّمَاكِ: هو محمد بن صبيح، أبو العباس، فقيه محدث واعظ حكيم كوفي قدم بغداد أيام الرشيد ووعظه، مواعظه مشهورة.

(٢) أبو دُلَفٍ: هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل أمير الكرخ وسيد قومه، أخبار أدبه وشجاعته كثيرة، مدحه الشعراء.

فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو ذُلفَ إليه : إن تكن المصيبةُ جَلَّتْ ، فإن فيما أكرمني الله به مِنْ جَمِيلِ رأيِ الأميرِ وما وَضَحَ للناسِ من فضلِ عنايته وآبَتَدَائِهِ إِيَّايَ بَكُتُّبِهِ ، ما عَجَّلَ العِوَضَ من المفقود .

وفي كتاب آخر : لئن كانت المصيبةُ جَلَّتْ ، إن فيما أبقي الله بقاء الأميرِ عوضاً وافياً وخَلَفاً كافياً . وحقيقُ بمن عَظُمَتِ النعمةُ عليه فيما أبقي الله أن يَحْسُنَ عَزَاؤَهُ عما أُخِذَ منه . وأحقُّ ما صُبرَ عليه ما لا يُسْتَطَاعُ دفعُهُ .

وقرأت في كتاب لبعض الكُتَّابِ في تَعْزِيَةِ : أسأل الله أن يَسُدَّ بك ما ثَلَمْتُ^(١) الأيامُ من مكانه ، ويعمِّرَ ما أَخَلْتُ من مَشَاهِدِهِ وأوطانه حتى لا يَغْفُو الدائر^(٢) ، وأن يَسْتَقْبِلَ لكم أَيَّامَكُمْ بأحسنِ ما أَمْضَاهَا لِمَنْ مَضَى مِنْكُمْ ، فيجعلَكم الخَلْفَ الذي لا وَحْشَةَ معه ولا وَحْشَةَ عليه ، ويتولَّاكم ويتولَّانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتابٍ تَعْزِيَةٍ : لا لَوْمَ على دَمْعَةٍ لا تُمَلِّكُ أن تَسْفَحَهَا^(٣) ، ولا على أَلَمٍ في القلبِ لا يُدْفَعُ أن يَظْهَرَ فيكَ ، ولا عذرٍ في سِوَاهُمَا مما أُخْبِطَ أَجْرَكَ وَأَشْمَتَ عَدُوَّكَ وَضَعَّفَ رَأْيَكَ ، ولم يرجع إليك فائتأولا إلى شقيقِكَ بِمَكَانِهِ رُوحاً ولا إلى من خَلَّفَ حَفْظاً . واعلم أن فرقَ ما بين ذي العقلِ وذِي الجَهِلِ في مَصِيبَتَيْهِمَا تَعَجُّلُ العاقلِ مِنَ الصبرِ ما يَتَأَجَّلُ الجاهلُ .

وقرأتُ في كتابٍ تَعْزِيَةٍ : لو كانت النوائِبُ مَدْفُوعَةٌ عَنْ أَحَدٍ بِكَثْرَةِ مَنْ يَقِيهِ ذَلِكَ مِنْ إِخْوَانِهِ وَيَقْدِرُهُ مِنْهُ بِالْأَخْصَ مِنْ أَعِزَّتِهِ وَالْأَنْفَسِ مِنْ مَالِهِ ، سَلِمَتْ

(١) ثلمت : انتقصت .

(٢) يغفو الدائر : أي يمحي فلا يبقى له أثر .

(٣) تسفحها : تذرفها حزناً .

من مُلِمِّهَا، وكان سَبْقِي إلى ذلك أBRَزَ سَبْقٍ، وحَظِّي بالتَقَدُّم فيه أوفرَ حَظٍّ.

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ: مَصِيبَتُكَ لِي مَصِيبَةٌ، وَمَا نَالَكَ مِنْ أَلَمِهَا لِي مُوَجِعٌ. وَلَوْ كَانَ فِي الْوُسْعِ أَنْ أَعْلَمَ كُنْهَ مَا خَامَرَ قَلْبَكَ مِنْ أَلَمِهَا لَحَمَلْتُ مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّانِي أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أُسْوَتَكَ فِي كُلِّ سَارٍّ وَغَامٍّ، وَأَلَّا أَتَمَتَّعَ بِأَيَّامِ عُمُومِكَ، وَلَا أَقْصَرَ فِيهَا عَنْ مَقْدَارِ حَالِكَ.

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ: نَسَّالَ اللَّهُ حَسَنَ الاسْتِعْدَادِ لِمَا نَتَوَكَّفُهُ^(١) وَنَتَوَقَّعُ حُلُولَهُ، وَأَلَّا يَشْغَلَنَا بِمَا يَقِلُّ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ وَتَعْظُمُ التَّبِعَةُ فِيهِ عَمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا وَهَبَ لَنَا مِنَ الصَّبْرِ وَالْعَزَاءِ إِيْمَانًا وَإِيقَانًا، وَلَا يَجْعَلَهُ ذُهُولًا وَنَسْيَانًا.

قَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ إِذَا قَدِمَتِ الْمَصِيبَةُ تَرَكْتَ التَّعْزِيَةَ، وَإِذَا قَدِمَ الْإِحْيَاءُ قَبَّحَ الثَّنَاءَ.

قِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ مَاتَ ابْنُهَا: مَا أَحْسَنَ عَزَاءَكَ! فَقَالَتْ: إِنْ فَقَدِي إِيَّاهُ أَمْنِي مِنَ الْمَصِيبَةِ بَعْدَهُ. وَنَحْوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢):

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحَدَّهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْأَذِرُ
وَمِثْلُهُ: [طَوِيل]

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى مِنْ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَّاهِيَّةَ: [كَامِل]

(١) نَتَوَكَّفُهُ: نَتَوَقَّعُهُ.

(٢) هُوَ أَبُو نَوَاسِ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ، وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ قَالِهَا فِي رِثَاءِ مُحَمَّدِ الْآمِينِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ.

وكَمَا تَبْلَى وَجْوهٌ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ

وفي الحديث: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا^(١) يُصِيبْ مِنْهُ».

ويقال: المصيبة المَوْجِعَةُ تُدِرُّ^(٢) ذَكَرَ اللَّهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ.

قال الأصمعي: مررتُ بأعرابية وبين يديها فتى في السَّيَاق^(٣)، ثم رجعتُ ورأيتُ في يدها قَدَحَ سَوِيقٍ^(٤) تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟ فقالت: وارَيْنَاهُ؛ فقلت: فما هذا السَّوِيقُ؟ فقالت: [طويل]

على كُلِّ حَالٍ يَأْكُلُ الْقَوْمُ زَادَهُمْ عَلَى الْبُؤْسِ وَالْبَلْوَى وفي الحدَّاثِ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: كَيْفَ حَزُنْتُكَ الْيَوْمَ عَلَى وَلَدِكَ؟ فقال: ما تركَ حُبَّ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ لِي حَزَنًا.

وقال عمر بن عبد العزيز: إِنَّمَا الْجَزَعُ قَبْلَ الْمَصِيبَةِ، فَإِذَا وَقَعَتْ فَأَلَّهُ عَمَّا أَصَابَكَ.

اشتكى بعضُ أهلِ محمد بن علي بن الحسين فَجَزِعَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُخِيرَ بِمَوْتِهِ فَسُرِّي^(٥) عَنْهُ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فقال: ندعو الله فيما نحبُّ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أَحَبَّ.

لما مات عُتْبَةُ بن مسعود قال عبد الله: إِذَا مَا قَضَى اللَّهُ فِيهِ مَا قَضَى فَمَا أَحَبُّ أَنِّي دَعَوْتُهُ فَأُجَابَنِي.

[طويل]

قال رجل من طيء:

(١) يصب منه: أي يبتليه بالمصائب ليثبته عليها.

(٢) تدُرُّ: تكثر، والدَّرُّ: الحلب.

(٣) السَّيَاق: نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه.

(٤) السَّوِيق: نوع من الشراب.

(٥) سُرِّي عنه: أي خف حزنه وزال.

فلولا الأسى^(١) ما عشتُ في الناس ساعةً ولكن إذا ما شئتُ أسعدني مثلي
وقال آخر:

[طويل]

إذا أنت لم تسأل أصطباراً وحسبةً سلوت على الأيام مثل البهائم^(٢)

عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ليشغلك ما أقبل من الموت إليك، عمّن هو في شغل مما دخل عليك، وأعدّد لنزوله عدة تكون لك حجاباً من الجزع وسيراً من النار. فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة تنبه عليها ولا جزعاً يستتر منه، وما توفيقى إلا بالله. فقال محمد: يا أمير المؤمنين، إنه لو أستغنى أحد عن موعظة بفضل لكتته، ولكن الله يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وقال الطائي:

[طويل]

ويفرح بالشيء المعمار بقاؤه
عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبس
ويحزن لما صار وهوله ذخّر
فإن ابنك المحمود بعد آبنك الصبر

وقال أيضاً:

[طويل]

أمالك إن الحزن أحلام نائم
تأمل رويداً هل تعدن سالماً
ومهما يدم فالوجد ليس بدائم
إلى آدم أم هل تعدن آبن سالم

وقال آخر:

[كامل]

اصبر لكل مصيبة وتجلّد
أو ما ترى أن الحوادث جمّة
وأعلم بأن الدهر غير مخلّد
فأذكر مصابك بالنبي محمد
وترى المنية للعباد بمرصد
وإذا أثلك مصيبة تشجى بها

(١) الأسى: جمع أسوة، وهي ما يتعزى ويتأس به الحزين.

(٢) الحسبة: طلب المثوبة والأجر.

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٥.

عَزَى رَجُلُ الرَّشِيدِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ لَكَ الْأَجْرُ لَا بَكَ، وَكَانَ الْعِزَاءُ مِنْكَ لَا عِنْدَكَ.

يَعَزِّي أَهْلُ نَجْرَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ: لَا يُحْزِنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ، أَثَابَكُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ.

عَزَى بَعْضُ الزُّبَيْرِيِّينَ رَجُلًا فَقَالَ: لَا يَصْنَفُ رَبُّعُكَ^(١)، وَلَا يُوحِشُ بَيْتَكَ، وَلَا يَضْعُ أَجْرُكَ، رَحِمَ اللَّهُ مَتَوَفَاكَ، وَأَحْسَنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْكَ.

قال بعض الشعراء:

[طويل]

أَسْكَانُ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَى
فِيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ
فَصَارُوا دِيُونًا لِلْمَنَايَا وَمَنْ يَكُنْ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ
فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا جَزَى
فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوَحِّشًا فَقَدْ بَرَّهْمُ
عَزَى شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ^(٥) رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: أَعْطَاكَ اللَّهُ عَلَى مُصِيبَتِكَ.
أَفْضَلَ مَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ.

(١) لَا يَصْفَرُ رِبْعُكَ: أَيِ لَا يَخْلُو.

(٢) سَكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ: أَيِ الْمَوْتَى، وَسَكَانَ ظَهْرَهَا: الْأَحْيَاءُ.

(٣) الشَّطْرُ: النِّصْفُ، يَعْنِي عِنْدَمَا اسْتَوْفَى الذَّهْرَ شَطْرَهُ مَالٌ إِلَى شَطْرِي يَتَقَاسَمَنِي فِيهِ.

(٤) حَيِّ الْخَوْفِ: أَيِ أَنْ حَيَاتِي كَانَتْ فِي خَوْفٍ عَلَيْهِمْ.

(٥) شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ الْمَنْقَرِيُّ، أَبُو مَعْمَرٍ أَدِيبُ الْمُلُوكِ، وَجَلِيسُ الْفُقَرَاءِ وَأَخُو الْمَسَاكِينِ، مِنْ أَصْلِ الْبَصْرَةِ.

وقال العُتْبِيُّ :

[منسرح]

ما عالَجَ الحزنَ والحِراةَ في الـ
فُجِعْتُ بابنِي لِسِ بَيْنَهُمَا
وَكُلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الـ

وقال أيضاً :

[متقارب]

لَا يَزْجُرُ الدَّهْرُ عَنَا المُنُونَا
وَأُنْحَى عَلَيَّ بِلا رَحْمَةٍ
وَكُنْتُ أبا سَبْعَةٍ كَالْبَدُورِ
فَمَرُّوا على حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
فَبَأَفَنْتَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً
وَأَلْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى ضَارِحٍ (١)
وَمَا زَالَ ذَلِكُ ذَابَ الزَّمَانُ
وَحَتَّى بَكَى لِي حُسَادُهُمْ
وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي
وَكَانُوا على ظَهَرِهَا أَنْجُمًا
فَمَنْ كَانَ يُسْلِيهِ مَرُّ السَّنِينِ
وَمِمَّا يَسْكُنُ وَجْدِي بِهِمْ

يُبْقِي البَنَاتِ وَيُفْنِي البَنِينَا (٢)
فَلَمْ يُبْقِ لِي فِي جُفُونِي جَفُونَا (٣)
أَفْقَى بِهِمْ أَعْيُنَ الحَاسِدِينَا
كَمَرُ الدَّرَاهِمِ بِالنَّاقِدِينَا
إِلَى أَنْ أَبَادَتَهُمْ أَجْمَعِينَا
وَأَلْقَيْنَ هَذَا إِلَى دَافِنِينَا
نُفْنِي الأَوَائِلَ فَالأَوَّلِينَا
فَقَدْ أَقْرَحُوا بِالدَّمُوعِ الجَفُونَا
تَرَى حَاسِدِيهِ لِه رَاحِمِينَا
فَأَضْحَوْا إِلَى بَطْنِهَا يُنْقَلُونَا
فَحُزْنِي يَجِدُّهُ لِي السَّنُونَا
بِأَنَّ المُنُونِ سَتَلْقَى المُنُونَا

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا عَزَى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبةٌ

(١) عالَجَ: أي ذاق وأحسَّ.

(٢) والعدد.

(٣) يَجِدُّهُ الأبد: أي أَنَّ حَزَنِي مُتَجَدِّدٌ بِلا نِهَايةٍ.

(٤) يَزْجُرُ: من زَجَرَ بمعنى منع وردَّ. - (٥) أُنْحَى عليه: رماه وقصده.

(٦) الضارح: وصفٌ من ضَرَحَ اللَّمِيتَ: إذا حَفَرَ لَهُ والضريح: القبر.

ولامع الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعد؛ اذكروا فقد رسول الله ﷺ تَصَغُرُ مصيبتُكم؛ وعظَّم الله أجرَكم.

وكان علي رضي الله عنه إذا عَزَى رجلاً يقول: إن تَجَزَّعَ فأهلُ ذلك الرَّجْمُ، وإن تصبر ففي الله عَوْضٌ من كل فائب؛ وصلى الله على محمد، وعظَّم الله أجرَكم.

وقال أعرابي: [طويل]
أُيَغْسَلُ رَأْسِي أَوْ تَطِيبُ مَشَارِبِي وَوَجْهُكَ مَعْفُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبٌ
نَسِيكَ مِنْ أَسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ وَارَى التَّرَابُ نَسِيبٌ
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَخِي وَهُوَ مَيِّتٌ كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ قَرِيبٌ
وقال أعرابي: [طويل]

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقْمَنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا
وقال آخر: [طويل]
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَيْ مِنْ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
وَأَجْزَعُ أَنْ يَنْأَى بِهِ بَيْنَ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيْنَ صَارِ مِعَادِهِ الْحَشْرُ
وقال آخر: [طويل]

وَإِنَّا وَإِخْوَانُنَا لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا لِكَاالْمَغْتَدِي وَالرَّائِحِ الْمَتَهَجِّرِ^(١)
وقال سليمان الأعجمي: [مديد]
رَبِّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عَدِمَتَهُ كَفُّ مَغْتَرَسِهِ^(٢)

(١) الغدو والرواح: الغدو: الصباح، والرواح: المساء والمعنى أنَّ حياة الناس تشبه مسيرة النهار وشمسه فهي تبدأ بالولادة التي هي الإشراف وتنتهي بالموت الذي هو المغيب.

(٢) عديمته: افتقدته.

وكذاك الدهر مأتْمُه أقرب الأشياء من عُرسِه

وتمثل معاوية بن أبي سفيان يوماً فقال: [طويل]

إذا سار مَنْ خلفَ أمرىءٍ وأمامه وأوحش من جيرانه فهو سائرٌ

وقال آخر: [خفيف]

وإذا قيل مات يوماً فلانٌ راعنا ذاك ساعةً ما نُجير^(١)

نذكر الموت عند ذاك وننسا إذا غيَّبته عنا القبورُ

وقال آخر: [وافر]

نُراع من الجنائز قابلتنا ونلهو حين تَخفى ذاهبات

كَروعة ثلَّةٍ لمُغارٍ سبع فلما غاب ظَلَّت راتعات^(٢)

وقال أبو نواس: [مجزوء الخفيف]

سبقونا إلى الرِّحى لـ وإنَّا لبالأثر

وكتب رجل إلى بعض الأمراء في تعزية: الأميرُ أذكُرُ لله من أي يُذكرُ

به، وأعلمُ بما قضاَه على خلقه من أن يُدَلَّ عليه، وأسلكُ لسبيل الراشدين في

التسليم لأمره والصبر على قَدَرِه والتنجُّز لوعده، من أن يُنبَّه من ذلك على

حظِّه، أو أن يحتاج معزِّيَه عند حادثِ المصيبة إلى أكثر من الدعاء في قضاء

حقِّه. فزاده الله توفيقاً إلى توفيقه، وأخضره رشده، وسدَّد للصواب غرضه،

وتولَّاه بالحُسنى في جميع أموره، إنه سميعٌ قريب. وقد كان من حادث قضاء

الله في المتوفَّى ما أنقَضَ وأرْمَضَ^(٣)، وفجع وأوجع، علماً بما دخل على الأمير

(١) راعاً: من الروع وهو الخوف والوجوم، ونحير: أي لا ندري ماذا نفعل أو نجيب.

(٢) الثَّلَّة: جماعة الغنم الكثيرة، والثَّلَّة بالضم: جماعة الناس، ومنها قوله تعالى في سورة

الواقعة: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الآيات ١٣ و١٤، والراتعات: من رتعت

الماشية أي أكلت ما شاءت.

(٣) أنقض: أثقل، وأرْمَض: أوجع.

من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أنسه من الوحشة، إلى ما خَصَنِي منه بماسِّ الرَّجْمِ وأَوْشَجِ القَرَابَةِ. فَأَعْظَمَ اللهُ لِلأَمِيرِ الأَجْرَ، وَأَجْزَلَ لَهُ الذُّخْرَ، وَعَصَمَهُ بِالْيَقِينِ، وَأَنْجَزَ لَهُ مَا وَعَدَ الصَّابِرِينَ؛ وَرَجَمَ الْمَتَوَفَّى وَلَقَّاهُ الأَمَنَ وَالرُّوْحَ، وَفَسَحَ لَهُ فِي الْمَضْجَعِ، وَجَمَعَهُ وَإِيَّاهُ بَعْدَ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ فِي الدَّارِ الَّتِي لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

وفي كتاب: نحن نَحْمَدُ اللهَ أَيُّهَا الأَمِيرُ إِذْ أَخَذَ عَلَيَّ مَا أَبْقَى مِنْكَ، وَإِذْ سَلَبَ عَلَيَّ مَا وَهَبَ بِكَ؛ فَأَنْتَ الْعَوْضُ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، وَالْجَابِرُ لِكُلِّ مِصِيبَةٍ، وَالْمُؤْنَسُ مِنْ وَحْشَةٍ كُلِّ فَقْدٍ؛ وَحَقٌّ لِمَنْ كُنْتَ لَهُ وَلِيًّا وَعَضُدًا أَنْ يَشْغَلَهُ حَمْدُ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ عَنِ الْجَزَعِ عَلَى غَيْرِكَ.

وكتب سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: لَيْسَ الْمَعْرَى عَلَى سُلُوكِ السَّبِيلِ الَّتِي سَلَكَهَا النَّاسُ قَبْلَهُ وَالْمُضَيِّ عَلَى السَّنَةِ الَّتِي سَنَهَا صَالِحُوا السَّلَفِ لَهُ؛ وَقَدْ بَلَغَنِي مَا حَدَثَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ فِي أَمِّ الأَمِيرِ، فَنَالَنِي مِنَ أَلَمِ الرِّزْيَةِ وَفَاجِعِ الْمِصِيبَةِ مَا يَنَالُ خَدَمَهُ الَّذِينَ يَخْصُصُهُمْ مَا خَصَّهُ مِنَ النِّعَمِ، وَيَتَصَرَّفُونَ مَعَهُ فِيمَا تَنَاوَلَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْمَحْنِ. فَأَعْظَمَ اللهُ لِلأَمِيرِ الأَجْرَ، وَأَجْزَلَ لَهُ الْمَثُوبَةَ وَالذُّخْرَ، وَلَا أَرَاهُ فِي نِعْمَةٍ عِنْدَهُ نَقْصًا، وَوَفَّقَهُ عِنْدَ النِّعَمِ لِلشُّكْرِ الْمَوْجِبِ لِلْمَزِيدِ، وَعِنْدَ الْمَحْنِ لِلصَّبْرِ الْمَحْرُزِ لِلثَّوَابِ، إِنَّهُ هُوَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ. وَرَحِمَ اللهُ الْمَاضِيَةَ رَحْمَةً مِّنْ رِّضَى سَعِيٍّ وَجَازَاهُ بِأَحْسَنِ عَمَلِهِ. وَلَوْ كَانَتِ السَّبِيلُ إِلَى الشُّخُوصِ^(١) إِلَى بَابِ الأَمِيرِ سَهْلَةً، لَكَانَ اللهُ قَدْ أَجَلَ الأَمِيرَ عَنْ أَنْ يَعْرِيزَهُ مِثْلِي بِالرُّسُولِ دُونَ اللِّقَاءِ، وَبِالْكِتَابِ دُونَ الشَّفَافِ، وَلَكِنْ الْكِتَابُ لِقَاءٌ مِّنْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْحَرَكَةِ، وَقَبُولُ الْعُذْرِ عَمَّنْ جِيلَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ الْوَاجِبِ.

ولا بن مكرم : وَمَا حَرَّكَنِي لِلْكِتَابِ تَعَزِيَّتُكَ بَمَنْ لَا تَرْمِيكَ الْآيَامُ بِمِثْلِ

الحادث فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان الله أعاره من قوّة العقل وأصالة الرأي، ومدّ له من عنايه^(١) إلى قُصوى الغايات، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على ما أفاتتنا الأيام منه حين تمّ واستوى، وغالَى في المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به؛ وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهل^(٢) لك في العمر، وأجزل لك العوض والذخر. فكلّ ماضٍ من أهل فانت سدادٌ ثلّمه^(٣)، وجابر رزيتّه. وقد خلف من أنت أحقّ الناس به من عجوزٍ وليت تربيتك وجياطتك في طبقات سنّك، وولّد ربّوا في جحرِكَ ونبتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مقيّل^(٤) إلا في ذراك؛ فأنشدك الله فيهم فإنه أخرب أحوالهم بعمارة مروءته، وقطعهم بصلة فضله، والله يجزيه بجميل أثره ويخلفه فيهم بما هو أهله. وفي فصل من كتاب: وقد جرى قضاء الله في هذه النازلة ما نطق عمّا نالك وأبقى عندك، وهو حقّ مثّلها وقدّر ملّمها^(٥).

وفي فصل آخر: لو كان ما يمسك من أذى يشتري أو يفقدى، رجوت أن أكون غير باخلٍ بما تضرّ به النفوس، وأن أكون سترًا بينك وبين كل ملّمٍ ومحدورٍ. فأعظم الله أجرك، وأجزل ذُخرك، ولا خذل صبرك ولا فتنك؛ ولا جعل للشيطان حظًّا فيك ولا سبيلًا عليك.

المدائني قال: قدِم رجل من عبسٍ، ضَريُّرٌ محطوم الوجه^(٦)، على

(١) العنان: الزمام.

(٢) مهّل لك في العمر: أي أطاله ومدّه.

(٣) سداد ثلّمته: أي يعوّض وجودك النقص الذي حلّ بغيايه.

(٤) المقيّل: المقام والراحة.

(٥) البازلة: المصيبة.

(٦) ملّمها: أي مصابها.

(٧) محطوم الوجه: أي في وجهه آثار لطم.

الوليد؛ فسأله عن سبب ضُرِّه، فقال: بِتُّ لَيْلَةً فِي بطنِ وادٍ ولا أعلم على الأرض عَسِيًّا يَزِيدُ مَالَهُ على مَالِي، فَطَرَقْنَا سَيْلٌ فَأَذْهَبَ مَا كَانَ لِي مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ وولِدَ إِلَّا صَبِيًّا رَضِيْعًا وَبَعِيرًا صَعْبًا، فَندَّ^(١) البعيرُ والصبيُّ معي فوضعتُهُ وَأَتَّبَعْتُ البعيرَ لِأَحْبِسَهُ، فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا ورَأْسَ الذُّئْبِ فِي بطنِهِ قَدْ أَكَلَهُ، فَتَرَكْتُهُ وَأَتَّبَعْتُ البعيرَ، فَاسْتَدَارَ فَرَمَحَنِي رَمْحَةً حَطَمَ بِهَا وَجْهِي وَأَذْهَبَ عَيْنِي، فَأَصْبَحْتُ لَا ذَا مَالٍ وَلَا ذَا وَلَدٍ. فقال الوليد: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى عُرْوَةٍ لِيَعْلَمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ بَلَاءً مِنْهُ؛ وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أُصِيبَ بِابْنٍ لَهُ وَأَصَابَهُ الدَّاءُ الْخَبِيثُ فِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ فَقَطَعَهَا، فَكَانَ يَقُولُ: كَانُوا أَرْبَعَةً - يَعْنِي بَنِيهِ - فَأَبْقَيْتُ ثَلَاثَةً وَأَخَذْتُ وَاحِدًا، وَكُنُّ أَرْبَعًا - يَعْنِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ - فَأَخَذْتُ وَاحِدًا؛ وَأَبْقَيْتُ ثَلَاثًا. أَحْمَدُكَ، لَئِنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَقَدْ أَبْقَيْتُ، وَلَئِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ لَقَدْ عَافَيْتُ. وَشَخِصَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَتَاهُ النَّاسُ يَبْكُونَ وَيَتَوَجَّعُونَ؛ فَقَالَ: إِنْ كُنْتُمْ تُعِدُّونَنِي لِلْسَّبَاقِ وَالصَّرَاعِ فَقَدْ أَوْدَى^(٢)، وَإِنْ كُنْتُمْ تُعِدُّونَنِي لِللَّسَانِ وَالْجَاهِ فَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا.

وقال علي بن الجهم: [سريع]

مَنْ سَبَقَ السَّلْوَةَ بِالصَّبْرِ فَازَ بِفَضْلِ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ
يَا عَجَبًا مَنْ هَلَعَ جَاوِزٍ يُصْبِحُ بَيْنَ الدِّمِّ وَالْوِزْرِ
مَصِيبَةُ الْإِنْسَانِ فِي دِينِهِ أَعْظَمُ مِنْ جَائِحَةِ الدَّهْرِ^(٣)

وقال بعض الشعراء^(٤): [مجزوء الرمل]

لَيْتَ شَعْرِي ضَلَّةً أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ^(٥)

(١) ندَّ البعير: شرد.

(٢) أودى: ذهب وانقضى.

(٣) جائحة الدهر: مصيبته وصروفه.

(٤) قيل: إن هذه الأبيات لأم تآبط شرًا، وقيل: لأم السليك بن السليكة.

(٥) ضلّة: عدم التوفيق والرشاد.

والمنايا رَصَدُ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلُ
لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمْتُ
أَيُّ شَيْءٍ حَسَنِ
للفتى حيث سَلَكَ
حين تلقى أَجَلَكَ
للمنايا بِذَلِكَ
للفتى لم يَكْ لَكَ

وقال آخر: [مجزوء الكامل المرفل]

عُرَّ امرؤ مَنَّتَه نَفْ
هيهات! أعياء الأولي
سُ أن تدوم له السلامه
ن دواء دائك يا دعامة

وقالت صفية الباهلية في أخيها: [بسيط]

كنا كغصنين في جُرْثومة سَمَوَا
حتى إذا قيل قد طالت فرزعهما
أخنى على واحدي ربُّ الزمانِ ولا
كنا كأنجم ليلٍ وَسَطْنَا قَمْرُ
ومن هذا أخذ الطائي قوله:
جينا بأحسن ما تسمو له الشجر^(١)
وطاب قنواهما وأستنظر الثمر^(٢)
يُبقِي الزمانُ على شيءٍ ولا يَذَرُ^(٣)
يجلو الدُّجَى فهوى من بيننا القمرُ

[طويل]

كأن بني نُبْهانَ يومَ وفاته
نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ

[طويل]

لكلِّ أناسٍ مَقْبَرٌ بِفنائهم
وما إن يزالَ رسمُ دارٍ قَدْ اخلَقَتْ
هُمُ حَيْسَرَةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم
فهم ينقُصُونَ والقبورُ تَزِيدُ^(٤)
وبيتٌ لَمِيتٍ بالفناء جديداً
فدانٍ وأمّا الملتقى فبعيدا

وقال آخر:

(١) الجرثومة: الأصل.

(٢) القنوا: العذق، وهو من النخل كالعنقود من العنب.

(٣) أخنى عليه الزمن: أهلكه وأتى عليه.

(٤) مقبر: موضع القبور، والفناء: الجانب، وفناء الدار: ما امتد من جوانبها.

وقال آخر:

[بسيط]

لا يَتَّبِعُ اللهُ أَقْوَامًا لَنَا ذَهَبُوا
نَمُدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا
أَفَنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ
وَلَا يَوُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ^(١)

وقال النابغة:

[بسيط]

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا
هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِي

وقال آخر:

[طويل]

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِقْبَةً
أَلَا لِيَمُتَ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
فَحَالُ قَضَاءِ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا^(٢)
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

وقال آخر:

[طويل]

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فِعَالَهُ
وَلَكِنَّهُ وَارَى ثِيَاباً وَأَعْظَمَا^(٣)

فَصَالَةُ بْنُ شَرِيكٍ:

[وافر]

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيْضاً
بِفَادِحَةٍ سَمَدَنْ لَهَا سُودَا^(٤)
وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا

وقال آخر:

[كامل]

أَمَّا الْقُبُورُ فَلِإِنَّهِنَّ أَوَانِسُ
عَمَّتْ مَصِيبُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ
بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالِدِيَارُ قُبُورٍ
وَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ
فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنَشُورُ^(٥)

(١) يُوُوبُ: يرجع.

(٢) أَمْلَأَكَ: أمتع بك، والحقبة: المدة من الزمن.

(٣) وَارَى التُّرَابُ: أي أخفى، كناية عن الموت والفناء.

(٤) السُّود: الغفلة وذهاب القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾، أو هو تغيّر الوجه من

الحزن، وقيل معناه: رفعن رؤوسهنّ ينحنين.

(٥) الصنائع: الأعمال الكريمة، والنشر: الطيب، ومنشور: مبعوث وحي.

منصور النَّمْرِيّ^(١) : [طويل]

فَإِنْ يَكْ أَفْتَنَتْهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا

وَقَالَ طُفَيْلٌ^(٢) يَذْكُرُ الْمَوْتَ : [طويل]

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ وَصَرَفُ الْمَنَايَا بِالرَّجَالِ تَقَلَّبُ

وَقَالَ هِشَامُ أَخُو ذِي الرُّمَّةِ : [طويل]

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَأَنَ مُتَرَعُ^(٣)

وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ^(٤)

وفي فصل من كتاب لبعض الكتاب : لست أحتاج مع علمك بما في الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما في الشكر عن حادث النعمة من الحظ، إلى أكثر من الدعاء في قضاء الحَقَّين، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتماض^(٥) لضرائك والجدل^(٦) بسرائك، لمعرفتك بشركتي لك واتصال حالك بي في الأمرين.

التهاني

حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَخْزَمٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّاجِي قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْحَسَنِ، فَقَالَ رَجُلٌ : لِيَهْنِئْكَ الْفَارِسُ ؛ فَقَالَ :

(١) منصور النمرى : هو منصور بن سلمة بن الزبرقان من النمر بن قاسط وكان مع الرشيد مقدماً،

يمت إليه بأمر العباس بن عبد المطلب التمرية، شاعر جيد.

(٢) هو طفيل الغنوي بن عوف بن كعب بن بني غني من قيس عيلان. شاعر جاهلي فحل. وهو أوصف العرب للخيول وربما سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه لها.

(٣) غيلان : ذو الرمة وأوفى أخوه، ومترع : ممتلىء بالدموع.

(٤) النكء : مصدر نكأ، ونكأ الفرحه إذا قشرها قبل أن تبرا.

(٥) الارتماض : الحزن والألم.

(٦) الجدال : الفرح والمسرور.

لعله يكون بَغَالًا^(١)، ولكن قال: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشده، ورزقت برّه.

قال مُجاهد: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لمتزوج قال: «على اليُمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمن».

قال أبو الأسود لرجل يهنته بتزويج: باليمن والبركة، وشدة الحركة، والظفر في المعركة.

وكان رسول الله ﷺ ينهى أن يقال: «بالرفاء والبنين»^(٢).

وكان يقال: إن أول من هنا وعزى في مقام واحد عطاء بن أبي صيفي الثَّقَفِي، عزى يزيد بن معاوية بأبيه وهناه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام، فقال: أصبحت زُرْتُ خليفةً وأُعطيت خلافة الله. قضى معاوية نجه، فغفر الله ذنبه؛ ووليت الرياسة، وكنت أحق بالسياسة؛ فأحتسب عند الله أعظم الرزي، وأشكر الله على أعظم العطية. وعظم الله في أمير المؤمنين أجرك، وأحسن على الخلافة عونك.

وقالت أعرابية للمنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس: أعظم الله أجرك في أخيك؛ لا مصيبة على الأمة أعظم من مصيبتك، ولا عوض لها أعظم من خلافتك.

قال الحجاج لأيوب بن القريّة: اخطب عليّ هند بنت أسماء، ولا تزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمير مُعطيكم ما تسألون، أفنتكحون أم تردّون؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع

(١) البغال: راكب البغال، والبغال تعجز عن تسأوا الخيل.

(٢) الرفاء: الإلتحام والإنفاق.

أَبْنُ الْقُرَيْبَةِ إِلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ: أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ، وَجَمَعَ شَمْلَكَ، وَأَنْبَتَ رَيْعَكَ؛ عَلَى الثِّبَاتِ وَالنَّبَاتِ، وَالْغَنَى حَتَّى الْمَمَاتِ؛ جَعَلَهَا اللَّهُ وَدُوداً وَلُوداً، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا عَلَى الْبَرَكَةِ وَالْخَيْرِ.

كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى رَجُلٍ يَهْتَنُ بِدَارِ انْتَقَلِ إِلَيْهَا: بِخَيْرِ مُنْتَقِلٍ، وَعَلَى أَيْمَنِ طَائِرٍ، وَلَأَحْسَنِ إِبَّانٍ^(١)، أَنْزَلَكَ اللَّهُ عَاجِلاً وَآجِلاً خَيْرَ مَنَازِلِ الْمُفْلِحِينَ.

وَقَالَ ابْنُ الرَّقَّاعِ^(٢) لِمَتَزَوَّجٍ:

قَمَرُ السَّمَاءِ وَشَمْسُهَا اجْتَمَعَا بِالسَّعْدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعَا
مَا وَرَاتِ الْأَسْتَارُ مَثَلَهُمَا فِيمَنْ رَأَيْنَاهُ وَمَنْ سُمِعَا
دَامَ السُّرُورُ لَهُ بِهَا وَلَهَا وَتَهَنَّا طَوْلَ الْحَيَاةِ مَعَا

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَهْتَنُ بِالْدُخُولِ عَلَى أَهْلِهِ: قَدْ بَلَغَنِي مَا هَيَّا اللَّهُ لَكَ مِنْ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ، بَضَمِّ الْأَهْلِ؛ فَشَرِكْتُكَ فِي النِّعْمَةِ، وَكُنْتُ أُسَوِّتُكَ فِي السُّرُورِ، وَشَاهَدُكَ بِقَلْبِي، وَمَثَلْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ لِعَيْنِي، فَحَلَلْتُ بِذَلِكَ مُحَلَّ الْمَعَايِنِ لِلْحَالِ وَزَيْتِهَا، فَهَنِيئاً هُنَاكَ اللَّهُ مَا قَسَمَ لَكَ، وَبِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ، وَعَلَى طَوْلِ التَّعْمِيرِ وَالسَّنِينَ.

وَكَتَبَ آخَرُ مِنَ الْكُتَّابِ إِلَى عَامِلٍ: نَحْنُ مِنَ السُّرُورِ، بِمَا قَدْ اسْتَفَاضَ مِنْ جَمِيلِ أَثَرِكَ فِيمَا تَلَى مِنْ أَعْمَالِكَ، وَخَطَمِكَ^(٣) وَزَمَمِكَ إِيَّاهَا بِحَزْمِكَ وَعَزَمِكَ، وَانْتِيَاشِكَ أَهْلَهَا مِنْ جَوْرِ مَنْ وَلِيَهُمْ قَبْلَكَ، وَسُرُورِهِمْ بِتَطَاوُلِ

(١) إِبَّانٌ: وَقْتُ وَمَدَّة.

(٢) ابْنُ الرَّقَّاعِ: هُوَ عَدِي بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الرَّقَّاعِ مِنْ عَامِلَةٍ. شَاعِرٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ يَكْنَى أَبَا دَاوُدَ كَانَ مُعَاصِراً لَجَرِيرٍ مُهَاجِياً لَهُ.

(٣) الْخَطَمُ: مِنَ الْخَطَامِ وَهُوَ مَا تَرْمِيهِ النَّاقَةُ وَغَيْرُهَا انْتِيَاشُكَ: انْتِشَالُكَ وَتَخْلِيصُكَ.

أَيَّامِكَ وَالْكُونِ فِي ظِلِّ جَنَاحِكَ، فِي غَايَةِ مَنْ تَخَصَّصَهُ وَتَعَمَّمَهُ نِعَمُكَ، وَتَجَوَّلَ بِهِ الْحَالِ حَيْثُ جَالَتْ بِكَ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَكَ، وَلَمْ يَرُدِّدْ عَلَيْنَا آمَالَنَا مَنكُوسَةً فِيكَ، كَمَا رَدَّهَا عَلَى غَيْرِنَا فِي غَيْرِكَ. وَهَنِيئاً هُنَاكَ اللَّهُ نِعَمَهُ خَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَأَوْزَعَكَ شُكْرَهَا، وَأَوْجِبَ لَكَ بِالشُّكْرِ أَحْسَنَ الْمَزِيدِ فِيهَا.

وكتب رجلٌ من الكتَّابِ إلى نَصْرَانِيٍّ قَدْ أَسْلَمَ يَهْنَثُهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْشَدَ أَمْرَكَ، وَخَصَّ بِالتَّوْفِيقِ عَزْمَكَ، وَأَوْضَحَ فَضِيلَةَ عَقْلِكَ، وَرَجَّاحَةَ رَأْيِكَ؛ فَمَا كَانَتْ الْأَدَابُ الَّتِي حَوَيْتَهَا، وَالْمَعْرِفَةُ الَّتِي أَوْتَيْتَهَا؛ لِتَدُومَ بِكَ عَلَى غَوَايَةِ وَدِيَانَةِ شَائِنَةٍ^(١) لَا تَلِيقُ بِلُبِّكَ، وَلَا يَبْرَحُ ذُووُ الْحِجَا مِنْ مُوجِبِي حَقِّكَ يُنْكِرُونَ إِبْطَاءَكَ عَنْ حَظِّكَ وَتَرْكَكَ الْبِدَارِ^(٢) إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ وَلَا يُثِيبُ إِلَّا بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِمَّنْ هَدَاهُ لِدِينِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ، وَشَرَّفَهُ بِوَلَاءِ خَلِيفَتِهِ. وَهَنَاكَ اللَّهُ نِعَمَتَهُ، وَأَعَانَكَ عَلَى شُكْرِهِ؛ فَقَدْ أَصْبَحْتَ لَنَا أَخاً نَذِينَ بِمُودَّتِهِ وَمُؤَالَاتِهِ بَعْدَ التَّائِبِ مِنْ خُلْطَتِكَ^(٥) وَمُخَالَفَةِ الْحَقِّ بِمَشَايِعَتِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٦).

وكتب رجلٌ من الكتَّابِ تَهْنِئَةً بِحُجِّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَمَامِ مُهَاجَرِكَ، وَسَلَامَةٍ بِدَأْتِكَ وَرَجَعْتِكَ، وَإِعْظَامِهِ الْمِنَّةَ بِأَوْبَتِكَ؛ وَشُكْرَ اللَّهِ سَعِيكَ،

(١) الشائنة: العمل الذي يلحق بصاحبه العيب..

(٢) البدار: المسارعة.

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٥) الخلطة: من الاختلاط أي المعاشرة.

(٦) سورة المجادلة الآية ٢٢.

وَبَرَّحَجَّكَ، وَتَقَبَّلْ نُسُكَكَ؛ وَجَعَلَكَ مَمَّنْ قَلْبَهُ مُفْلِحاً مُنْجِحاً، قَدْ رَبِحْتَ صَفْقَتَهُ، وَلَمْ تَبْرُ تِجَارَتُهُ^(١)، وَلَا أَعْدَمَكَ نِيَّةَ تَفْضُلِ عَمَلِكَ، وَتَوْفِيقاً يَحُوطُ دِينَكَ، وَشُكْرًا يَرْتَبِطُ نِعْمَتِكَ؛ فَهَنَّاكُمْ اللَّهُ النِّعْمَةَ، وَجَمَعَكُمْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، وَجَعَلَكُمْ سَاسَةَ الْأُمَّةِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ عِنْدَ الْإِمَامِ - أَيْدِهِ اللَّهُ بِالطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ - فَإِنَّكُمْ أَرْزَيْنُ السُّلْطَانَ، وَعُمْدَةُ الْإِخْوَانِ، وَأَصْدَادُ أَكْثَرِ أَهْلِ الزَّمَانِ.

وكتب إلى رجلٍ عن صديقٍ له يهنئه بِفِطَامٍ مَوْلُودٍ: أَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِمَا حَمَلَنِي اللَّهُ مِنْ أَيْدِيكَ، وَأَوْدَعَنِي مِنْ إِحْسَانِكَ، وَالزَّمَنِي مِنْ شُكْرِكَ، أَخَذَ نَفْسِي بِمِرَاعَةِ أُمُورِكَ، وَتَفَقَّدَ أَحْوَالَكَ، وَتَعَرَّفَ كُلَّ مَا يُحْدِثُهُ اللَّهُ عِنْدَكَ، لِأَقَابِلَهُ بِمَا يَلْزَمُنِي، وَأَقْضِي الْحَقَّ فِيهِ عَنِّي بِمَبْلَغِ الْوُسْعِ وَمِقْدَارِ الطَّاقَةِ، وَإِنْ كَانَا لَا يُلْغِيَانِ وَاجِبَكَ، وَلَا يَسْتَقِلَّانِ بِثَقْلِ عَارِفَتِكَ. وَكُلُّ مَا نَقُلُ اللَّهُ الْفَتَى وَبَلَغَهُ مِنْ أَحْوَالِ الْبُلُوغِ وَرَقَاهُ فِيهِ مِنْ دَرَجَاتِ النَّمْوِ، فَنِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ حَادِثَةٌ تُلْزِمُ الشُّكْرَ، وَحَقٌّ يَجِبُ قِضَاؤُهُ بِالتَّهْنِئَةِ. وَكُتِبَ إِلَيَّ وَكِيلِي الْمَقِيمُ بِبَابِكَ يَذْكُرُ مَا وَهَبَ اللَّهُ مِنْ سَلَامَتِهِ عِنْدَ الْفِطَامِ، وَصَلَاحِ جِسْمِهِ عِنْدَ الطَّعَامِ، وَسَلَوْتِهِ عَنْ أَوَّلِ الْغِذَاءِ، وَسُرُورِكَ وَمَنْ يَلِيكَ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنْ عَافِيَتِهِ وَحَسَنِ الْمَدَافِعَةِ عَنْهُ؛ فَأَكْثَرْتُ لِلَّهِ الْحَمْدَ، وَأَسْهَبْتُ^(٢) فِي الدُّعَاءِ وَالرَّغْبَةِ، وَتَصَدَّقْتُ عَنْهُ بِمَا أَرْجُو أَنْ يَقْبَلَهُ؛ وَكُتِبَتْ مَهْنَةً بِتَجَدُّدِ النِّعْمَةِ عِنْدَكُمْ فِيهِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَتَطَوِّلِ^(٣) عَلَيْنَا قَبْلَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَالْمُجْرِي لَنَا فِيمَا يُؤَلِيكَ عَلَى حَسَنِ عَادَتِهِ. وَهَنَّاكَ اللَّهُ النِّعْمَ، وَصَانَهَا عِنْدَكَ مِنَ الْغَيْرِ^(٤)، وَحَرَسَهَا بِالشُّكْرِ، وَبَلَغَ

(١) تَبْرُ تِجَارَتُهُ: تَكْسُدُ.

(٢) أَسْهَبْتُ: أَطَالْتُ.

(٣) الْمَتَطَوِّلُ: الْمُتَفَضِّلُ.

(٤) الْغَيْرُ: الْأَحْدَاثُ وَالصَّرُوفُ.

بألفتي أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنه وفضله.

وكتب بعض الكتاب تهنئة بحجّ إلى صاحبه: الحقّ للسادة عند ما يجدّه الله لهم من نعمه في الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم. وقد خصّ الله حقك بما لا يسعني معه آذخار مجهود في تعظيمه وشكره. ولولا أنّ الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنك لي في تلقّيك راجلاً بالأوبة، إذ كان الكتاب بها دون السعير بأبلغ نصيب من التقصير. وأنا أسأل الله الذي أوفدك إلى بيته الحرام، وعمر بك مشاهدته العظام؛ وأوردك حرمة سالمًا، وأصدرك^(١) عنه غانمًا؛ ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يهنّئك بما أنعم به عليك في بذاتك ورجعتك؛ بتقبّل السعي ونجح الطلبة وتعريف الإجابة.

وكتب بعض الكتاب تهنئة بولاية: فإنه ليس من نعمة يجدّها الله عندك، والصنع الجميل تُحدثه لك الأيام، إلّا كان ارتياحي له واستبشاري به واعتدادي بما يهب الله لك من ذلك، حسب حقك الذي توجه، وبرك الذي أشكره، وإخائك الذي يعزّز ويحلّ عندي موقعه؛ فجعل الله ذلك فيه وله، ووصله بتقواه وطاعته. وبلغني خبر الولاية التي وليتها، فكنتُ شريكك في السرور وعديلك^(٢) في الارتياح، فسألت الله أن يُعرفك يُمنّها وبركتها، ويرزقك خيرها وعادتها، ويحسن معونتك على صالح نيتك في الإحسان إلى أهل عملك والتألف لهم، واستعمال العدل فيهم، ويرزقك محبتهم وطاعتك، ويجعلهم خير رعية.

وكتب رجل إلى معزول: فإن أكثر الخير فيما يقع بكره العباد، لقول الله

(١) أصدرتك: أي أعادتك، والورود: أتيان الماء والصدور: العودة عنه.

(٢) العدِيل: المثل والشبيه.

عز وجل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ (١). وقال أيضاً: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (٢). وعندك بحمد الله من المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلال بما كان منها على ما يكون، مَغْنَى عن الإكثار في القول. وقد بلغني انصرافك عن العمل على الحال التي آنصرفت عليها من رضا رعيّتك ومحبتهم وحسن ثنائهم وقولهم، لِمَا بَقِيَ من الأثر الجميل عند صغيرهم وكبيرهم، وخَلَقْتَ من عَدْلِكَ وحسن سيرتك في الداني منهم والقاصي من بلدهم؛ فكانت نعمة الله عليك في ذلك علينا، نعمةً جَلَّ قدرُها ووجب شكرُها. فالحمدُ لله على ما أعطاك، ومَنَحَ فيك أوليائك وأرغم به أعداك، ومَكَّنَ لك من الحال عند مَنْ وَلَاكَ؛ فقد أصبحنا نعتدَّ صَرْفَكَ عن عملك مَنَحاً مجدّداً، يجب به تهنّتك، كما يجب التوجُّع لغيرك.

وكتب رجلٌ من الكتاب في تهنئة بحجّ: لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرُ بها تفضُّلك وييسّطه احتمالُك، لكنتُ مكانَ كتابي هذا مهتئاً لك بالأوبة، ومجدّداً بك عهداً، ومُحيياً نفسي بالنظر إليك. وأنا أسأل الله أن يشكرُ سعيك، ويتقبَّلَ حجَّك، ويثبت في علّين أثرك، ولا يجعله من الوفاة (٣) إليه آخر عهدك.

وكتب بعض الكتاب: لا مُهنّيءَ أولى ما يكون مهتئاً، تعظيماً لنعمه فيما جدّد الله لك يا مولاي بالولاية، منّي؛ إذ كنتُ أرجو بها انضمامَ نشري، وتلافيَ الله بعنايتك المتشّتة من أمري. فهَنَّاكَ الله تجدّد النعم، وبارك لك

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٢) سورة النساء الآية ١٩.

(٣) الوفاة: الزيارة.

في الولاية، وأفتحها لك بالصُّنْع الجميل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب.

باب شرار الإخوان

ذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبه فقال: ذاك رجل ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية.

وقال الشاعر:

[طويل]

وإن من الخُلان مَنْ تَشَحَّطُ النُّوى به وهو داعٍ لِلِوَصالِ أمينٌ^(١)
ومنهم صديقُ العينِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فحُلُوْ وأَمَّا غَيْبُهُ فظُنُونٌ^(٢)

أقبل عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ إلى المدينة قبل إسلامه، فلقاه ركبٌ خارجون منها؛ فقال: أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم)، فقالوا: الناس فيه ثلاثة رجال: رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشاً وأفناء العرب^(٣)، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهر الإسلام إذا لقي أصحابه ويُظهر لقريش أنه معهم إذا لقيهم؛ فقال: ما يسمّى هؤلاء؟ قالوا: المنافقون؛ قال: فاشهدوا أنني منهم، فما فيمن وصفتُم أحزُم من هؤلاء.

وكان رجل يدعوا فيقول: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بوائِقَ^(٤) الثُّقاتِ، واحفظني من الصَّدِيقِ.

وكتب رجل على باب داره: جَزَى اللهُ مَنْ لا يَعْرِفُنَا ولا نَعْرِفُهُ خيراً، فأما

(١) الخُلان: الأصحاب، وتشحط النوى: تبعد.

(٢) الظنون: الذي لا يوثق به.

(٣) أفناء العرب: أخلاطهم الذين لا يعرفون من أي القبائل هم.

(٤) البوائق: الغوائل والشُرور، وقيل الظلم والغشم.

أصدقاءنا فلا جُزُوا ذلك، فإننا لم نؤت قط إلا منهم^(١).

وكتب إبراهيم بن العباس^(٢) إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

[متقارب]

وكنْتَ أخِي بإخاء الزمانِ فلما نَبَا صِرْتَ حرباً عواناً^(٣)
وقد كنتُ أشكو إليك الزمانَ فأصبحتُ فيكَ أذمَّ الزمانا
وكنْتَ أُعِدُّكَ للنائيات فها أنا أطلبُ منك الأمانا
وقال محمد بن مهدي :

كَانَ صَدِيقِي وَكَانَ خَالِصِي أَيَّامَ نَجْرِي مَجَارِي السُّوقِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ وَالْمَلُوكُ مَعاً عَدَّ أَطْرَاجِي مِنْ صَالِحِ الْخُلُقِ^(٤)
خَلَّيْتُ ثُوبَ الْفِرَاقِ فِي يَدِهِ وَقُلْتُ هَذَا الْوَدَاعُ فَاَنْطَلِقِ
لَيْسَتْهُ لَيْسَةُ الْجَدِيدِ عَلَى الدِّ قُرَّ وَفَارَقَ فُرْقَةَ الْخَلْقِ^(٥)
وقال آخر :

إِذَا مَا رَأَيْتَ امْرَأً فِي حَالِ عُسْرَتِهِ مُوَاصِلاً لَكَ مَا فِي وَدِّهِ خَلَلُ^(٦)
فَلَا تَمَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ غِنًى فَإِنَّهُ بَانْتِقَالَ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

وكتب رجلٌ إلى صديقٍ أعرض عنه : لولا أَنِّي أَشْفَقْتُ مِنْ أَشْتَاتِ ظَنِّي
فِي إِجَابَتِكَ إِلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ بَرَاءَتِي مِنْهُ فَيَكُ وَلَكَ لِمَعْجَبِكَ^(٧) وَلَكَفَيْتُكَ مُؤْنَتِي ،

(١) لم نؤت إلا منهم : أي لم نُصَب ونؤد.

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، أبو إسحاق ، أصله من خراسان ، عمل كاتباً لعدد من الخلفاء العباسيين ، له شعر جيد .

(٣) نبا : جفا وتغير ، والعوان : الشديدة الضروس .

(٤) أطراجي : تركي وإبعادي .

(٥) والفقر : البرد ، والخلق : البالي .

(٦) الود : الحب ، والخلل : العيب والنقص ، أي أن مودته صافية .

(٧) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذا الكتاب في مصدر آخر .

ثقةً بأن أزدیادك من معرفة الناس ستردك إليّ؛ فإن رجعت قِلتَ وتمسكتُ
واغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبعْ مؤلّياً، ولم آس^(١) على مُذِبرٍ، ولم أسامح نفسي
على تعلّقها بك، ولم أساعدها على نزاعها إليك. فكم من زمانٍ تركتُك فيه
وسومك^(٢) ثم أبى قلبي ذلك، فكررتُ وعطفْتُ أسيَّ على أيامي معك وما توكّد
بيني وبينك. وما من كَرّةٍ لي إليك إلا وهي داعيةٌ إلى ما أكرهه من استخفافك
ونفورك. ولو فهمتَ ما استحققتُ به عليك ما أشكوه لخفّ محمّلٌ ما يكون
منك عليّ ولأجبت في عتباك ورضاك.

وفي جواب كتاب: وقد وزعني^(٣) ما ضربته لي من الأمثال في كتابك
عن استبطائك. على أنّي لا أستزيد إلا من احتاجُ إلى صلاحه وأرغب في
بقيته؛ وقد قيل:

يَبْأَيِّنَ إِلَّا جَفْوَةً وَظُلْمًا من كثرة الوصل تجنّي الجرماً^(٤)

وفي كلّ ما أجبتني ظلمت في معارضتي عن مَسْخِي جوابك
بإيحاشي^(٥)، وفي اعتدادك عليّ بما أنت جانيه عليك الحجة فيه. وما أنكر
الخلاف بين الأب وابنه والأخ وشقيقه إذا وقعت المعاملة، ولذلك سبب لا
أعرفه بيني وبينك قطّ، فإني لم أخالفك ولم أشاححك^(٦) ولم أنازعك ولم
أعارض نَعَمَكَ بلّا ولا أمرك بنهي.

(١) لم آس: لم أسف وأحزن.

(٢) تركتك وسومك: أي تركتك تجابه الزّمن وحيداً، والمساومة في البيع: الاتفاق على السّعر بعد حديث.

(٣) وزعني: كفّني ومنعني.

(٤) الجرّم: الذنب، وتجنّي: أصله تنجّني حذف تاء منها.

(٥) المسخ: تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها، والإيحاش: القطيعة.

(٦) المشاححة: المنافسة، يقال تشاح الرجلان على الأمر: أي لا يريدان أن يفوتهما.

وقال الحسن بن وهب:

[طويل]

سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْكَ حَسْبَ إِهَانَتِي لَهَا فَيْكَ إِذْ قَرَّرْتُ وَكَفَّ نِزَاعُهَا^(١)
هِيَ النَّفْسُ مَا كَلَفْتُهَا قَطُّ خُطَّةً مِنْ الْأَمْرِ إِلَّا قَلَّ مِنْهُ امْتِنَاعُهَا
صَدَقْتَ لِعَمْرِي أَنْتَ أَكْبَرُ هَمِّهَا فَأَجْهَدُهَا إِذْ قَلَّ مِنْكَ اتِّفَاعُهَا
هَبْ إِلَيَّ أَعْمَى فَاتَتْ الشَّمْسُ طَرْفَهُ وَغُيِّبَ عَنْهُ نَوْرُهَا وَشُعَائُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

[طويل]

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئاً مُلَفَّفاً فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا^(٢)
فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَضْتُ أَيقَنْتُ أَنْ لَا أَحَالِيَا
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمَادِيَا
فَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذِي الْوُدِّ كُلِّهِ وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتَ رَاضِيَا
فَعَيْنَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مُتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وكتب أيضاً إلى بعض إخوانه: أما بعد: فقد عاقني الشك فيك عن
عزيمة الرأي في أمرك؛ ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثم أعقبني جفاءً من
غير ذنب، فأطمعني أولئك في إخائك، وآيسني^(٣) آخرك من وفائك؛ فلا أنا في
غير الرجاء مُجمِعٌ لك أطراحاً، ولا أنا في غِدٍ وانتظاره منك على ثقة؛
فسبحان مَنْ لو شاء كَشَفَ بَايْضَاحَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ،
فَأَقَمْنَا عَلَى ائْتِلَافٍ، أَوْ افْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ.

وكتب رجلٌ إلى صديق له: نحن نستكثرُك بأعتزالك، ونستديم صلتك،

(١) قَرَّرْتُ: سكنت وهدأت.

(٢) التَّمَحِيصُ: الاختبار.

(٣) آيسني: من اليأس، وهو القنوط.

بجفائك، ونرى الزيادة في الغم أدومَ لجميل رأيك. ومثله قول كثير: [الطويل]

وإن سَحَطْتُ يوماً بكيتُ وإن دَنْتُ تدَلَّتْ وأستكثرُها باعتزالها^(١)
ونحوه قول الكميت^(٢):

وقد يخذُلُ المولى دُعائي ويجتذِي أذاتي وإن يَعِدِلْ به الضيمُ أغْضِبِ
فأونس من بعضِ الصديقِ ملالةً الـ دُنسُو - فأستبقِيهم - بالتَجَنُّبِ^(٣)
وقال آخر:

إنك ما أعلمُ ذو مَلَّةٍ يُذهلك الأذنى عن الأقدمِ
وقال عبد الرحمن بن حسان^(٤):

لا خيرَ في التودِّ ممَّن لا تزال له مستشعراً أبداً من خيفةٍ وجَلَا^(٥)
إذا تغيَّب لم تَبْرَحْ تُسيء به ظناً وتَسأل عما قال أو فعلاً
وقال مرةً بن مَحْكَان^(٦):

تري بيننا خُلُقاً ظاهراً وصدراً وعدواً ووجهاً طليقاً
ونحوه قول المَرَّار:

كذبٌ تَخَرَّصُهُ عليّ لقومه سلَّمُ اللسانِ محاربُ الإِسرارِ^(٧)

(١) سحطت: بعدت وفارقت.

(٢) هو الكميت بن معروف بن ثعلبة الأسدي يكنى أبا أيوب مخضرم «راجع الشعر والشعراء» ص ٢٤٧.

(٣) أي أنني أتجنب لقاء الصاحب خوفاً من الملل الذي قد يحدثه كثرة اللقاء.

(٤) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي. شاعر ابن شاعر كان مقيماً في المدينة وتوفي فيها: اشتهر بالشعر في زمن أبيه..

(٥) الوجل: الخوف.

(٦) هو مرة بن محكان الرُّبَيْعِي السَّعْدِي شاعرٌ مقلٌّ، يكنى أبا الأضياف كان سيّد بني ربيع، شهد وقعة الجفرة بين جيشي عبد الملك ومصعب قتله صاحب شرط مصعب بن الزبير.

(٧) التخرّص: اختلاق الكذب، وسلّم اللسان: لا يُغفه.

وَحَنَنِي أَبُو حَمْزَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُتْبِيُّ قَالَ: قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لَابْنِهَا: يَا بَنِيَّ، إِيَّاكَ وَصُحْبَةَ مَنْ مَوَدَّتَهُ بِشْرُهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الرِّيحِ.

وَكَانَ يُقَالُ: الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ؛ أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وُدَّهُ، وَيُبْلَغُ فِي مُحِبَّتِكَ جَهْدَهُ. وَأَخٌ ذَوْنِيَّةٌ يَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ، دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ. وَأَخٌ يُلْهَوِيكَ لَكَ لِسَانُهُ^(١)، وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَأْنِهِ، وَيُوسِّعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ.

وَقَالَ الْمُثَقَّبُ الْعَبْدِيُّ^(٢): [الوافر]

فَبِمَا أَن تَكُونَ أَخِي بِصَدَقٍ فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِي مِنْ ثَمِينِي^(٣)
وَالَا فَاجْتَنِبْنِي وَأَتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي

وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ: [الطويل]

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا
وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دَمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَغْضَلَا^(٤)

وَقَالَ آخَرُ: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا وَدَّ اللِّسَانُ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ الْمَوَدَّةِ فِي الْقَلْبِ
وَقَالَ أَبُو حَارِثَةَ الْمَدْيَنِيُّ: لَيْسَ لِمَمْلُولٍ صَدِيقٌ، وَلَا لِحَسُودٍ غَنِيٌّ،
وَالنَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ تَلْقِيحُ الْعُقُولِ.

(١) اللّهوقه: هي إن يبدى الإنسان غير ما في الطبيعة ويتزَيَّن بما ليس فيه من خلقٍ ومروءة.

(٢) هو المثنَّى العبدى ثم النكرى، اسمه «عائذ» وقيل: شأس بن عائذ بن محصن بن ثعلبة بن واثلة بن زهر بن نكرة وهي القبيلة، سَمِيَ الْمُثَقَّبُ لِبَيْتِ قَالَهُ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الْبَحْرَيْنِ.

(٣) الْغَثُّ: الْهَزِيلُ وَالْفَاسِدُ.

(٤) النَّائِي: الْبَعْدُ، وَأَغْضَلُ الْأَمْرُ: أَيْ أَصْبَحَ لَا يَطَاقُ وَلَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ.

قال العباس بن الأحنف^(١):

[بسيط]

أشكو الذي أذاقوني مودّتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقّدوا
واستهضوني فلما قمت مُتَهَضّاً بثقل ما حملوني في الهوى قعدوا
ونحوه قول المجنون^(٢):

[طويل]

وأدّيتني حتى إذا ما سبّيتني بقولٍ يُحلّ العُصمَ سهْلَ الأباطح^(٣)
تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح^(٤)
وقال آخر:

[طويل]

ولا خير في ودّ إذا لم يكن له على طول مرّ الحادثات بقاء
وأشدّ ابن الأعرابي:

[طويل]

لحا الله من لا ينفع الودّ عنده ومن حبله إن مدّ غير متين^(٥)
ومن هو إن يحدث له الغير نظرة يقطع بها أسباب كلّ قرين^(٦)
ويقال: صاحب السوء جذوة من النار.

وقال عليّ عليه السلام: لا تؤاخ الفاجر فإنه يزئ لك فعله ويحبّ لو

(١) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليماني، أبو الفضل شاعر غزل رقيق، أصله من اليمامة، ونشأ ببغداد، وتوفي بها.

(٢) المجنون: هو قيس بن الملوّح بن مزامه العامري، من أهل نجد شاعر غزل، وعرف بمجنون «ليلي».

(٣) العصم: جمع أعصم، والأعصم من الظباء والوعول: ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائر لونه أسود أو أحمر.

(٤) خلفت: تركت. والجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب.

(٥) لحا الله: أي قبح ولعن.

(٦) القرين: صاحب وما يقرن به الشيء.

أنك مثله ويزين لك أسوأ خصاله، ومَدْخَلُهُ عليك ومَخْرَجُهُ من عندك شَيْنٌ^(١) وعار. ولا الأحقَّ فإنه يجتهد، بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرَّك، فسكوته خيرٌ من نطقه، وبعده خيرٌ من قُرْبِهِ، وموته خيرٌ من حياته. ولا الكَذَابُ فإنه لا ينفعك معه عيش، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يُصدِّق.

قال أبو قَيْلٍ: أُسِرْتُ ببلاد الروم فأصبتُ على ركن من

أركانها:

[هزج]

ولا تَصَحَّبْ أخا الجهل	وإِيَّاكَ	وإِيَّاهُ
فكم من جَاهِلٍ أُرْدَى	حليماً حين آخاهُ	
يُقَاسُ المرءُ بالمرء	إذا ما هو مَاشَاهُ	
وللشيء على الشيء	مقاييسٌ	وأشباهُ
وللقب على القلب	دليلٌ حين يلقاهُ ^(٢)	

وقال عَدِيّ بن زيد^(٣):

[طويل]

عن المرء لا تَسْأَلْ وأَبْصِرْ قرينَه

فإنَّ القرينَ بالمُقَارَنِ مقتدِي

وأنشد الرِّياشي^(٤):

[سريع]

إن كنتَ لا تَصَحَّبْ إلا فتَى

مثلكَ لم تُؤْتَ بأمثالِكَ

(١) الشين: العيب والنقص.

(٢) المعنى أن القلب دليل المرء فيما أن يجعله يكره أو يحب، وقد نسبت هذه الأبيات لأبي العثماني في باب المودة والتشاكل ص ٨ نفس الجزء.

(٣) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بني تميم يكنى أبا عمير، سكن الحيرة فلان لسانه وسهل منطقه، شاعر مجيد، عاشر كسرى وملوك الحيرة «راجع الشعر والشعراء ص ٢٤٩».

(٤) الرياشي: هو العباس بن الفرّج بن علي الرياشي البصري من الموالي أبو الفضل، لغوي راوية عارف بأيام العرب من أهل البصرة وقتل فيها أيام فتنة صاحب الزنج.

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى صُحْبَتِي وَالْمَسْكَ قَدْ يَسْتَصِحِبُ الرَّامِكَا^(١)
هَبْنِي أَمْرًا جُئْتُ أُرِيدُ الْهَدَى فَجُدْ عَلَى ضَعْفِي بِإِسْلَامِكَا
وكتب يحيى بن خالد: أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ أَنِّي بِكَ ضَنِينٌ،
أُرِيدُكَ مَا أُرَدَّتَنِي، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَتَوَبَّ عَنِّي مَا كَانَ ذَلِكَ بِي وَبِكَ جَمِيلًا يَحْسُنُ
عِنْدَ إِخْوَانِنَا، وَإِنْ وَقَعَتِ الْمَقَادِيرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ لَمْ أُعَدِّ مَا يَجِبُ. وَالَّذِي
هَاجَنِي عَلَى الْكِتَابِ أَنَّ أَبَا نُوحٍ مَعْرُوفَ بْنِ رَاشِدٍ سَأَلَنِي أَنْ أَبْرَحَ لَهُ بِمَا
عِنْدِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا تَبَدَّلْتُ وَمَا حُلْتُ عَنْ عَهْدٍ، فَجَمَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى
طَاعَتِهِ وَمَحَبَّةِ خَلِيفَتِهِ.

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: ثِقْ بِذِي الْعَقْلِ وَالْكَرَمِ وَأَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ؛ وَوَاوَصِلِ
الْعَاقِلَ غَيْرَ ذِي الْكَرَمِ، وَاحْتَرَسْ مِنْ سَيِّءِ أَخْلَاقِهِ وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ؛ وَوَاوَصِلِ الْكَرِيمَ غَيْرَ ذِي
الْعَقْلِ وَانْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَانْفَعْ بِعَقْلِكَ؛ وَاهْرُبْ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ.

[طويل]

وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ^(٢):

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دَمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالتَّرحِيبِ وَالْبِشْرِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَدُ حَى الْغَدْرِ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرِ^(٣)
فَإِذَا عَدَا، وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ، دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ^(٤)
فَارْقُضْ بِإِجْمَالٍ أُخُوَّةَ مَنْ يَقْلِي الْمَقْلُ وَيَعْشَقُ الْمُثْرَى^(٥)

(١) الرَّامِك: شيء أسود كالقار يخلط بالمسك.

(٢) حماد عجرد: هو حماد بن عمر من أهل الكوفة مولى لبني سواء بن عامر بن صعصعة، وكان معلماً وشاعراً محسناً، رُمي بالزندقة.

(٣) بطري: يمدح، ويلحن؛ يلحن، وذا الغدر: أي صاحب الغدر.

(٤) عدا الدهر: جار وظلم، والغير: الصروف.

(٥) يقلّي: من القلي وهو الكره والبغض، والمقل: الذي هو في حالة من العسر.

وعليك مَنْ حالاه واجدة
لا تَخْلِطَنَّهُمْ بغيرِهِمْ
وقال سويد بن الصامت^(١):
[كامل]

أَلَا رَبِّ مَنْ تدعو صديقاً ولو ترى
مَقَالَتَهُ كالشَّخْمِ ما كان شاهداً
تُبَيِّنُ لَكَ العَيْنَانِ ما هو كائِمٌ
فَرَشَنِي بخير طالما قد بَرَيْتَنِي

وقال آخر:
وصاحبٍ كان لي وكنتُ له
كنا كساقٍ تَسْعَى بها قَدَمٌ
حتى إذا دانتِ الحوادثُ من
إِحوَلٍ عَنِّي وكان ينظر من
وكان لي مؤنساً وكنتُ له
حتى إذا استرفدتُ يدي يَدَهُ

وقال بعض الأعراب:

- (١) العقيان: الذهب، والصفر: النحاس.
(٢) هو سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي الخزرجي الأنصاري شاعر من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير.
(٣) يفري: أي يقترى من القول.
(٤) الشحنة: البغضاء، والنظر الشَّرُّ: النظر بمؤخر العين وهو نظر الغضب.
(٥) راش: أي جعل له ريشاً والمعنى كساه من نعمه، وبراً: بمعنى أعرى، أي منعه من العطاء.
(٦) نيطت: أناط به الشيء أي علقه.
(٧) دانت: قاربت من الدنو.

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمْ إِخْوَانٌ غَدِرٌ عَلَيْهِ قَدْ جُبِلُوا
طَوَوْا ثِيَابَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمْ وصار ثوبُ الرِّياءِ يُبْتَذَلُ^(١)
أَخُوهُمْ الْمُسْتَحِقُّ وَصَلَهُمْ مَنْ شَرَبُوا عِنْدَهُ وَمَنْ أَكَلُوا
وَلَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْدِمًا عَمَلُ

قال رجل لآخر: بلغني عنك أمرٌ قبيح، فقال: يا هذا، إنَّ صُحْبَةَ
الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار.

وقال دُعْبِلُ: [طويل]

أَبَا مُسْلِمٍ كُنَّا جَلِيفِي مَوْدَةٍ هَوَانًا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا
أَحْوَطُكَ بِالْوَدِّ الَّذِي لَا تَحْوِطُنِي وَأَرَأُبُ مِنْكَ الشَّعْبَ أَوْ يَتَصَدَّعَا^(٢)
فَلَا تَلْحِينِي لَمْ أَجِدْ فِيكَ حِيلَةً تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرْقَعَا^(٣)
فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ فَأَحْتَسِبْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي قَطَعَهَا فَتَخَشَّعَا^(٤)

وقال يزيد بن الحَكَمِ الثَّقَفِيِّ^(٥): [طويل]

تُكَاشِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي^(٦)
لِسَانُكَ مَا ذِيَّ وَقَلْبُكَ عَلَقَمٌ وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي^(٧)

(١) الرِّياءُ: الخداع، ويبتذل: يلبس كثيراً، ومنه البذلة. والمبتذلة من الثياب: أي ما يلبس ويمتنع ولا يصاب.

(٢) أَرَأُبُ: أحذر وأخاف، والشَّعْبُ: القبيلة وهنا بمعنى الشَّمل الذي يجمع، ويتصدَّع: ينفرد ويتشتت.

(٣) لَا تَلْحِينِي: أي لَا تُلومني، وَتَخَرَّقَتْ: من تَخَرَّقَ القُوب إذا بلي وتمرَّق.

(٤) اسْتَأْكَلْتُ: فسدت، وَجَشَّمْتُ قَلْبِي: حملته على القطع.

(٥) هو يزيد بن الحَكَمِ الثَّقَفِيِّ، شاعرٌ عالي الطبقة من أعيان العصر الأموي، ومن أهل الطوائف، سكن البصرة، ولَّاهُ الحجاج كورة فارس وعزله قبل أن يذهب إليها.

(٦) المكَاشِرَةُ: المضاحكة، ودُو: مضطغرٌ وحاقد.

(٧) المَآذِي: العسل الأبيض، والعَلَقَمُ: الشراب المرّ، ومَبْسُوطٌ: ممدود، وَمُنْطَوِيٌ: ممنوع.

عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيتُهُ وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِيٍّ^(١)
 أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوِ أَمْرًا هَوَيْتَهُ وَلَسْتَ لِمَا أَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوِيِّ^(٢)
 أَرَاكَ أَجْتَوَيْتَ الْخَيْرَ مِنِّي وَأَجْتَوَيْتَ أَذَاكَ فَكُلُّ يَجْتَوِي قُرْبَ مُجْتَوِيٍّ^(٣)
 وَكُم مَوَاطِنَ لَوْلَايَ طَحَتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوِيٍّ^(٤)
 ويقال: إِيَّاكَ وَمَنْ مَوَدَّتْهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ فَعِنْدَ ذَهَابِ الْحَاجَةِ ذَهَابَ
 الْمَوَدَّةِ وَقَالَ الْحَكِيمُ: ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ
 إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ، وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ، وَلَا الْأَخُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

قال جرير:

[طويل]

فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَضْتَ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَحَالِيَا
 تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَّرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي فَحَالُكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
 وَإِنِّي لَمَغْرُورٌ أَعْلَلُ بِالْمُنَى لِيَالِي أَرْجُو أَنْ مَالُكَ مَا لِيَا
 بِأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا^(٥)
 أَلَا لَا تَخَافَا نَبُوتِي فِي مُلِمَّةٍ وَخَافَا الْمَنَايَا أَنْ تَفُوتَكُمَا يِيَا^(٦)

وقال أبو العتاهية:

[مجزوء الرمل]

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ

(١) الصولة: القوة والبأس في الحرب، ومستوي: أي عادل ومتساو.

(٢) الهوي: المحبب والعاشق.

(٣) المجتوي: الكاره.

(٤) طحت: من طاح إذا تاه في الأرض هنا وهناك، والجِرم: الجسد، والقلة: أعلى الجبل، والنَيْق: أرفع موضع فيه.

(٥) النجاد: حمائل السيف، والسنان: سنان الرمح والقناة: الرمح.

(٦) النبوة: الجفوة، يقول: لا تخافا أن أنبو عنكما في الملمات ما دمت حياً ولكن خافاني إذا ما همت.

فإذا أَحْتَجَّتْ إِلَيْهِ سَاعَةٌ مَجَّكَ فُوهُ^(١)

وقال آخر:

مَوَالِينَا إِذَا أَفْتَقَرُوا إِلَيْنَا وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي

والعرب تقول فيمن شَرِكَكَ فِي النِّعْمَةِ وَخَذَلَكَ عِنْدَ النَّائِبَةِ: يَرِيضُ حَجْرَةً^(٢) وَيَرْتَعُ وَسَطًا.

قال المدائني: لحن الحجاج يوماً، فقال الناس: لحن الأمير، فأخبره بعض مَنْ حضر، فتمثل بشعر قَعْنَبِ بْنِ أُمِّ صَاحِبٍ^(٣): [بسيط]

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذِكْرْتُ بِهِ وَإِنْ ذِكْرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا^(٤)
فَطَانَةٌ فَطَنُوهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ مَرُوءَةٌ أَوْ تُقَىٰ لِلَّهِ مَا فَطَنُوا^(٥)
إِنْ يَسْمَعُوا سَيِّئًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا مَنِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

باب القرابات والولد

حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَخْزَمٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدِ الْقُرْشِيِّ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَمَتَّ إِلَيْهِ بِرَجْمٍ بَعِيدَةٍ، فَلَانَ لَهُ وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّجْمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً وَلَا بُعْدَ بِهَا إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً».

(١) مَجَّكَ فُوهُ: أَي طَالِكَ بِلِسَانِهِ.

(٢) يَرِيضُ: يَبْرُكُ، وَالْحَجَرُ: النَّاحِيَةُ.

(٣) هُوَ قَعْنَبُ بْنُ أُمِّ صَاحِبٍ: مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطْفَانَ، مِنْ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، كَانَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَهُ هَجَاءٌ فِيهِ.

(٤) أَذْنُوا: اسْتَمَعُوا وَأَصْغَوْا بِأَذَانِهِمْ إِلَى مَا يُقَالُ.

(٥) الْفَطَانَةُ: الْفَهْمُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ الْإِسَاءَةَ إِلَيْكَ دُونَ أَنْ يَرُدُّوَهَا عَلَيْكَ.

حَدَّثَنِي شَبَابَةُ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: احذَرُوا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُنَّ مَعْلَقَاتُ الْعَرْشِ: النِّعْمَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ كُفِّرْتُ، وَالْأَمَانَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ أَكَلْتُ، وَالرَّحْمُ تَقُولُ يَا رَبِّ قُطِعْتُ.

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ قَالَ قَالَ مُحَارِبُ بْنُ دَثَارٍ: إِنَّمَا سُمُّوا أَبْرَارًا لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ، وَكَمَا أَنَّ لَوَالِدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَكَذَلِكَ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ.

حَدَّثَنِي أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ خِيَوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَبْرُ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ».

حَدَّثَنِي الْقُومَسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَلِيفُ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ».

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «الرَّحْمُ شُجْنَةٌ»^(١) مِنَ الرَّحْمَنِ قَالَ لَهَا مَنْ وَصَلْتُ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعْتُ قَطَعْتُهُ».

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي سِيرِينَ قَالَ قَالَ عَثْمَانُ: كَانَ عَمْرٍو يَمْنَعُ أَقْرَبَاءَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَأَنَا أُعْطِي قَرَابَاتِي لَوَجْهِ اللَّهِ، وَلَوْلَى يُرَى مِثْلُ عَمْرٍو.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ

(١) الشَّجْنَةُ: الشَّعْبَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: بَيْنَهُمَا شَجْنَةٌ رَحِمٌ.

ابن ثور عن مَعْمَر^(١) عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن عليّ عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ».

حدّثني أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو نعيم قال حدّثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبيد بن أبي الجعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدَّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ». حدّثني محمد بن يحيى القطعي قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيد عن مَطَرٍ عن الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ عَنِ النَّخَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍ^(٢) قَالَ: أَتَى رَجُلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ وَالِدِي يَأْخُذُ مِنِّي مَالِي وَأَنَا كَارِهِ؛ فَقَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَمَا لَكَ لِأَبِيكَ».

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال: أخبرني بعض العرب: أن رجلاً كان في زمن عبد الملك بن مروان، وكان له أب كبير، وكان الشاب عاقاً بأبيه، وكان يقال للشاب منازل^(٣) فقال الشيخ^(٤): [طويل]

جَزَتْ رَحِمُ بَيْتِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ جَزَاءٌ كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
تَرَبَّتْ حَتَّى صَارَ جَعْدًا شَمَرْدَلًا إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٥)
تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوْ يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ

(١) هو معمّر بن راشد، وهو الذي يروي عنه محمد بن ثور كما في التهذيب.

(٢) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ أبو عبد الرحمن صحابي جليل، نشأ في الإسلام وشهد فتح مكة وأفتى الناس ستين سنة.

(٣) منازل: هو منازل بن فرعان في القاموس بفتح الميم وقيل بضمّها.

(٤) هو فرعان التميمي كما في اللسان مادة «جعد».

(٥) ترَبَّتْ: أي تربّي، والجعد الطويل، والشمردل: الفتى القوي، والغارب: ما بين السّنام إلى العنق من الفحل.

وَإِنِّي لَدَاعٍ دَعْوَةٌ لَوْ دَعَوْتُهَا عَلَى جَبَلِ الرِّيَّانِ لَانْقَضَ جَانِبُهُ^(١)
فبلغ ذلك أميراً كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له الشيخ:
اخرج من خَلْفِ البيت، فَسَبَقَ رُسُلَ الأمير، ثم أَتَيْتُ الفتى بَابِنِ عَقِّهِ فِي آخِرِ
عمره فقال:

يَظَلِّمَنِي مَالِي خَلِيجٌ وَعَقْنِي عَلَى حِينٍ كَانَتْ كَالْحَنِيِّ عَظَامِي^(٢)
تَحْخِرْتُهُ وَازْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي وَمَا بَعْضُ مَا يَزِدَادُ غَيْرُ عُرَامٍ^(٣)
وقال يحيى بن سعيد مولى تَيْمٍ كُوفِيٌّ لَابَنِهِ:

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً تَعْلُ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ^(٤)
إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكُولِ أَيْتُ لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلَّمُلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طُرِقْتُ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْوَقْتَ فِي الْعِدَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا جَرَى مَا أَبْتَغِيهِ وَأَمْلُ
جَعَلْتُ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهاً وَغَلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضِّلُ^(٥)
فَلَيْتَبَكَ إِذْ لَمْ تَرَ عَاقِبَةَ أَبُوتِي كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْمَجَاوِرُ تَفْعَلُ^(٦)

قال القاسم بن محمد: قد جعل الله في الصديق البارَّ عَوْضاً مِنَ الرَّحِمِ

المُدْبِرَةِ.

(١) انقَضَ: تَهَدَّمَ، وَجِبَلُ الرِّيَّانِ.

(٢) خَلِيجٌ: اسْمُ عِلْمٍ، وَهُوَ ابْنُ مَنَازِلِ بْنِ فَرْعَانَ، أَحَدُ الْعَتَقَةِ.

(٣) الْعُرَامُ: الشَّرَاسَةُ وَالْأَذَى.

(٤) الْيَافِعُ: الَّذِي ارْتَفَعَ وَأَصْبَحَ شَاباً، تَعْلُ وَتُنْهَلُ: أَيِ تَطْعَمُ وَتَسْقَى.

(٥) الْجَبْهَةُ: الْمَنْعُ وَالْمُوَاجَهَةُ.

(٦) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِأُمِّيَّةَ بْنِ الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ كَمَا فِي الْأَغَانِي «ج ٣ ص ١٩١ ط بولاق» وَأَشْعَارُ

الْحِمَاسَةِ «ص ٣٥٤ ط أوروبا» وَقِيلَ: إِنَّهَا تَرْوِي لِابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَقِيلَ: لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى،

وَلَيْسَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ، لِأَنَّهَا أُنْشِدَتْ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فَأَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ بِنَتْلَابِيبِ الْوَلَدِ وَسَلَّمَهُ لَوَالِدِهِ قَائِلاً: «أَنْتَ وَمَالِكُ لَايِيكُ».

كتب عمر إلى أبي موسى : مُرْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا.
 وقال أَكْثَمُ بْنُ ضَبْيٍ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوَدَّةِ.
 قيل لأعرابي : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ عَمِّكَ ؟ قَالَ : عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ.
 وقال قيسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

[وافر]

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيَّفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
 قَتَلْتُ بِإِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي وَقَدْ كَانُوا لَنَا حَلِيَّ الزَّمَانِ^(١)
 فَإِنَّكَ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

قَبَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، حِينَ تَصَفَّحَ الْقَتْلَى يَوْمَ
 الْجَمَلِ : شَفَيْتُ نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ^(٢) : [كامل]

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُنَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 وَلَنْ عَفْوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَنْ قَرَعْتُ لِأَوْهَنْ عَظْمِي^(٣)

قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ابْنَ أَخِيهِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ لِيُقَيِّدَهُ^(٤) ، فَلَمَّا أَهْوَى بِالسَّيْفِ
 أَرْعَدَتْ يَدَاهُ ، فَالْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَعَفَا عَنْهُ وَقَالَ :

[بسيط]

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيزَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
 كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وقال بعضهم :

[وافر]

بَكَرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرُو تُفَادِيَكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
 فَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتَلِكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

(١) حَلِيَّ الزَّمَانِ : أَي زَيْتُهُ وَحِلَاوَتُهُ .

(٢) هُوَ الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الذَّهْلِيِّ كَمَا فِي الْحِمَاسَةِ .

(٣) الْجَلَلُ : الْعَظِيمُ ، وَأَوْهَنْ : أَوْعَفُ .

(٤) يُقَيِّدُهُ : أَي يَقْتَصُّ مِنْهُ بِمِثْلِ مَا فَعَلَ .

وقال عدي بن زيد:

[طويل]

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على النمر من وقع الحسام المهند^(١)

وقال غيره^(٢):

[طويل]

سأخذ منكم آل حزنٍ لحوشب وإن كان مولاي وكنتم بني أبي
إذا كنت لا أرمي وتُرمي عشيرتي تُصب جوائحُ النبل كشحي ومنكبي^(٣)

وقال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن
السائب البكري عن سعيد بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «حقُّ
كبير الإخوة على صغيرهم كحقِّ الوالد على ولده».

والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن واداً: أنفك منك
وإن دُنَّ^(٤). ومثله: عيصك^(٥) منك وإن كان أشباً.

وقال النمر بن تولب^(٦):

[طويل]

إذا كنت من سعدٍ وأمك فيهم غريباً فلا يغررك خالك من سعدٍ
فإن ابن أخت القوم مضغى إناءه إذا لم يُزاجم خاله بأب جلد^(٧)

(١) المضاضة: الألم.

(٢) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات قيل إنها: لجندل بن عمر.

(٣) الجوائح: المهلكات، وجاح الشيء: استأصله، والكشح: ما بين الخاصرة إلى الصلح
الخلف، والنكب: مجتمع عظم العضد والكتف.

(٤) دُنَّ: سال مخاطبه.

(٥) العيص: الجماعة من السدر تجتمع في مكان واحد، والأشب: شدة التفاف الشجر حتى لا
يجاز فيه.

(٦) هو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش الهنكلي شاعر مخضرم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية
وأدرك الإسلام.

(٧) مضغى إناءه: منقوص حقه.

وقال أمية بن أبي عائذ^(١) لإياس بن سَهْم: [طويل]

أبلغ إياساً أن عرض ابن أخيتكم رداؤك فأصطنَ حُسْنَه أو تَبَدَّل^(٢)
 فإن تَكُ ذا طَوْلٍ فلإني ابنُ أخيتكم وكلُّ ابنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعْتَلِي^(٣)
 فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهه فمهما تكن أنسب إليك وأشكَل^(٤)
 وما ثعلبٌ إلا ابنُ أختِ ثعلابٍ وإن ابنِ أختِ اللَّيثِ رِبْسَالُ أشْبَلِ^(٥)

وكتب بشر بن المغيرة بن أبي صُفْرة إلى عمه بهذه الأبيات: [طويل]

جفاني الأميرُ والمغيرةُ قد جفا وأمسى يزيدُ لي قد أزورَ جانبُه^(٦)
 وكُلُّهُمُ قد نال شِبْعاً لبطنه وشبِعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحِبُه
 فيا عَمَّ مهلاً وأتخذني لنوبةٍ تنوب، فإنَّ الدَّهرَ جَمَّ عجائبُه^(٧)
 أنا السيفُ إلا أنَّ للسيفِ نَبْوةً ومثلي لا تنبؤوا عليك مضاربُه^(٨)

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك، فسأله عن أخيه،
 فأوقع به يعيبه ويشتمه، وفي المجلس رجل يشنؤه^(٩) فشرع معه في القول؛
 فقال له: مهلاً! إني لأكل لحمي ولا أدعه لأكل.

(١) هو أمية بن أبي عائذ العمري، شاعر أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام، كان من مدّاح بني أمية، له قصائد في عبد الملك بن مروان.

(٢) اصطن: أي صنّ واحفظ أمرٌ من أصطّان، وتبدّل: امتهن.

(٣) الطول: القوة والعلاء.

(٤) أشكل: من المشاكلة وهي المقاربة والمشابهة.

(٥) الرئبال: الأسد.

(٦) أزور جانبه: تغيّر.

(٧) النوبة: الحادثة والجَمّ: الكثير.

(٨) نبوة السيف: عدم القطع عند الضرب.

(٩) الشنآن: البغض.

ويقال: القرابة محتاجة إلى المودة، والمودة أقرب الأنساب. والبيت المشهور في هذا:

فإذا القرابة لا تُقربُ قاطعاً وإذا المودة أقربُ الأنساب
وقيل لبُزْرِ جِمْهَرٍ: أخوك أحب إليك أم صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي
إذا كان صديقاً.

وقال خدّاش بن زُهَيْر^(١):
رأيتُ ابنَ عمِّي باديّاً لي ضِغْنُهُ وواغِرُهُ في الصدر ليس بذاهِبٍ^(٢)

وأشدنا الرِياشِيّ:
حياةُ أبي السَّيَّارِ خيرٌ لقومه لمن كان قد ساس الأمورَ وجرباً
ونَعِيبُ أحياناً عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناس أعتباً

وقال الشاعر:
ولم أرَ عِزّاً لأمريءٍ كعشيره ولم أرَ ذُلّاً مثلَ نأْيٍ عن الأهلِ^(٣)
ولم أرَ مثلاً للفقر أوضعَ للفتى ولم أرَ مثلاً المالِ أرفعَ للرزُلِ
ولم أرَ من عُدِمَ أضراً على الفتى إذا عاش وسطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهْلَهْلُ^(٤) صار إلى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا إليه
فزوَّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أَدَمًا^(٥)؛ فقال: [منسرح]

(١) هو خدّاش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة، من شعراء قيس المجيديين في الجاهلية.

(٢) الواغر في الصدر: أي الحقد الدفين.

(٣) العشير: القبيلة.

(٤) مهلهل: هو عدي بن ربيعة أخو كليب وائل، وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر، أي أرقه أو هو خال أمرئ القيس وجدّ عمر بن كلثوم.

(٥) الأدم: اسم جمع للأديم، والأديم: الجلد ما كان، وقيل الأحمر، وقيل: المدبوع.

أنكحها فقدّهما الأراقم في جَنِبَ وَكَانَ الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمَ^(١)
 لوبأبانيين جاء يخطبها رُمِّلَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بَدَمَ^(٢)
 وقال الأعشى :

ومن يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرَأً وَمَسْحَبًا^(٣)
 وتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِيءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا^(٤)
 وربّ يقيع لو هتفت بجوّه أَتَانِي كَرِيمٌ يُنْغِضُ الرَّأْسَ مُغْضَبًا^(٥)
 وقال رجل من غطفان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدَّ صَحَابَةٍ عَلَى دَخَنِ أَكْثَرَتْ بَثُّ الْمَعَاتِبِ^(٦)
 ولأني لأستقي أمراً السُّوءِ عُذَّةً لَعْدُوَّةٍ عَرِيضٍ مِنَ النَّاسِ عَائِبِ^(٧)
 أخاف كلاب الأبعدين وتبّحها إِذَا لَمْ تُجَاوِبْهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ
 قال رجل لعبيد الله بن أبي بكر: ما تقول في موت الوالد؟ قال: مُلْكٌ
 حادث؛ قال: فموت الزوج؟ قال: غُرْسٌ جديد؛ قال: فموت الأخ؟ قال:
 قَصٌّ الْجَنَاحِ؛ قال: فموت الولد؟ قال: صَدْعٌ فِي الْفُؤَادِ لَا يُجْبَرُ.
 وكان يقال: الْعُقُوقُ تُكَلُّ مِنْ لَمْ يَتَّكَلَّ.

(١) الأراقم: حيّ من تغلب وهي قبيلته، والجباء: المهر والعطاء.

(٢) أبانين: تشية أبان، وهي جبلان يقال لأحدهما: أبان الأبيض وللآخر: أبان الأسود، ورُمِّلَ: خَضِبَ بالدم.

(٣) أي أنّ الذي يغترّب عن قومه يجزّ لنفسه الظلم والموت لأن منعه بهم.

(٤) كبكب: جبل خلف عرفات مشرف عليها.

(٥) البقيع: موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وينغض الرأس: يحركه كالمستفهم عمّا يقال له.

(٦) الدخن: الكدورة والغضب.

(٧) العريض: الذي يتعرّض الناس بالشر والعداوة.

شكا عثمان علياً إلى العباس رضي الله عنهم؛ فقال: أنا منه كأبي العاق، إن عاش عقه وإن مات فجعه.

وقال رجل لأبيه: يا أبت، إن عظيم حَقِّكَ عليّ لا يُذهِبُ صغيرَ حَقِّي عليك، والذي تَمُتُّ به إليّ أمتٌ بمثله إليك، ولستُ أزعِمُ أنا على سِوَاءِ.

وقال زيد بن علي بن الحسن لابنه يحيى: إن الله لم يَرْضَك لي فأوصاك بي، وَرَضِيَنِي لَكَ فلم يُوصِنِي بك.

غَضِبَ معاوية على يزيد ابنه فهجره؛ فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثِمَارُ قلوبنا وعِمَادُ ظهورنا، ونحن لهم سماءٌ ظليلة، وأرضٌ ذليلة، فإن غَضِبُوا فَأَرْضِهِمْ، وإن سَأَلُوا فَأَعْطِهِمْ، ولا تكن عليهم قُفْلاً^(١) فَيَمْلُؤُوا حَيْتَكَ وَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ.

قيل لأعرابي: كيف ابْنُكَ؟ - وكان عاقاً - فقال: عذابٌ رَعِفٌ^(٢) به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء لا يُقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر.

قيل لبعضهم: أيّ ولدك أحبّ إليك؟ قال: صغيرُهم حتى يكبرَ، ومريضُهم حتى يبرأ، وغائبُهم حتى يَقْدَمَ.

ناول عمرُ بن الخطاب رجلاً شيئاً؛ فقال له: خدمك بنوك؛ فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم.

وولد للحسن غلام، فقال له بعض جلسائه: بارك الله لك في هَبْتِهِ، وزادك من أحسنِ نعمتِهِ؛ فقال الحسن: الحمد لله على كلِّ حسنة، ونسأل الله

(١) قُفْلاً: مانعاً ومحجراً.

(٢) رَعِفٌ به الدهر: سبق وتقدّم.

الزيادة في كل نعمة، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبي^(١)، وإن كنت غنياً أذهلني، لا أرضى بسعيي له سعياً، ولا بكدي له في الحياة كدّاً، حتى أشفق له من الفاقة^(٢) بعد وفاتي، وأنا في حال لا يصل إليّ من غمه حزن ولا من فرحه سرور.

قال الأصمعيّ: عاتب أعرابيُّ ابنه في شرب النبيذ، فلم يُعَيَّب^(٣) وقال:

[طويل]

أَمِنْ شَرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ كَرَمٍ شَرِبْتُهَا غَضِبْتَ عَلَيَّ! الْآنَ طَابَ لِي الْخَمْرُ
سَأَشْرَبُ فَأَغْضَبُ لَا رَضِيْتُ، كِلَاهُمَا إِلَيَّ لَذِيذٌ: أَنْ أَعْقَكَ وَالسُّكْرُ
وقال الطُّرْمَاحُ^(٤) لابنه صَمْصَامَةَ:

[طويل]

أَصْمَصَامُ إِنْ تَشْفَعْ لَأَمَّكَ تَلْقَهَا لَهَا شَافِعٌ فِي الصَّدْرِ لَمْ يَتَّبَرْحِ^(٥)
هَلِ الْحَبُّ إِلَّا أَنَّهُا لَوْ تَعَرَّضْتُ لَذَبْحَكَ يَا صَمْصَامُ قَلْتُ لَهَا اذْهَبِي
أَحَازِرُ يَا صَمْصَامُ إِنْ مِتُّ أَنْ يَلِي تُرَائِي وَإِيَّاكَ أَمْرٌ غَيْرُ مُصْلِحِ
إِذَا صَكَ وَسَطَ الْقَوْمِ رَأْسَكَ صَكَّةً يَقُولُ لَهُ النَّاهِي مَلَكْتَ فَاسْجَحِ^(٦)
وأنشد ابن الأعرابي:

[وافر]

أَحَبُّ بُنَيَّتِي وَوَدِدْتُ أَنِّي دَفَنْتُ بُنَيَّتِي فِي قَعْرِ لَحْدِ
وَمَا بِيَ أَنْ تَهُونَ عَلَيَّ لَكِنْ مَخَافَةً أَنْ تَذُوقَ الْبُؤْسَ بَعْدِي

(١) النصب: التعب والجهد.

(٢) الفاقة: الحاجة.

(٣) لم يُعَيَّب: لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضبت عليه من أجله.

(٤) هو الطُّرْمَاحُ بن حكيم من طيء ويكنى أبا نفر، وكان جدّه قيس بن جحدر، أسره ملك من ملوك جفنة، فاستوبه حاتم الطائي منه، كان شاعراً وخطيباً.

(٥) يتَّبَرْح: لم يتغيّر ولم يذهب.

(٦) اسجح: اعف واصفح.

ونحوه قول الآخر:

[بسيط]

لسولا أُمَيْمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أُجِبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدَسَ الظُّلَمِ^(١)
 وزادني رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوها ذُوو الرِّجَمِ
 أَحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا فِيهِتَكَ السَّتْرَ مِنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ^(٢)
 تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرَمِ

وقال أعرابي في ابنته:

[بسيط]

يَا شِقَّةَ النَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ وَالْهَةَ حَرَى عَلَيْكَ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْسِجٌ^(٣)
 قَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ تُقَدِّمَنِي إِلَى الْجِمَامِ فَيُبْدِي وَجْهَهَا الْعَدَمُ^(٤)
 فَالآنَ نَمْتُ فَلَا هُمْ يُوْرِّقُنِي تَهْدَا الْعَيُونَ إِذَا مَا أودتِ الْحُرْمُ

وقال أعشى سُلَيْمٍ^(٥):

[مقارب]

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ وَافِدٍ إِذَا مَا الْبِسُوتُ لِسِنِ الْجَلِيدَا
 كَفَيْتَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجِي لَهُ فَصِرْتَ أَبًا لِي وَصِرْتُ الْوَلِيدَا

وقال أعشى هَمْدَانَ^(٦) فِي خَالِدِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ:

[طويل]

فَإِنْ يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَيْلِهِ فَمَا مَاتَ مِنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدِ

(١) أَجْزَعْ: أَخْشَى، وَالْعَدَمُ: الْفَقْرُ. وَالْحِنْدَسُ: الظَّلَامُ وَشِدَّتُهُ.

(٢) الْوَضَمُ: كُلُّ شَيْءٍ يَوْضَعُ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنْ خَشَبٍ وَغَيْرِهِ يَوْقَى بِهِ مِنَ الْأَرْضِ.

(٣) الشَّقَّةُ: الْقِطْعَةُ، وَالْوَالِهَةُ: مِنَ الْوَلَةِ وَهُوَ ذَهَابُ الْعَقْلِ وَالتَّحْيِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، وَحَرَى: مَلْتَهَبَةٌ.

(٤) يَبْدِي وَجْهَهَا الْعَدَمُ: أَيِ يَحْمِلُهَا الْفَقْرُ عَلَى الْاسْتِجْدَاءِ وَإِرَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ.

(٥) أَعْشَى سُلَيْمٍ: هُوَ أَعْشَى طُرُودَ، وَبَنِي طُرُودَ مِنْ فَهْمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ وَهُمْ حُلَفَاءُ بَنِي سُلَيْمٍ «رَاجِعِ الشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءُ ص ٩١٧».

(٦) أَعْشَى هَمْدَانَ: وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نِظَامِ بْنِ جِشَمِ بْنِ هَمْدَانَ. وَهُوَ شَاعِرٌ مَحْسَنٌ مُقَدِّمٌ «رَاجِعِ الشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءُ ص ١٤».

وفي الحديث المرفوع: «رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ». وقال رسول الله ﷺ لأحد آبائي بنته: «إِنَّكُمْ لَتُجَبَّنُونَ وَإِنَّكُمْ لَتُبَخَّلُونَ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ».

وقالت أعرابية: [مجزوء الرجز]

يَا حَبَّاذَا رِيحُ الْوَلَدِ رِيحُ الْخُزَامِيِّ بِالْبَلَدِ^(١)

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: هذا يدلُّك على تفضيلهم الْخُزَامِيَّ.

وكان يقال: إِبْنُكَ رِيحَانُكَ سَبْعًا، وخادمك سَبْعًا، ثم عدوُّ أو صديق. مرَّ أعرابيٌّ يَنْشُدُ^(٢) ابْنًا لَهُ بِقَوْمٍ، فقالوا: صِفْهُ؛ فقال: دُنَيْيِرٌ، قالوا: لم نَرَهُ؛ فلم يَلْبِثِ الْقَوْمُ أَنْ جَاءَ عَلَى عُنُقِهِ بَجْعَلٍ^(٣)؛ فقالوا؛ ما وجدتَ ابْنَكَ يَا أَعْرَابِيَّ؟ قال: نعم هو هذا؛ قالوا: لو سألتَ عن هذا لأخبرناكَ، ما زال منذُ الْيَوْمِ بَيْنَ أَيْدِينَا.

قال الشاعر في امرأة: [منسرح]

نِعَمَ ضَجِيعُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ الـ لَيْلٌ سُحِيرًا وَقَرَقَفَ الصَّرْدُ^(٤)
زَيْنَهَا اللَّهُ فِي الْعَيُونِ كَمَا زُيِّنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدٌ
وفي الحديث: «مَنْ كَانَ لَهُ ضَبِيٌّ فَلْيَسْتَصِبْ لَهُ».

وقال الزبير وهو يرقصُ ابْنًا لَهُ: [رجز]

أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيْقٍ مَبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِيقِ
أَلَذُّهُ كَمَا أَلَذُّ رِيْقِي

(١) الخزامي: خيري البر، نبات طيب الرائحة متعدّد الألوان.

(٢) يَنْشُدُ: يطلب.

(٣) الْجَعْلُ: دويبة، أوزيز أسود.

(٤) قرقف: أرعد من البرد، والصرد: الرجل القويُّ على تحمُّل البرد.

وقال أعرابي:

[سريع]

لولا بُنَيَاتُ كَزُغَبِ الْقَطَا
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ
أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ
وَأَبْتَزَّنِي الدَّهْرُ ثِيَابَ الْغِنَى
قَالَ بَعْضُ النَّسَابِينَ: إِنَّمَا قِيلَ: سَعْدُ الْعَشِيرَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي عَشْرَةِ
مِنْ وَلَدِهِ، فَكَأَنَّهُمْ عَشِيرَةٌ.

وقال ضرار بن عمرو الصَّبِيّ، وَقَدْ رُئِيَ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذَكَرًا قَدْ بَلَّغُوا: مِنْ
سَرَّةِ بَنُوهِ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ.

قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ:

[طويل]

إِذَا مَا عُلُوًّا قَالُوا أَبُونَا وَأَمْنَا
وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبٌ^(٤)

وقال آخر:

[بسيط]

أَنَا ابْنُ عَمِّكَ إِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ
وَلَيْسَ مِنْكَ إِذَا مَا كَعَيْكَ اعْتَدَلَا^(٥)

وَأَنشَدَنَا الرِّيَاشِيُّ:

[سريع]

الرَّحِمَ بُلْهَا بِخَيْرِ الْبُلَانِ
فَإِنْ فِيهَا لِلدَّيَارِ الْعُمَرَاءُ^(٦)

(١) كزغب القطا؛ أي كفراخ القطا، والقطا: طائر يشبه الحمام.

(٢) المرقب: المكان العالي الذي يكشف للمتطلع منه ما عده.

(٣) هو بشر بن أبي خازم: عمرو بن عوف الأسدي. أبو نوفل شاعر جاهلي فحل.

(٤) عالين: حال من الضمير في «لهم».

(٥) اعتدل، كعبه: أي استقام حاله.

(٦) بل الرحم يبلها بلاء وبلاؤا، وصلها ونداها، والبلاء: قال ابن سيده «يجوز أن يكون البلاء.

اسماً واحداً كالغفران والرجحان وأن يكون جمع بلل».

وأمر المال وبنت الصَّغْرانُ وإنَّما أَشْتُقَّتْ من آسمِ الرَّحْمَنِ^(١)

وقالِ المَعْلُوطُ:

وَمَنْ يَلْقَ مَا أَلْقَى وَإِنْ كَانَ سَيِّدًا ويخْشَ الَّذِي أَخْشَى يَسِرُّ سِرَّ هَارِبٍ
مَخَافَةَ سُلْطَانٍ عَلَيَّ أَظُنُّهُ ورَهْطِي، وما عاداك مثلُ الأقاربِ^(٢)

دخل عثمان بن عفَّان على أبنته وهي عند عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا بنية: ما لي أراك مهزولة؟ لعلَّ بَعْلَكَ يُغَيِّرُكَ^(٣)؛ فقالت: لا، ما يَغَيِّرُنِي؛ فقال لزوجها: لعلَّكَ تُغَيِّرُهَا! قال: فأفعل، فَلَغْلَامٌ يَزِيدُهُ اللهُ فِي بَنِي أُمِّيَّةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا.

قال النعمانُ بن بَشِيرٍ^(٤):

وَإِنِّي لِأَعْطِي المَالَ مَنْ لَيْسَ سَائِلًا وأُدرِكُ للمولى المَعَانِدِ بِالظَلَمِ
وَإِنِّي مَتَى مَا يَلْقَنِي صَارِمًا لَهُ فما بيننا عند الشدائدِ من صُرْمٍ^(٥)
فَلَا تَعُدِّ المولى شَرِيكَكَ فِي الغِنَى ولكنما شَرِيكَكَ فِي العُدْمِ^(٦)
إِذَا مَتَّ ذُو القُرْبَى إِلَيْكَ بِرَحْمِهِ وَغَشَّكَ واستغنى فليس بذِي رَحْمٍ
وَلَكِنْ ذَا القُرْبَى الَّذِي يَسْتَخْفُهُ أَذاك وَمَنْ يَرْمِي العدوَّ الَّذِي تَرْمِي

وقال بعضُ الشعراء:

لَقَدْ زَادَ الحَيَاةَ إِلَيَّ حَبًّا بناتي أَنهْن من الضَّعَافِ [وافر]

(١) أمير المال: كثرة.

(٢) الرَّهْطُ: القبيل والجماعة.

(٣) يَغَيِّرُكَ: أغار الرجل امرأته: أي تزوج من أخرى فأحدث عندها الغيرة.

(٤) هو النعمان بن بَشِير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري. أبو عبد الله أمير خطيب. شاعر.
من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة.

(٥) الصُّرْمُ: القطيعة.

(٦) المولى: العبد.

مخافة أن يرّين البؤس بعدي وأن يشرّين رنقاً بعد صافي^(١)
وأن يغرّين إن كسيّ الجوّاري فتنبو العين عن كرم عجاف^(٢)

قيل لعلّي بن الحسين: أنت من أبرّ الناس ولا نراك تؤاكل أمك؛ قال:
أخاف أن تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عَقَّقْتُهَا.

قيل لعمر بن ذرّ: كيف كان برّ أبنتك بك؟ قال: ما مشيتُ نهراً قط إلا
مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقيّ سطلحاً وأنا تحته.

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عطاء بن
السائب عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده:

[وافر]

تركت أباك مُرْعِشَةً يداه وأمك ما تُسِيغ لها شراباً^(٣)
إذا غلّنت حمامةً بطنٍ وجّ على بيضاتها ذكرت كلاباً^(٤)

فقال عمر: ممّ ذاك؟ قال: هاجر إلى الشام وترك أبوين له كبيرين،
فبكى عمر وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان في أن يرّحله، فقَدِم عليه، فقال: برّ
أبويك وكن معهما حتى يموتا. قال أبو اليقظان: مُرْبَعَة كِلاب بالبصرة إليه
تنسب، والعوام تقول مُرْبَعَة الكلاب.

(١) الرنق: الكدر.

(٢) كرم: أي كريمات، والعجاف: الهزال.

(٣) ساغ الشراب: صفا وسهّب إدخاله.

(٤) بطن وجّ: وجّ: موضع بالبادية، وقيل: هي بلد بالطائف، وقيل: هي الطائف وبطن وجّ:
كنائس عن وادٍ بها.

قال أبو علي الضَّير^(١):

[مقارب]

أتيتك جذلانَ مستبشراً
أتاني البشيرُ بأن قد رُزِقَتْ
وأنتك، والرشدُ فيما فعلد
وطهَّرتَه يوم أسبوعه
فعمَّرك الله حتى ترا
وحتى ترى حوله من بنيهِ
وحتى يروم الأمورَ الجِسامَ
وأوزعك الله شكرَ العطاء
وصلَّى على السَّلفِ الصالحينِ
وهذا قد وقع في باب التهاني أيضاً.

قال المأمون: لم أرَ أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من برِّه به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخنٍ وهما في السجن، فمنعهما السَّجَان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه إلى قُمْقُم^(٢) كان يُسَخِّن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من منار المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح.

(١) أبو علي الضَّير: اسمه الفضل بن جعفر بن يونس، أصله من الأنبار في فارس كان ضريباً وشاعراً مقلِّعاً، ولَقِبَ بالبصير على العادة في التفاضل، عاش في الكوفة.

(٢) طهَّره: ختنه، وفي الذَّكر: في القرآن، وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يريد الله لِيُذهب عنكم الرجسَ أهل البيتَ ويظهرَكم تطهيراً﴾ وما هنا زائدة.

(٣) الزمر: الجماعات.

(٤) أوزعك: ألهمك.

(٥) غبر: بقي منهم، وتستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب.

(٦) القمقم: إناء من نحاس.

[رجز]

رَقَصَ أَعْرَابِيٌّ ابْنَهُ وَقَالَ:

أُحِبُّهُ حُبَّ الشَّحِيحِ مَالَهُ قَدْ كَانَ ذَاقَ الْفَقْرِ ثُمَّ نَالَهُ
إِذَا يُرِيدُ بَذْلَهُ بَدَأَ لَهُ

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده أبنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه تُفَاحَةُ الْقَلْبِ؛ فقال: أُنَبِّذُهَا عَنْكَ^(١)؛ قال: ولم؟ قال: لِأَنَّهُنَّ يَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ، وَيُقَرِّبْنَ الْبُعْدَاءَ، وَيُورِثْنَ الضَّعَائِنَ؛ فقال: لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا عَمْرُو، فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرَضَى وَلَا نَذَبَ الْمَوْتَى وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ خَالَا قَدْ نَفَعَهُ بَنُو أُخْتِهِ؛ فقال له عمرو: مَا أَعْلَمُكَ إِلَّا حَبِيبَتَهُنَّ إِلَيَّ.

الاعتذار

كَانَ يَقَالُ: الْاعْتِرَافُ يَهْدِمُ الْاِقْتِرَافَ.

كتب بعض الكتّاب إلى بعض العمال: لَوْ قَابَلْتُ حَقَّكَ عَلَيَّ بِمَتَقَدِّمِ الْمَوَدَّةِ وَأُمَوِّكِدِ الْحُرْمَةِ إِلَى مَا جَدَّدَهُ اللَّهُ لَكَ بِالْمُسْلُطَانِ وَالْوِلَايَةِ، لَمْ أَرْضَ فِي قَضَائِهِ بِالْكِتَابِ دُونَ تَجَسُّمِ الرَّحْلَةِ وَمَعَانَاةِ السَّفَرِ إِلَيْكَ، لَا سِيَّمَا مَعَ قُرْبِ الدَّارِ مِنْكَ؛ غَيْرَ أَنَّ الشَّغْلَ بِمَا أُلْفِيَتْ عَلَيْهِ أُمُورِي مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَعِلَاقِ الْخَرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا خِيَارَ مَعَهُ، أَحْلَنِي فِي الظَّاهِرِ مَحَلَّ الْمُقْصَرِّينَ؛ وَإِنْ وَهَبَ اللَّهُ فُرْجَةً مِنَ الشَّغْلِ وَسَهَّلَ سَبِيلًا إِلَيْكَ، لَمْ أَتَخَلَّفَ عَمَّا لِي فِيهِ الْحِظُّ مِنْ مَجَاوِرَتِكَ وَالتَّنَسُّمِ بِرِيحِكَ وَالتَّيَّمُّنِ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ، غَادِيًا وَرَاحَةً عَلَيْكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

[منسرح]

كَتَبَ ابْنُ الْجَهْمِ^(٢) إِلَى نَجَاحٍ مِنَ الْحَبْسِ:

(١) أُنَبِّذُهَا عَنْكَ: أَي أَبْعَدُهَا جَانِبًا.

(٢) هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ الشَّاعِرُ الْعَبَّاسِيُّ الْمَعْرُوفُ.

إِنْ تَعَفَّ عَنْ عَبْدِكَ الْمَسِيءِ فِي
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَا
فَضْلِكَ مَأْوًى لِلصَّفْحِ وَالْمِنْ
فَعُدُّ لِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ
وَكُتِبَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ^(١) :

[سريع]

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ، وَلَا ذَنْبَ لِي،
لَا سِيِّمًا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
فَمَا لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا
أَنْ يُفْسِدَ الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ
كُتِبَ رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى يَسْتَبِطُهُ، فَوَقَّعَ فِي ظَهْرِ كِتَابِهِ: أَحْتَجُّ
عَلَيْكَ بِغَالِبِ الْقَضَاءِ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ بِصَادِقِ النِّيَّةِ.

[متقارب]

قال بعض الشعراء :

وَتَعَذِّرْ نَفْسَكَ إِمَّا أَسَاءَتْ
وَتُبْصِرْ فِي الْعَيْنِ مِنْهُ الْقَذَى
وَعِيْرَكَ بِالْعُذْرِ لَا تَعَذِّرْ
وَفِي عَيْنِكَ الْجِدْعُ لَا تُبْصِرُ^(٢)
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

[كامل]

يَا ذَا الْمُمَيِّزِ لِلْإِحْءَاءِ وَلِلدِّ
لَا يَقْبِضُنْكَ عَنْ مَعَاشِرَتِي
إِخْوَانٍ فِي التَّفْضِيلِ وَالْقَدْرِ
بِالْأَنْسِ أَنْ قَصَّرْتَ فِي بَرِّي
إِنِّي إِذَا ضَاقَ أَمْرُؤُ بِجَدًّا
عَنِّي آسَتَعَنْتُ عَلَيْهِ بِالْعَذْرِ^(٣)
وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ مُعْتَذِرٍ صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا لَمْ
يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضُ». وَفِيهِ: أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَنَاتِ عَثَرَاتِهِمْ^(٤).

(١) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَصِينِ الْحَارِثِيِّ أَبُو عَلِيٍّ، كَاتِبٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ، كَانَ
مُعَاصِرًا لِأَبِي تَمَامٍ وَلَهُ مَعَهُ أَخْبَارٌ، وَكَانَ وَجِيهًا.

(٢) الْقَذَى: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ مِنْ أَذَى، وَالْجِدْعُ: أَصْلُ الشَّجَرِ كَجِدْعِ النَّخْلَةِ وَغَيْرِهَا.

(٣) الْجَدَا: الْعَطِيَّةُ.

(٤) الْهَنَاتُ: الْحَاجَاتُ وَالْأَشْيَاءُ، وَالْعَثَرَاتُ: الزَّلَّاتُ.

اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الكاتب فقال: ما رأيتُ عذراً أشبه
بإستئنافِ ذنبٍ من عُدرك.

وكان يقال: أعجلُ الذنوبِ عقوبةَ العذر، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائب
وهو يسألُ العفو خائباً.

وقال مُطَرِّف^(١): المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ^(٢).

اعتذر رجل إلى إبراهيم^(٣) فقال له: قد عذرتك غير معذِرٍ، إن المعاذير
يشوبُها الكذب.

ويقال: ما اعتذر مذنِبٌ إلا ازدادَ ذنباً.

وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل المرفل]

لا تَرْجُ رجعةَ مذنِبٍ خلطَ احتجاجاً باعتذارٍ

اعتذر رجل إلى سَلَم بن قتيبة^(٤)، فقبل منه وقال: لا يدعونك أمر
تخلّصت منه إلى أمر لعلك لا تتخلص منه.

وقال الشاعر:

[طويل]

فلا تَعْذِراني في الإساءة إنّه شرارُ الرجال مَنْ يُسيءُ فَيُعْذِرُ

وقال ابن الطَّحْطِية:

[طويل]

هَبْنِي امراً إمّا بريئاً ظلمته وإمّا مُسيئاً تاب بعدُ وأُعْتَبَا^(٥)

(١) هو مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير أحد بني وقدان بن الحريش بن صعصعة. راجع «الشعر
والشعراء» ص ٣٨٩.

(٢) المعاذير: جمع عذر، ومكاذب: جمع الكذب.

(٣) هو إبراهيم النخعي.

(٤) سَلَم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني. أبو عبد الله. والي البصرة أيام أبو جعفر
المنصور.

(٥) أعتب: من العتاب.

وكنْتُ كذِي دَاءٍ تَبَغَى لِدَائِهِ طَبِيباً فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبَّبَا^(١)
 كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ مُعْتَذِراً : تَوَهَّمْتُ ، أَعَزَّكَ اللَّهُ ، نَفَرْتُكَ عِنْدَ نَظَرَتِكَ
 إِلَى عِنْوَانِ كِتَابِي هَذَا بِاسْمِي ، لَمَّا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ السَّخِيمَةِ^(٢) عَلَيَّ ، فَأَخْلَيْتُهُ مِنْهُ ؛
 وَانْتَظَرْتُ بِاسْتِعْطَافِكَ مِنْ طَوِيلَتِكَ فِي عَاقِبَةِ أَمْتِدَادِ الْعَهْدِ ، وَأَمِنْتُ أَضْطِغَانَكَ
 لِنَفِي الدَّيْنِ الْحَقْدِ ، وَاخْتَصَرْتُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ الْمُنْتَسِبِ إِلَى الْإِصْرَارِ ،
 وَالْاِعْتِذَارِ الْمُتَعَاوِدِ بَيْنَ النُّظَرَاءِ ، وَالْإِقْرَارِ الْمَثْبُتِ لِلْأَقْدَامِ ، الْاِسْتِسْلَامَ لَكَ .
 عَلَى أَنَّكَ إِنْ حَرَمْتَنِي رِضَاكَ أَتَسَعْتُ بِعَفْوِكَ ، وَإِنْ أَعْدَمْتَنِيهِمَا تَوَغَّرَ صَدْرُكَ^(٣) لَمْ
 تَضِيقْ مِنَ الرَّقَّةِ عَلَيَّ مِنْ مُصِيبَةِ الْجِرْمَانِ ؛ وَإِنْ قَسَوْتَ رَجَعْتُ بِكَ عَوَاطِفُ مِنْ
 أَيَادِيكَ عِنْدِي نَازِعَةً^(٤) بِكَ إِلَى اسْتِمَامِهَا لَدَيَّ . وَمِنْ حُدُودِ فُضَائِلِ الرُّؤْسَاءِ
 مُقَابَلَةُ سُوءٍ مِنْ خَوْلُوا بِالْإِحْسَانِ . وَلَا نِعْمَةً عَلَى مُجْرِمٍ إِلَيْهِ أَجْزَلُ مِنَ الظُّفْرِ ،
 وَلَا عَقُوبَةُ لِمُجْرِمٍ أَبْلَغُ مِنَ النَّدَمِ ؛ وَقَدْ ظَفِرْتُ وَنَدِمْتُ . كَتَبْتُ وَأَنَا عَلَى مَا
 تُحِبُّ بِشُراً إِنْ تَغَمَّدَتْ زَلَّتِي ، وَكَمَا تُحِبُّ ضِراً إِنْ تَرَكْتَ إِقَالَتِي^(٥) ، وَبِخَيْرٍ فِي
 كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مَا بَقِيَتْ .

وَكَتَبْتُ فِي كِتَابِ اعْتِذَارِ اسْتِعْطَافٍ : وَكَمْ عَسَى أَنْ يَكُونَ تِمَادِيكَ فِي عَتَبِكَ ؛ لَوْلَا
 أَنِي مُضْطَرٌّ إِلَى وَصْلِكَ وَأَنْتَ مَطْبُوعٌ عَلَى هَجْرِي . لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذُلِّي
 وَعِزِّكَ ، وَخَفَضِي جَنَاحِي وَنَأَيْ بِجَانِبِكَ .

وَفِي كِتَابِ آخِرٍ : قَدْ أَوْدَعَنِي اللَّهُ مِنْ نِعَمِكَ مَا بَسَطَنِي فِي الْقَوْلِ مُدْلاً بِهِ

(١) تَبَغَى : أَيِ ابْتَغَى وَطَلَبَ ، وَالدَّاءُ : الْمَرَضُ .

(٢) السَّخِيمَةُ : الضَّغِينَةُ وَالْحَقْدُ .

(٣) تَوَغَّرَ الصَّدْرُ : امْتَلَأَ بِالْغَضَبِ وَالضَّيْقِ .

(٤) النَّازِعَةُ : الْمَائِلَةُ .

(٥) الْإِقَالَةُ : الْإِعَانَةُ وَالْمَعْرُوفُ .

عليك، ووَكَّد من حُرْمَتِي بك ما شَفَّع لي في الذنوب إليك، وأَعْلَقَنِي من أسبابك ما لا أخاف معه نِبَوات الزمان عليَّ فيك، وأَمَتَّنِي بحلمك وأَنَاتك بادرَةَ غضبك؛ فأَقْدَمْتُ ثِقَةً بِإِقَالَتِكَ إن عَثَرْتُ، وبتقويمك إن رُغْتُ. وبأخذك بالفضل إن زَلَلْتُ.

وفي كتاب اعتذار: أنا عليلٌ منذ فارقْتُكَ؛ فإن تَجْمَعُ عليَّ العَلَّةُ وعتبَكَ أَفْدَحُ^(١). على أن ألم الشوق قد بلغ بك في عقوبيتي؛ وحضرني هذا البيت على ارتجالٍ فوصلْتُ به قولي:

لَكَ الْحَقُّ إِنْ تَعَتَّبَ عَلَيَّ لِأَنِّي جَفَوْتُ وَإِمَّا تَغْتَفِرْ فَلَكَ الْفَضْلُ

أنهيتُ عذري لِأَنتهِي إلى تَفَضُّلك بقبوله^(٢) وإن قبولك^(٣) يَمَحُ إفراطي في البرِّ بِكَ تفريطي فيه، وإلى ذلك ما أسألك تعريفي خَيْرَك لِأَرَأَحَ إليه، وأَسْتَزِيدُ اللَّهَ فِي أَجْرِهِ^(٤) لك.

وفي فصل آخر:

أنا المُقَرَّرُ بقصوري عن حَقِّكَ، واستحقاقي جَفَاءً؛ وبفضلِكَ من عَذْلِكَ أَعُوذُ، فوالله لئن تأخَّرَ كتابي عنكَ، ما أَسْتَزِيدُ نفسي في شكرِ مودَّتِكَ، ولطيفِ عنايتِكَ. وكيف يَسْلَاكَ أو يَنسَاكَ أَخٌ مُغْرَمٌ بك يراك زِينَةً مَشْهَدَهُ وَمَعْيَبَهُ!

[بسيط]

(١) أفدح: ابهظ وأثقل.

(٢) من هنا إلى آخر هذا الكتاب غير واضح في الأصل وقد أثبتنا ما يمكن أن يكون مقارباً للصحة.

(٣) في الأصل أَبْلَكَ.

(٤) في الأصل أسره.

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليت من نعمٍ^(١)

وفي آخر الكتاب:

إذا اعتذر الصديقُ إليك يوماً
فصنّه عن عتابك واعفُ عنه
من التقصير عذر أخٍ مُقرٍّ
فإن الصفح شيمَةٌ كلِّ حرٍّ

وقال الخليل بن أحمد:

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني
أو كنتَ أجهل ما تقول عذلتُكَ
وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكَ

قيل لبزرجمهر: ما بالكم لا تُعَاتِبُونَ الجَهْلَةَ، قال: لأننا لا نريد من العُُمَيَّان أن يُبْصِرُوا.

وقال ابن الدُّمَيْنَةِ^(٢):

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عَرَضُوا لَهُ
ولم يعتذرْ عذرَ البريء ولم تنزل
ببعض الأذى لم يَدِرْ كيف يُجِيبُ
به ضَعْفَةٌ حتى يقال مُرِيبٌ^(٣)

وكتب رجلٌ إلى صديق له يعتذر: أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه، ولا يُغَالِطُكَ عن جُرْمِهِ، ولا يَلْتَمِسُ رضاكَ إلَّا من جِهَتِهِ، ولا يَسْتَعِظُكَ إلَّا بالإِقْرَارِ بالذنبِ، ولا يَسْتَمْلِكُ إلَّا بالاعتراف بالزُّلَّةِ.

وقرأت في كتاب: لستُ أدري بأيِّ استجزتَ تصديقَ ظَنِّكَ حتى أنفذتَ عليّ به حكمَ قَطِيعَتِكَ، فوالله ما صَدَّقَ عليّ ولا كاد، ولا استجزتُ ما توهمته

(١) أوليت من نعم: قدّمت من خير وعطاء، والمعنى أن أياديك وأفضالك كثيرة لا يمكن أن تنسى لديّ.

(٢) ابن الدُّمَيْنَةِ: هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد من بني عامر بن تيم الله من خثعم، أبو الشَّري، والدُّمَيْنَةُ أُمّة، شاعر بدويٌّ من أَرْقَ الناس شعراً.

(٣) الضعفة: السكوت عن ردِّ الأذى.

فيمن لا يلزمني حقّه. وأعيدك بالله من بدار^(١) إلى حكم يُوجب الاعتذار، فإنّ الأناة^(٢) سبيل أهل التقى والنّهى؛ والظنّ والإسراع إلى ذوي الإخاء يُنتجان الجفاء، ويُميلان عن الوفاء إلى اللّفاء^(٣).

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر إلى رجل في آخر يوم من شعبان: والله فيّائي في غبر^(٤) يومٍ عظيم، وتلقاء ليلة تفتّر^(٥) عن أيامٍ عظامٍ، ما كان ما بلغك.

وقرأت في كتاب معتذر: إنك تُحسن مجاورتك للنعمة، واستدامتك لها، واجتلابك ما بعد منها بشكر ما قُرب، واستعمالك الصّفح لما في عاقبته من جميل عادة الله عندك؛ ستقبّل العذر على معرفة منك بشناعة الذنب، وتُقيل العثرة^(٦) وإن لم تكن على يقين من صدق النية، وتدفع السيئة بالتي هي أحسن.

اعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى البرمكي، فقال له جعفر: قد أغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار، وأغنانا بالموّدة لك عن سوء الظن بك.

وقال بعض الشعراء:

[طويل]

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً إليك فلم تغفر له فلك الذنبُ
كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للمنصور على المدينة، فهجاه ورّداً

(١) البدار: المسارعة.

(٢) الأناة: الصبر والتّمسك والحلم.

(٣) اللّفاء: اليسير الحقيق، يقال: رضي فلان من الوفاء باللّفاء، أي رضي من حقّه الوافي بالقليل.

(٤) غبر يوم: بواقبه، أي ما بقي منه.

(٥) تفتّر: تكشف وتظهر.

(٦) تقيل العثرة: تصلح الزّلة.

ابن عاصم المُبرَّسَم فقال: [وافر]

له حقٌ وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسولُ
فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو مائلٌ بين يديه يقول:

[وافر]

سيأتي عُذْرِي الحسنَ بن زيدٍ وتَشْهَدُ لي بِصَفَيْنِ القبورُ
قَبورُ لو بأحمدَ أو عليٍّ يلوذ مُجيرها حُفِظَ المُجيرُ
هما أبواك مَنْ وَضَعَا تَضَعُهُ وَأَنْتَ بَرَفَعَ ما رَفَعَا جَدِيرُ

فاسخفَ الحسنَ كرمه، فقام إليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه.

وفي كتابٍ لمعتذرٍ: عُلُوُّ الرُّبَّةِ واتِّسَاعُ القُدْرَةِ وانْبِساطُ اليَدِ بالسَّطْوَةِ،
ربما أُنْسَتْ ذَا الحَقِّ المُحْفَظُ^(١) من الأحرار فضيلةُ العفو وعائدةُ الصَّفْحِ وما في
إقالة المذنب واستبقائه من حسن السماع وَجَمِيلُ الأُحْدُوثةِ، فبعثته على شفاء
عَيْظِهِ، وَحَرَكْتِهِ، على تبريد عُلتِهِ، وأسْرَعَتْ به إلى مُجَانِبَةِ طِبَاعِهِ وَرُكُوبِ ما
ليس من عادته. وَهَمَّتْكَ تَجَلُّلٌ عَنْ دَنَاءَةِ الحِقْدِ، وترتفع عن لَوْمِ الظَّفَرِ.

وفي فصل: نَبَتْ^(٢) بي عنك غِرَّةُ الحَدَاثَةِ^(٣) فَرَدَدْتَنِي إِلَيْكَ الحُنْكَةُ،
وباعدتني عنك الثقةُ بالأَيامِ فأدنتني إليك الضرورةُ، ثَقَّةٌ بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ
كُنْتُ أَبْطَأْتُ مِنْكَ، وَقَبُولُكَ العِذْرَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ سَدَّتْ عَلَيْكَ مَسَالِكَ
الصَّفْحِ؛ فَأَيُّ مَوْقِفٍ هُوَ أَدْنَى مِنْ هَذَا المَوْقِفِ لَوْلَا أَنَّ المَخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ! وَأَيُّ
خُطَّةٍ هِيَ أَوْدَى بِصَاحِبِهَا مِنْ خُطَّةٍ أَنَا رَاكِبُهَا لَوْلَا أَنَّهَا فِي رِضَالِكَ!.

أوقع^(٤) الحجاج يوماً بخالد بن يزيدَ يعييه وينتقصه وعنده عمرو بن عُتْبَةَ:

(١) المُحْفَظُ: الواجد والحاقد. (٢) نبت: أبعدت وفُرِّقَت.

(٣) غِرَّةُ الحَدَاثَةِ: طيش الشباب. (٤) أوقع فيه: أي ذكره واغتابه.

فقال عمرو: إن خالداً أدرك مَنْ قبله وأتعب مَنْ بعده بقديم غلب عليه وحديث لم يُسبق إليه؛ فقال الحجاج معتذراً: يا بن عتبة، إنا لنسترضيكم بأن نغضب عليكم، ونستعطفكم بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا، فتعرضنا للذي تحبون.

قال المنصور لرجل أتاه نائباً معتذراً من ذنب: عهدي بك خطيئاً فما هذا السكوت! فقال: يا أمير المؤمنين؛ لسنا وفد مباهاة^(١) وإنما نحن وفد توبة، والتوبة تُتلقى بالاستكانة^(٢).

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام، فأرَبى^(٣) عليه القائد إلى أن قال له: يا لقيط! فاطرق أبو مسلم، فلما سكت عنه فورة الغضب نديم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى أنطقتني فاغفر لي؛ قال: قد فعلت؛ فقال: إني أحب أن أستوثق لنفسي؛ فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنت تُسيء وأحسن، فلما أحسنت أُسيء!

قال الطائي:

[طويل]

وكم ناكث للعهد قد نكث به أماينيه واستخذى بحقك باطله^(٤)
فحاط له الإقرار بالذنب روحه وجثمانه إذ لم تحطه قبائله^(٥)

(١) المباهاة: المفاخرة.

(٢) الاستكانة: السكون والدعة.

(٣) أرَبى عليه: تهجم وافتخر محتدأ.

(٤) استخذى: استحوذ عليه.

(٥) حاط له: أي حفظه وحماه.

وقال آخر:

[منسرح]

حتى متى لا تزال معتذراً من زلة منك ما تجانبها
لا تتقي عيبها عليك ولا ينهاك عن مثلها عواقبها
لتركك الذنب لا تقارفه أيسر من توبة تقارها^(١)
قال أعرابي لابن عم له: سأخطي ذنبك إلى عذرِكَ، وإن كنت من
أحدهما على يقين ومن الآخر على شك؛ لیتَّ المعروف مني إليك، ولتقوم
الحجة مني عليك.

عُتِبَ الإِخْوَانُ وَالتَّبَاغُضُ وَالْعَدَاوَةُ

حدَّثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مَعَاذَةَ
أَنهَا سَمِعَتْ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَجِلُّ
لِمُسْلِمٍ أَنْ يُصَارِمَ^(٢) مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، وَأَيُّهُمَا فَعَلَ فَإِنَّهُمَا نَاكِثَانِ^(٣)» عَنْ الْحَقِّ
مَا دَامَا عَلَى صُرْمِهِمَا وَإِنْ مَاتَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ.

قال بعض الشعراء:

[بسيط]

سَنَ الضَّغَائِنِ أَبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلْأَبَاءِ أَبْنَاءُ
هذا مثل قول أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: العداوة تُتَوَارَثُ.
وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: إِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ عَنْ عِلَّةٍ كَانَ الرِّضَا مَرْجُوءًا،
وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ كَانَ الرِّضَا مَعْدُومًا. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضَا
أَخِيهِ فَلَا يَرْضَى، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُسَخِّطَهُ عَلَيْهِ طَلِبُهُ رِضَاهُ.

(١) المقارنة: الإرتكاب للذنب.

(٢) أن يصارم: أن يقاتل ويجفو.

(٣) الناكث: المتباعد والناقض.

قال بعض المحدثين: [متقارب]
 فلا تَلَهُ عن كسبٍ وُدَّ العدوَّ ولا تجعلَنَّ صديقاً عدواً
 ولا تَبْغِزْ بهُذُوَّ امرئٍ إذا هِيجَ فارقَ ذاكَ الهدواً
 وقال آخر:

احْذَرْ مَوَدَّةَ ما ذِيقَ شَابَ المرارةَ بالحلاوة^(١)
 يُحْصِي العيوبَ عليك أيَّامَ الصداقةِ والعداوةِ
 وقال أبو الأسود الدؤليّ:

إذا المرءُ ذو القربى وذو الضغنِ أجمعت به سَنَةٌ حَلَّتْ مصيبتُهُ حِقْدِي^(٢)
 وقال محمد بن أبان اللاحيقي^(٣) لأخيه إسماعيلَ:

تَلُومٌ على القطيعةِ مَنْ أتاها وأنتَ سَنَتَها في الناسِ قَبْلِي
 وقال آخر:

ورُوعَتْ حتى ما أراعُ من النوى وإن بانَ جيرانُ عليٍّ كِرامُ
 فقد جعلتُ نفسي على اليأسِ تنطوي وعَيَّنِي على هجرِ الصديقِ تنامُ
 قال أحمدُ بن يوسف^(٤) الكاتب:

ما على ذا كُنّا افترقنا بسندا دَولاً بيننا عَقَدْنَا الإخاءَ^(٥)

(١) المأذق: الذي يشوب الودَّ بكدر ولا يخلصه.

(٢) أجمعت به سنة: أي ذهب به.

(٣) هو محمد بن أبان اللاحيقي البلخي أبو بكر من حفاظ الحديث له تصانيف في الحديث. توفي ببلخ.

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب، وزير من كبار الكتاب من أهل الكوفة وفي ديوان الرسائل للمأمون.

(٥) سنداد: اسم موضع.

نُطْعِنُ النَّاسَ بِالْمُثَقِّفَةِ السُّمِّ رِ عَلَى غَدْرِهِمْ وَنَنْسِي الْوَفَاءَ^(١)
 قِيلَ لِأَفْلَاطُونُ: بِمَاذَا يَنْتَقِمُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ؟ قَالَ: بِأَنْ يَزِدَّادَ فَضْلاً فِي
 نَفْسِهِ.

وكان يقال: احذَرُ معادة الدليل، فربما شَرِقَ^(٢) بالذِّباب العزيرُ.

كتب رجل من الكتَّاب إلى صديق له تجنَّى عليه: [متقارب]

عَتَبْتَ عَلَيَّ وَلَا ذَنْبَ لِي بِمَا الذَّنْبُ فِيهِ وَلَا شَكَّ لَكَ
 وَحَازَرْتَ لَوْمِي فَبَادَرْتَنِي إِلَى اللُّومِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَبْذُرَكَ
 فَكُنَّا كَمَا قِيلَ فِيمَا مَضَى خُذِ اللَّصَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْخُذَكَ
 وقال آخر:

رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مَالاً، وَمَسَّنَا زَمَانٌ تَرَى فِي حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغَبًا^(٣)
 جَعَلْتَ لَنَا ذَنْباً لَتَمْنَعَ نَائِلاً فَأَمْسِكْ وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْباً
 وقال آخر:

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى. وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ
 وَجَدَّكَ لَا يَرْضَى إِذَا كَانَ عَاتِباً خَلِيلُكَ إِلَّا بِالْمُودَّةِ وَالْبَذْلِ
 مَتَى تَجْمَعِي مَنَا كَثِيراً وَنَائِلاً قَلِيلاً يُقَطِّعُ ذَاكَ بَاقِيَةَ الْوَصْلِ

كتب رجل إلى صديق له: [طويل]

(١) المثقفة السمر: أي الرماح.

(٢) شرق: غص.

(٣) الشغب: تهيج السد.

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ لقد سرّني أنني خطرتُ ببالك^(١)

وقال آخر:

[بسيط]

إذا رأيتُ ازوراراً من أخي ثقةٍ ضاقتُ عليّ برُحْبِ الأرضِ أوطاني
فإن صددتُ بوجهي كي أكافئه فالعين غَضِبِي وقلبي غيرُ غضبان

وقال إبراهيم بن العباس^(٢):

[بسيط]

وقد غَضِبْتُ فما باليتُم غَضِبِي حتى انصرفْتُ بقلبٍ ساخطٍ راضي
وقال زهير^(٣):

[وافر]

وما يك في عدوّ أو صديقٍ تُخَبِّرُكَ العيونُ عن القلوبِ

[وافر]

وقال دريد^(٤):

وما تخفى الضغينةُ حيث كانت ولا النظرُ الصحيحُ من السقيم

[من مجزوء الخفيف]

وقال ابن أبي خازم:

أُخذُ من الدهر ما كفى ومن العيش ما صفا
لا تُلَحَنَّ بالبكا ءعلى منزلٍ عفا^(٥)
أحلّ عنك العتاب إن خان ذو الوُدِّ أو هفا
عينُ من لا يُحبَّ وصـ لَكَ تُبدي لك الحفا

[بسيط]

وقال أعرابي يذكر أعداء:

- (١) خطرت ببالك: أي افكرتني بعد نسيان.
- (٢) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ترجم له في الصفحة ٧٤.
- (٣) هو زهير بن أبي سلمة الشاعر الجاهلي المعروف.
- (٤) هو دريد بن الصمة بن الحارث من هوازن، الفارس المشهور، والشاعر المذكور «راجع معجم الشعراء ص ١١٤».
- (٥) عفا: درس ودثر.

يُزْمَلُونَ جَنِينَ الضُّغْنِ بَيْنَهُمْ وَالضُّغْنُ أَشْوَهُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ^(١)
 إِنْ كَاتَمُونَا الْقُلَى نَمَتْ عَيُونُهُمْ وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ^(٢)

وقال ابنُ أبي أمية^(٣): [سريع]

كَمْ فَرْحَةٍ كَانَتْ وَكَمْ تَرْحَةٍ تَخَرَّصْتُهَا لِي فِيكَ الظَّنُونُ^(٤)
 إِذَا قُلُوبُ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا تُضْمِرُهُ أَنْبَتُكَ عَنْهَا الْعَيُونُ

وقال آخر: [هزج]

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنوانَ الَّذِي أُبْدي

وقال آخر: [طويل]

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أَعَاتِبُهُ

يقول: لَا أَقْدِرُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. ومثله: [وافر]
 إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوَلَّبٍ فِي الْإِعْرَاضِ^(٥): [طويل]

فَصَدْتُ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهَا بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنْتُ بِحَاجِبِ

أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ: [سريع]

يَا قَمَرًا لِلنَّصْفِ مِنْ شَهْرِهِ أَبْدى ضِيَاءَ لَثْمَانٍ بَقِيْنِ

(١) يُزْمَلُونَ: يَخْفُونَ وَيَسْتَرُونَ، وَالْأَسْوَةُ: الَّذِي فِيهِ تَشْوِيهِ وَنَقْصٌ، وَالْكَلْفُ: شَيْءٌ يعلو الْوَجْهَ كَالْمَسْمُوعِ يَعْرِفُ بِالنَّمَشِ.

(٢) الْقُلَى: الْبَغْضُ، وَنَمَتْ: أَظْهَرَتْ وَأَبَانَتْ.

(٣) ابْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ: وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةِ الْكَاتِبِ، وَكَتَبَهُ أَبُو حَشِيشَةَ، وَصَفَهُ مَخَارِقُ لِلْمَأْمُونِ وَغَنَاءُ وَمَدَحُ الْمُتَوَكِّلِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ.

(٤) تَخَرَّصْتُهَا: ابْتَدَعْتُهَا كَذِبًا.

(٥) الْإِعْرَاضُ: الصَّدَّ.

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفه .

وقال آخر في الضغينة : [طويل]

وفينا وإن قيل اصطالحنا تضاغنُ كما طَرَّ أوبارُ الجرابِ على النَّشْرِ^(١)

وقال آخر في نحوه^(٢) : [طويل]

وقد يَنْبُتُ المرعى على دَمِنِ الثَّرى وتَبَقَّى حَزَازَاتُ النفوسِ كما هَيَا^(٣)

وقال الأخطل : [بسيط]

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدُمْتُ كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِيناً ثُمَّ يَنْتَشِرُ^(٤)
شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٥)

وَقُرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَيْسَ بَيْنَ عَدَاوَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ صَلَاحٌ إِلَّا رِيثَمَا
يَنْتَكُثُ ، كَالْمَاءِ إِنْ أَطِيلَ إِسْخَانُهُ فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا .

قال سعد بن أبي وقاص لعَمَّار بن ياسِر : إِنْ كُنَّا لِنَعْدُكَ مِنْ أَكْبَارِ
أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِ إِلَّا ظِمٌّ^(٦) الْحِمَارُ فَعَلَتْ

(١) طَرَّ : طلع ونبت والنشر : الكلا بهيج أعلاه وأسفله ندي أخضر ، تدقء منه الابل «يكثر وبرها وشحمها» إذا رعته كذا ذكره صاحب اللسان في مادة «نشر» وقد ساق هذا البيت في أبيات لعُمير بن حباب وقال في تفسيره : يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين ، وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجربى على أكل النَّشْرِ وتحتها داء منه في أجوافها .

(٢) هذا البيت «لزفر بن حارث الكلابي» كما جاء في مروج الذهب ج ٣ ص ٧٩ ط بيروت .

(٣) الدَّمِنُ : جمع دمنة وهي آثار الناس وما سَوَدُوا ، أي أن المرعى قد بنيت في هذه المواضع ويعقبها إلا أن الذي في النفس من الكراهية وغيرها يبقى فيها ولا يمكن أن تمحوه بعض المظاهر الخارجية .

(٤) العُرَّ : الجرب .

(٥) شمسُ العداوة : أي عداوتهم في قوَّة وعناد ويستقاد لهم : يخضع وينقاد .

(٦) ظم الحمار : يقال ما بقي إلا ظم الحمار ، أي لم يبق من عمره إلا اليسير ، لأنه يقال : إنه ليس من الدواب أقصر ظمًا من الحمار وهو أقل الدواب صبراً على العطش يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

وفعلت؛ قال: أَيْمًا أَحَبُّ إِلَيْكَ: مَوَدَّةٌ عَلَى دَخَلٍ^(١) أَوْ مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ؟ قال: مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال: لله عَلَيَّ أَلَّا أَكَلَمَكَ أَبَدًا.

وقال بعضُ الشعراءِ في صديقٍ له تَغَيَّرَ: [منسرح]
إِحْوَلُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي^(٢).
وقال المُنْتَقِبُ العَبْدِيُّ^(٣): [وافر]

وَلَا تَعْدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمَرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فَلَيْتَنِي لَوْ تُعَانِدُنِي شِمَالِي عِنَادُكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذَا لَقِطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ بَيْنِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي^(٤)
وقال الكُمَيْتُ: [طويل]

وَلَكِنْ صَبْرًا عَنْ أَخٍ عَنْكَ صَابِرٌ عَزَاءٌ إِذَا مَا النَّفْسُ حَنَّ طَرُوبَهَا^(٥)
رَأَيْتُ عَذَابَ الْمَاءِ إِنْ حِيلَ دُونَهَا كِفَاكَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ شَرُوبَهَا^(٦)
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ فَلَا رَأْيَ لِلْمَجْهُودِ إِلَّا رَكُوبَهَا^(٧)

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: الْعَدُوُّ إِذَا أَحْدَثَ صَدْلَقَةً لَعَلَّةٍ أَلْجَأَتْهُ إِلَيْهَا فَمَعَ
ذَهَابِ الْعَلَّةِ رَجُوعَ الْعِدَاوَةِ، كَالْمَاءِ يَسْخَنُ فَإِذَا رُفِعَ عَادَ بَارِدًا.

وقال محمد بن يزداد الكاتب: إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْطَعَ يَدَ عَدُوِّكَ فَقَبِّلْهَا.
قال الشاعر: [طويل]

(١) الدخول: الحقد المضمر.

(٢) إحول عني: يقال إحولت عنه من الحول، والمراد الإعراض والإنصراف.

(٣) المنتقب العبدى ثم النكري راجع ص ٧٧ حيث مرّت ترجمته.

(٤) أجتوي: أهجر وأكره.

(٥) حنّ طروبها: قلبها، أي ما يطرب في الإنسان قلبه ونفسه.

(٦) الشروب والشريب: الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا ضرورة.

(٧) المجهود: المضطر والمحتاج.

لقد زادني حباً لنفسِي أُنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُ قَطَعَ الطَّرْفَ دُونَهُ وَدُونِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنْ الضَّيِّقِ فِي عَيْنِهِ كَفَّةٌ حَابِلٌ^(١)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اعتزلْ عدوكَ وأحذرْ صديقك إلا الأمين، ولا أمينَ إلا من خشيَ الله.

الهيثم عن ابن عيَّاش قال: أخبرني رجل من الأزد قال: كنا مع أسد بن عبد الله بخراسان، فبينما نحن نسير معه وقد مدَّ نهر فجاء^(٢) بأمرٍ عظيم لا يوصف، وإذا رجل يضربه الموج وهو ينادي: الغريقُ الغريقُ! فوقف أسد وقال: هل من سابع؟ فقلت: نعم، فقال: ويحك! إلحِقِ الرجل! فوثبتُ عن فرسي وألقيتُ عَنِّي ثِيَابِي ثُمَّ رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي الْمَاءِ، فَمَا زِلْتُ أَسْبَحُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ قَرِيباً مِنْهُ قُلْتُ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قال: من بني تميم؟ قلت: إمضِ راشداً، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعاً حَتَّى غَرِقَ: فقال ابن عيَّاش: فقلت له: ويحك! أما اتقيتُ الله! غرقتُ رجلاً مسلماً! فقال: والله لو كانت معي لَبَنَةٌ لضربتُ بها رأسه.

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت^(٣) وجعل يدعو لأبيه؛ ف قيل له: ألا تدعو لأُمِّك؟ فقال: إنها تميمية.

وقرأت في كتابٍ للهند: جانب الموتورَ وكن أحذرَ ما تكون له أَلُطْفَ ما يكون بك، فإنَّ السَّلامَةَ بين الأعداءِ تَوْحُّشٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمِنْ الْأَنْسِ وَالثَّقَةِ حُضُورُ آجَالِهِمْ.

(١) كَفَّةٌ حَابِلٌ: الحَابِلُ: الصَّيَادُ، وَكَفَّةٌ حَابِلٌ: مَصِيدَتُهُ وَشُرْكُهُ.

(٢) مَدَّ النُّهْرَ: فَاضَ مَآؤُهُ.

(٣) بِالْبَيْتِ: يَعْنِي بِالْكَعْبَةِ الْمُشْتَرِئَةِ.

أراد الملك قتل بُزْرَجْمَهْر وأن يتزوّج ابنته بعد قتله؛ فقال: لو كان ملككم حازماً ما جعل بينه وبين شعاره مَوْتورة^(١).

قال أبو حازم: لا تُتَاصَبَنَّ رجلاً حتى تنظر إلى سَرِيرته؛ فإن تكن له سريرة حسنة فإن الله لم يكن يخذله بعداوتك إياه، وإن كانت سريرته رديئة فقد كفاك مساوئه، لو أردت أن تعمل بأكثر من معاصي الله لم تقدر.

قال رجل: إني لأغتئم في عدوي أن ألقى عليه النملة وهو لا يشعر لتؤذيته.

[وافر]

وقال الأفوه الأودي^(٢):

فلم أر غيرَ خَلَابٍ وقَالِي ^(٣)	بلوتُ الناسَ قرناً بعدَ قرنٍ
فما طعمُ أمرٍ من السَّوَالِ	وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعاً
وأصعبَ من مَعَاداةِ الرجالِ	ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ هولاً

[وافر]

وقال آخر:

عداوةٌ غيرَ ذي حَسَبٍ ودينٍ	بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ
ويرتُعُ منك في عِرْضٍ مصونٍ	يُبيحكُ منه عِرْضاً لم يَصْنه

شماتة الأعداء

بلغ عمرو بن عتبة شماتة قومٍ به في مصائب؛ فقال: والله، لئن عظم

(١) الشعار: ما ولي الجسد من الثياب، والموتور: التي لديها ثار.

(٢) الأفوه الأودي: هو صلاة بن عمر بن مالك من بني أود شاعر يمني جاهلي يكتي أبا ربيعة لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين.

(٣) بلوت الناس: اختبرتهم، والخلاب: المخادع، والقالي: المبخض.

مُصَابِنَا يَمُوت رِجَالُنَا لَقَدْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْنَا بِمَا أَبْقَى اللَّهُ لَنَا: شُبَّانًا يَشُبُّونَ^(١)
الْحُرُوبَ، وَسَادَةً يُسَدُّونَ الْمَعْرُوفَ، وَمَا خُلِقْنَا وَمَنْ شِمَتَ بِنَا إِلَّا لِلْمَوْتِ.

قِيلَ لِأَيُّوبَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ فِي بِلَائِكَ؟
قَالَ: شِمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ.

إِشْتَكَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ شِكَاةً شَدِيدَةً وَبَلَغَهُ أَنَّ هِشَامًا سُرَّ بِذَلِكَ،
فَكَتَبَ إِلَى هِشَامٍ يِعَاتِبُهُ، وَكَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ: [طَوِيل]

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ، وَإِنْ أُمْتُ
وَقَدْ عَلِمُوا، لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عَنْدهُمْ،
مَنْيَّتُهُ تَجْرِي لَوْقَتٍ وَحَتْفُهُ
فَقَالَ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:
فَتَلَكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
مَتَى مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَيَّ بِمُخْلَدٍ
يَصَادِفُهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
تَهَيَّأُ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِيرًا^(٢)
[وَافِر]

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا
حَوَادِثُهُ أَنْاخَ بِأَخْرِينَا
سِيلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَغْيَرِ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَذُهِبَ بِإِبْلِهِ فَقَالَ:
[وَافِر]

لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ
مَا سَبَّرَنِي أَنْ إِبْلِي فِي مَبَارَكِهَا
لَوْلَا شِمَاتَةُ أَعْدَاءِ ذَوِي إِحْسَنِ^(٣)
وَأَنَّ شَيْئًا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ
وَقَالَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ الْعِبَادِيُّ:
[خَفِيف]

أَرْوَاحُ مُودِّعٍ أَمْ بُكُورُ
لَكَ فَانْظُرْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ

(١) يَشُبُّونَ الْحَرْبَ: يَضْرُمُونَ نَارَهَا.

(٢) فَكَأَنَّ قَدِيرًا: كَانَ لِلتَّشْبِيهِ، وَقَدْ: تَفِيدُ التَّحْقِيقَ، أَيِ الْآخَرَى كَأَنَّهَا تَحَقَّقَتْ.

(٣) الْإِحْسَنُ: الْأَحْقَادُ.

وابيضاضُ السوادِ من نُذُرِ المو
أيها الشامتُ المعيرُ بالذه
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأي
من رأيتُ المنونَ خلَدنَ أم من
أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشِ
وأخو الحَضْرَ إذ بناه وإذ دج
شادَهُ مَرْمَرِفاً وجلَّله كد
لم يَهَبْه ريبُ المنونِ فباد ال
وثبيّنَ ربُّ الخَوَرَنقِ إذ أشد
سَرَه حَالُهُ وكثرةُ ما يم
فارعوى قلبه فقال وما غب
ثم بعد الفلاحِ والمُلكِ والنَّع
ثم أضحووا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ
قال ابن الكلبي^(٧): لما قُبِضَ النبي ﷺ سمع بموته نساءً من كِنْدَةَ وحضر
موتَ فَخَضَبْنِ أيديهنَّ وضربنَ بالدفوف، فقال رجلٌ منهم: [كامل]

- (١) سابور الجنود: وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو ابن هرمز وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان.
- (٢) الحفر: قصرٌ بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويعني بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، والخابور: أسمٌ نهر كبير.
- (٣) الخورنق: قصر للنعمان.
- (٤) معرضاً: مشعاً، والسدير: قبل قصر وقيل نهر،.
- (٥) ارعوى قلبه: انتبه وعاد إليه رشده.
- (٦) الصبا والدبور: أسماءٌ للريح التي تهبُّ باردةً وحارةً.
- (٧) ابن الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر بن عمر بن الحارث الكلبي أبو النضر، نسابة راوية، عالمٌ بالتفسير والأخبار وأيام العرب من أهل الكوفة.

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته أن البغايا رُمِنَ أي مَرامِ
أظهرن من موت النبي شماتةً وخضبن أيديهن بالعلَام^(١)
فاقطعن، هُديت، كُفَّهن بصارم كالبرق أومض من متون غمام^(٢)

فكتب أبو بكر إلى المهاجر عامله، فأخذهن وقطع أيديهن.
وقرأت في كتاب ذكر فيه عدو: فإنه يتربص بك الدوائر، ويتمنى لك
الغوائل، ولا يؤمل صلاحاً إلا في فسادك، ولا رفعة إلا في سقوط حالك
والسلام.

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصّه:

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبي
محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله عليه. وكتبه الفقير إلى
الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري، وذلك في
شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة. وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله
الطاهرين.

وفي هذه الصفحة عينها وجد ما يأتي - وهو من زيادة الناسخ -:

قيل قدم المهدي أمير المؤمنين، وقيل الرشيد^(٣)، فتلقاه الناس، وتلقاه
أبو دلامة^(٤) في جملة الناس، فأنشده:

[كامل]

(١) العلام: الحناء.

(٢) البراق يومض: أي يلمع، وهنا كناية عن السرعة.

(٣) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفي سنة إحدى وستين ومائة، وتولى الرشيد الخلافة
سنة سبعين ومائة ثم قال ابن خلكان: ويقال: إنه عاش إلى أيام الرشيد، وبعض الكتب تروي
هذه القصة بأنها حدثت مع أبو جعفر المنصور.

(٤) أبو دلامة: هو زند بن الجون الأشجعي كوفي مليح الشعر كثير النادرة، راجع معجم الشعراء

إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ رَأْيَتَكَ سَالِماً بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
 لِتَصْلِيٍّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلِتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا جَجْرِي
 فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَّا الْأُولَى فَنَعَمْ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَلَسْتُ أَفْعَلُ، فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا
 نَذَرْتَ إِلَّا الْاِثْنَيْنِ، فَضَحِكَ وَأَمَرَ حَتَّى مَلَأُوا حَجَرَهُ دِرَاهِمًا.

[كامل]

وقال شاعر^(١):

وَلَقَدْ تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي فَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ نَسِيمٌ
 وَلَرَبَّمَا اسْتِيَأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا إِنَّ الَّذِي ضَمَّنَ النِّجَاحَ كَرِيمٌ

(١) هو أبو العتاهية الشاعر العباسي المعروف.

كتاب الحوائج

استنجاج الحوائج

حدّثني أحمدُ بن الخليل قال حدّثنا محمدُ بن الحَصِيْبِ قال حدّثني أوسُ ابن عبد الله بن بُريدةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدةَ عن بُريدةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «استعِينُوا على الحوائج بالكَتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ».

قال خالدُ بن صفوان: لا تَطْلُبُوا الحوائجَ في غير حينها، ولا تَطْلُبُوهَا إلى غير أهلها، ولا تَطْلُبُوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع خُلَقَاءَ.

قال شبيبُ بن شيبَةَ: إِنِّي لأعرفُ أمراً لا يتلاقى به اثنانِ إلّا وجب النُجْحُ بينهما؛ فقال له خالدُ بن صفوان: ما هو؟ قال: العقل، فإنّ العاقل لا يَسْأَلُ ما لا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد: نَعَيْتَ إِلَيَّ نفسي! إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لا يَمُوتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلْفَهُ.

أبو اليقظان قال: كان بنو ربيعة - وهم من بين عِسلِ بن عمرو بن يربوع - يُوصُونَ أولادهم فيقولون: استعينوا على الناس في حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم.

[مديد]

قال الشاعر:

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ مَقْطَعَةٌ لِأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلِبَةٍ

فإذا ما هبَنَ ذا أَمَلٍ مات ما أَمَلَتَ من سببِهِ

وقال أبو نُوَاسٍ:

[طويل]

وما طالبُ الحاجاتِ مِمَّنْ يَرومُها
تأَنُّ مواعيدِ الكرامِ فربَّما

والبيتُ المشهورُ في هذا:

[بسيط]

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا آنَسَدَتْ مَسَالِكُهَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ
وَمُذَمِّنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يُلْجَأَ
لَا تِيَأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ

وقال آخر:

[بسيط]

إِنِّي رَأَيْتُ، وَلِلْأَيَّامِ تَجْرِبَةً
وَقُلَّ مَنْ جَدُّ فِي أَمْرِ يُطَالِبُهُ
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَثَرِ
وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظُّفْرِ
والعرب تقول: «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْشًا». يريدون أن الرجل قد يَخْرَقُ
وَيَعَجَلُ فِي حَاجَتِهِ فَيَتَأَخَّرُ أَوْ تَبْطُلُ بِذَلِكَ. وتقول: «الرَّشْفُ أَنْقَعُ». يريدون أن
الشراب الذي يُتَرَشَّفُ رُوِيْدًا رُوِيْدًا أَقْطَعُ لِلْعَطَشِ وَإِنْ طَالَ عَلَى صَاحِبِهِ.

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِقِ:

[رجز]

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِيقْ سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ
وكانوا يَسْتَنْجِحُونَ حَوَائِجَهُمْ بِرَكَعَتَيْنِ يَقُولُونَ بَعْدَهُمَا: اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ
أَسْتَفْتِحُ، وَبِكَ أَسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ إِلَيْكَ أَتَوَجَّهُ، اللَّهُمَّ ذَلِّ لِي صَعُوبَتَهُ،

(١) ارتج: أقفل.

(٢) يلج: يدخل.

وسَهِّلْ لي حُزُونَتَهُ^(١)، وارزُقني من الخير أكثرَ مما أُرْجُو، وأَصْرِفْ عَنِّي من الشرِّ أكثرَ مما أخاف.

وقال القَطَامِيُّ :

[بسيط]

قد يُدْرِكُ المتَنِّي بعضَ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع المستعِجِلِ الزَّلُّ^(٢)
عَمْرُو بن بحر^(٣) عن إبراهيم بن السُّنْدِيِّ قال: قلتُ في أيام ولايتي
الكوفةَ الرجلَ من وجوهها، كان لا يَجِفُّ لُبْدُهُ ولا يستريح قلمه ولا تسكن
حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً
مُفَوِّهاً، خَبَرَنِي عن الشيء الذي هَوَّنَ عليك النَّصَبَ وَقَوَّكَ على التعب ما هو؟
قال: قد والله سمعتُ تغريدَ الطيرِ بالأسحار، في أفنان الأشجار؛ وسمعتُ
خَفَقَ أوطار العيدان، وترجيعَ أصوات القيان الحسان؛ ما طربتُ من صوتٍ قطُّ
طربى من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن، ومن شكرٍ حُرٍّ لمنعمٍ
حُرٍّ، ومن شفاعَةٍ مُحْتَسِبٍ لطالبٍ شاكر. قال إبراهيم: فقلتُ: لله أبوك لقد
حُشِيتَ كرمًا فزادَكَ اللهُ كرمًا، فبأي شيء سَهَّلْتَ عليك المعاوَدَةَ والطلبُ؟
قال: لأنِّي لا أبلغ المجهودَ ولا أسأل ما لا يجوز، وليس صدقُ العذرِ أَكْرَهُ إِلَيَّ
من إنجاز الوعد، ولست لإكْدَاء^(٤) السائل أَكْرَهُ مِنِّي للإجحاف^(٥) بالمسؤول،
ولا أرى الراغبَ أوجبَ عليَّ حقًّا للذي قدَّم من حسن ظنه من المرغوب إليه
الذي احتمل من كُلِّه^(٦). قال إبراهيم: ما سمعتُ كلاماً قطُّ أشدَّ موافقةً

(١) الحزونة: الصعوبة، والحزن: ما غاظ من الأرض.

(٢) الزَّلُّ: العثار.

(٣) يعني الجاحظ، أبو عثمان.

(٤) الإكْدَاء: الإلحاح في الطلب تسوُّلاً.

(٥) الإجحاف: المنع.

(٦) الكَلُّ: العيال والنقل من كلِّ ما يتكلف.

لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هذا الكلام.

وقال مُصَعَّبٌ:

[كامل]

في القوم مُعْتَصِمٌ بقوة أمره ومُقَصِّرٌ أودى به التقصيرُ
لا تَرْضَ منزلةَ الذليلِ ولا تُقِمَ في دار معجزةٍ وأنتَ خبيرُ
وإذا هممت فأمضِ هَمَّكَ إنما طلب الحوائج كلُّه تغريرٌ^(١)

وكان يقال: إذا أحببت أن تطاع، فلا تسأل ما لا استطاع.

ويقال: الحوائج تُطلبُ بالرجاء، وتُدرَكُ بالقضاء.

الاستنجاح بالرشوة والهدية

حدَّثني زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال: سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول: إذا أردت أن تتزوج فأهدِ للأُمِّ. والعرب تقول: «من صانعٌ»^(٢) لم يحتشم من طلب الحاجة.

قال ميمون بن ميمون: إذا كانت حاجتُك إلى كاتبٍ فليكن رسولُك الطمع.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم الشيء الهديةُ أمام الحاجة.

وقال رؤبة^(٣):

[رجز]

لما رأيتُ الشُّفَعَاءَ بَلَدُوا وسألوا أَمِيرَهُمْ فَأَنكَدُوا^(٤)

(١) التغرير: حمل النفس على التغرير، وهو الخطر.

(٢) صانع: هادى.

(٣) هو رؤبة بن العجاج الرّاجز، أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم الرّاجز المشهور.

(٤) بَلَدُوا: يقال: بَلَدَ الرجل إذا لم يتجه لشيء، وبَلَدَ: إذا نكس في العمل وضعف وأنكدوا: أي منعوا الحاجة ولم يعطوا.

نامستهم برشوة فأقردوا وسهل الله بها ما شددوا^(١)

وقال آخر^(٢):

وكنْتُ إذا خاصمتُ خصماً كَبَيْتُهُ على الوجه حتى خاصمتني الدراهمُ
فلما تنازعنا الخصومة غلبت عليّ وقالوا قم فإنك ظالمٌ
والعرب تقول في مثل هذا المعنى: «مَنْ يَخْطُبِ الحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرًا»
يريدون مَنْ طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها.

وقال بعض المُحدِّثين:

[بسيط]

ما مِنْ صديقٍ وإن تَمَّت صداقته يوماً بأنجَحَ في الحاجات من طَبَقِ^(٣)
إذا تلَّمت بالِمَنديل مُنطلقاً لم يَخش نَبْوةَ بَوَابٍ ولا غَلَقِ
لا تُكْذِبَنَّ فَإِنَّ الناسَ مُذْ خُلِقُوا لرغبةٍ يكرمون الناسَ أو فَرَقِ^(٤)

وقال آخر:

[سريع]

منا أرسل الأقوامَ في حاجةٍ أمضى ولا أنجحَ من درهمٍ
يأتيك عفواً بالذي تشتهي نعم رسول الرجل المسلم

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدَّثني سهل بن محمد عن الأصمعي^(٥): دخل أبو بكر الهَجْرِيّ على

(١) نامستهم: يقال: ناس الرجل صاحبه منامسة ونماساً إذا ساوره، وأقردوا: يقال أقرد الرجل إذا ذلَّ وخضع.

(٢) هو رجلٌ من ولد طَلْبة بن قيس بن عاصم «الكامل للمبرّد ج ١ ص ٨٤ ط أوروبا».

(٣) طبق: اسم علم.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الأصمعي، هو عبد الملك بن قريب إمام اللغة والأخبار والرواية.

المنصور فقال: يا أمير المؤمنين نَغَضَ فَمِي^(١) وأنتم أهل بيت بركة، فلو أذنت لي فقبَلْتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدَ لي منه! فقال أبو جعفر: اختَرُ منها ومن الجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أهونُ عليَّ من ذهابِ درهم من الجائزةُ ألاَّ تَبْقَى في فَمِي حاكَّةٌ^(٢).

قال أبو حاتم: وحدثنا الأصمعي عن خَلَفٍ قال: كنتُ أرى أَنَّهُ ليس في الدنيا رُقِيَّةٌ إلا رقية الحَيَاتِ، فإذا رقية الخبزِ أسهل. يعني ما يتكلّفه الناس من الكلام لطلب الحيلة.

قال رجلٌ للفضل بن سهل يسأله: الأجلُ آفةُ الأمل، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد، والبرُّ غنيمةُ الحازمِ، والتفريطُ مصيبةُ أخي القدرة؛ فأمر وهباً كاتبه أن يكتبَ الكلمات. ورفع إليه رُقْعَةً فيها: يا حافظُ مَنْ يُضَيِّعُ نفسه عنده، ويا ذاكرَ مَنْ يَنْسَى نصيبه منه، ليس كتابي إذا كتبتُ استبطاءً، ولا إمساكي إذا أمسكتُ استغناءً؛ لكنّ كتابي إذا كتبتُ تذكرةً لك، وإمساكي إذا أمسكتُ نِقَّةً بك.

وقال رجلٌ لآخر: ما قَصَرْتُ بي هِمَّةٌ صَيَّرَتْني إليك، ولا أَخْرَجَتْني ارتيادُ دُنْيِي عليك، ولا قَعَدَ بي رجاءٌ حدّاني إلى بابك. وبِحَسْبِ معتمدٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ، وَلِجْءٌ إلى موئلٍ وسندٍ.

دخل الهذيل بن زَفَرٍ^(٣) على يزيد بن المهلب^(٤) في حَمَالَاتٍ^(٥) لَزِمَتْه،

(١) نغض فمه: أي أن أسنانه تفلقلت وتحركت.

(٢) الحاكّة: يعني بها السن.

(٣) هو الهذيل بن زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلبي. من الرؤساء الشجعان الفصحاء في العصر المرواني.

(٤) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد، أميرٌ من القادة الشجعان الأجواد، ولي خراسان سنة ٨٣ للهجرة ثم عزله عبد الملك بن مروان.

(٥) حَمَالَات: جمع حَمَالَة، وهي الذبّة والغرامة.

فقال له: قد عَظُمَ شأنُكَ عن أن يستعانَ بك أو يستعانَ عليك، ولستَ تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكثرُ منه، وليس العَجَبُ أن تفعل، وإنما العَجَبُ من ألا تفعل.

قال الحمدوني^(١) في الحسين بن أيوب والي البصرة: [بسيط]

قُلْ لَإِنْ أَيْوبَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَأْمُولاً	لَا زَالَ بِأُبْكٍ مَغْشِيّاً وَمَأْهُولاً
إِنْ كُنْتَ فِي عُظْلَةٍ فَالْعَذْرُ مُتَّصِلٌ	وَصِلْ إِذَا كُنْتَ بِالسُّلْطَانِ مُوصُولاً
شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ وَلَّى قَفَاهُ إِذَا	كَانَ الْمُؤَلَّى وَأَعْطَى الْبِشْرَ مَعزُولاً
مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَوَاداً كَانَ يَرْكُبُهُ	فِي الْخِصْبِ قَامَ بِهِ فِي الْجَذْبِ مَهزُولاً
إِفْرَغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمَتْ مَشْغُولاً	لَوْ قَدْ فَرَّغْتَ لَقَدْ أُلْفَيْتَ مَبْذُولاً

وقال آخر: [طويل]

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تَنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا أَتَّصَلَ الشُّغْلُ
وَأَتَى رَجُلٌ بَعْضَ الْوَلَاةِ، وَكَانَ صَدِيقَهُ، فَتَشَاغَلَ عَنْهُ، فَتَرَاءَى لَهُ يَوْمًا؛
فَقَالَ: اعْذِرْنِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ؛ فَقَالَ: لَوْلَا الشُّغْلُ مَا أَتَيْتُكَ.

وكتب رجلٌ إلى صديق له: قد عَرَضَتْ قِبْلَكَ حَاجَةٌ، فَإِنْ نَجَحْتَ بِكَ
فَالْفَانِي مِنْهَا حَظِّي وَالْبَاقِي حَظُّكَ، وَإِنْ تَعَذَّرَ فَالْخَيْرُ مَظْنُونٌ بِكَ وَالْعَذْرُ مُقَدَّمُ
لَكَ.

وفي فصلٍ آخر: قد عَذَرَكَ الشُّغْلُ فِي إِغْفَالِ الْحَاجَةِ وَعَذَرَنِي فِي
إِنْكَارِكَ؛

(١) الحمدوني: اسمه اسماعيل بن إبراهيم، جدّه حمدويه صاحب الزنادقة تعهد الرشيد الذي كان يتعقّبهم، كان شاعراً فكها خفيف الروح وصاحب قصص وأخبار ونوادر اتجه بشعره إلى الهجاء.

وفي فصل آخر: قد كان يجب ألا أشكو حالي مع علمك بها، ولا أقتضيك عمارتها بأكثر من قدرتك عليها؛ فلربما نبيل الغنى على يدي من هو دونك بأدنى من حُرمتي. وما أستصغرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستقلُّه إلا لك.

وقال آخر: إن رأيت أن تُصَفِّدَ يدًا^(١) بصنيعةٍ باقى ذكرها جميل في الدهر أثرها، تَغْنِمْ غِرَّةَ الزمان^(٢) فيها وتبادر قُوَّةَ الإمكان بها، فافعل.

قَدِمَ على زياد^(٣) نفرٌ من الأعراب فقام خطيبهم فقال: أصلح الله الأمير! نحن، وإن كانت نَزَعَت بنا أنفُسنا إليك وأنضينا^(٤) ركائبنا نحوكَ التماساً لفضل عَطائِكَ، عالمون بأنه لا مانع لما أعطى الله ولا مُعْطِي لما مَنَعَ؛ وإنما أنت أيها الأمير خازنٌ ونحن رائدون، فإن أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمْدنا الله وشكرناك، وإن لم يُؤذَنَ لك فمَنَعْتَ حَمْدنا الله وعَذْرناك، ثم جلس؛ فقال زياد لجلسائه: تالله ما رأيتُ كلاماً أبلغ ولا أوجَزَ ولا أنفَعَ عاجلةً منه، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهُم.

دخل العتابي على المأمون، فقال له المأمون: خُبرْتُ بِوَفائِكَ فَعَمَّتَنِي، ثم جاءتني وفادتُكَ فَسَرَّتَنِي؛ فقال العتابي: لو قُسمَت هذه الكلمات على أهل الأرض لوسَّعَتْهم؛ وذلك أنه لا دينَ إلا بك ولا دُنْيَا إلا معك؛ قال: سَلْنِي. قال: يَدَاكَ بِالْعَطِيَّةِ أَطْلُقْ من لساني.

(١) تصَفِّدَ يدًا: أي تقيدها، والصنيعة: المعروف والعطاء.

(٢) غِرَّةَ الزمان: أي غيره وصوره.

(٣) هو زياد بن أبيه والي معاوية على الكوفة وغيرها وأخوه من أبيه كما يُقال.

(٤) أنضينا: أهزلنا.

قال نُصَيْب^(١) لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، كَبِرْتُ سِنِّي وَرَقَّ عَظْمِي، وَبُلِيَتْ بَيْنَاتٍ نَفَضْتُ عَلَيْهِنَّ مِنْ لُونِي فَكَسَدَنَ عَلَيَّ؛ فَرَقُّ لَهُ عَمْرٍ وَوَصْلُهُ.

سأل رجلُ أسَدَ بن عبد الله فاعتلَّ عليه؛ فقال: إني سألتُ الأَمِيرَ من غير حاجة؛ قال: وما حَمَلَكَ على ذلك؟ قال: رأيتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عنده حَسَنٌ بَلَاءٌ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَعَلَّقَ مِنْكَ بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ.

لَزِمَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَابَ بَعْضِ مُلُوكِ الْعَجَمِ دَهْرًا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، فَتَلَطَّفَ لِلْحَاجِبِ فِي إِیْصَالِ رُقْعَةٍ فَفَعَلَ، وَكَانَ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَسْطُرٍ:

السطرُ الأوَّلُ الأملُ والضرورةُ أقدماني عليك.

والسطرُ الثاني والعُذْمُ لا يكونُ معه صَبْرٌ على المُطَالَبَةِ.

والسطرُ الثالثُ الانصرافُ بلا فائدةٍ شِمَاتَةٍ لِلْأَعْدَاءِ.

والسطرُ الرابعُ فإِذَا نَعَمْ مَشْمَرَةٌ، وَإِنَّمَا لَا مُرِيحَةٌ. فلما قرأها وَقَعَ فِي كُلِّ سَطْرٍ: زَهْ^(٢)؛ فَأَعْطِي سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ فَضَّةً.

دخل محمد بن واسع^(٣) على قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ^(٤)، فقال له: أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ رَفَعْتُهَا إِلَى اللَّهِ قَبْلَكَ، فَإِنْ تَقَضَّيْهَا حَمَدْنَا اللَّهَ وَشَكَرْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ تَقْضِهَا حَمَدْنَا اللَّهَ وَعَذَرْنَاكَ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِحَاجَتِهِ. وَقَالَ لَهُ أَيْضًا فِي حَاجَةٍ أُخْرَى: إِنِّي

(١) هو نُصَيْبُ بن رباح أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدَّم في النسيب والمدائح.

(٢) زَهْ في لغة الفرس معناها أحسنت.

(٣) هو مُحَمَّدُ بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر فقيه ورع، من الزهاد، من أهل البصرة ومن ثقات رجال الحديث.

(٤) قُتَيْبَةُ بن مسلم هو أحد قادة الجيوش الأموية ولأه الحجاج خراسان واشتهر بالشجاعة والحكمة.

أتيتك في حاجة، فإن شئت قضيتها وكنا جميعاً كريمين، وإن شئت منعتها وكنا جميعاً لثيمين.

أتى رجل خالد بن عبد الله في حاجة، فقال له: أتكلّم بجرأة اليأس أم بهيبة الأمل؟ قال: بل بهيبة الأمل؛ فسأله حاجته فقضاها.

وقال أبو سَمَّاكٍ لرجل: لم أضن وجهي عن الطلب إليك، فصن وجهك عن ردّي، وضعتني من كريمك بحيث وضعت نفسي من رجائك.

قال المنصور لرجل: ما بالك؟ قال: ما يكف وجهي ويعجز عن برّ الصديق فقال: لقد تلطفت للسؤال، ووصله.

وقال المنصور لرجلٍ أحمَدَ منه أمراً: سل حاجتك فقال: يُبقيك الله يا أمير المؤمنين؛ قال: سل، فليس يمكنك ذلك في كل وقت؛ فقال: ولم يا أمير المؤمنين! فوالله لا أستقصر عمرك ولا أرهبُ بخلقك ولا أغتنم ما لك وإن سؤالك لزين، وإن عطائك لشرف، وما على أحدٍ بذل وجهه إليك نقص ولا شين، فأمر حتى ملئ فوه ذراً.

قال أبو العباس لأبي دَلَّامة: سل حاجتك. قال: كلب؛ قال: لك كلب. قال: ودابة أتصيد عليها؛ قال: ودابة. قال: وغلام يركب الدابة ويصيد؛ قال: وغلام. قال: وجارية تُصليح لنا الصيد وتطعمنا منه؛ قال: وجارية. قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء عيال ولا بد من دار؛ قال: ودار. قال: ولا بد من ضيعة لهؤلاء؛ قال: قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب عامرة. قال: وأي شيء الغامرة؟ قال: ليس فيها نبات. قال: فأنا أقطعك ألفاً وخمسمائة جريب من فيافي بني أسد؛ قال: قد جعلتها كلها لك عامرة. قال: أقبّل يدك؛ قال: أما هذه فدعها. قال: ما منعت عيالي شيئاً أهون عليهم فقدأ منها.

قال عبد الملك لرجل: ما لي أراك واجماً^(١) لا تنطق؟ قال: أشكو إليك ثقل الشرف؛ قال: أعينوه على حمّله.

رأى زياد على مائدته رجلاً قبيح الوجه كثير الأكل، فقال له: كم عيالك؟ قال: تسع بنات؛ قال: أين هنّ منك؟ قال: أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّي؛ قال: ما أحسنَ ما تَلَطَّفْتَ في السؤال وفَرَضَ له وأعطاه.

وفقت عجوزٌ على قيس بن سعد فقال: أشكو إليك قِلّة الجِرْدَانِ؛ قال: ما أحسنَ هذه الكناية! املؤا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

وقال بعض القُصّاص في قصصه: اللهم أَقِلْ صِيبَانَنَا وَأَكْثِرْ جِرْدَانَنَا.

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الوليّ بالوليّ والجارَ بالجارِ؛ فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصِيفَةٌ رُوقَةٌ^(٢)، فنظر إليها: فقال سليمان: أَعْجَبَتْكَ؟ قال: بَارَكَ اللهُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا! قال: هات سبعة أمثالٍ في الاستِ وَخُذْهَا؛ فقال: «صَرَّ عَلَيْهِ الْغَزْوُ اسْتَه»^(٣). قال: واحد. قال: «اسْتُ أَلْبَائِنِ أَعْلَم»^(٤)؛ قال آثَانِ. قال: «اسْتُ لَمْ تُعَوِّدِ الْمُجْمَرُ تَحْتَرِقُ»^(٥)؛ قال: ثلاثة.

(١) الواجم: الذي اشتد حزنه فأمسك عن الكلام.

(٢) الوصيفة: الجارية، والروقة: الحسناء الجميلة.

(٣) يضرب هذا المثل لمن ضيق عليه تصرفه أمره.

(٤) البائِن: الذي يكون عند حلب الناقة من جانبيها الأيسر، وأصل المثل أن رجلاً أضلَّ إبله ووجدَهَا في مَدَّة، فاستنجد بالحارث بن ظالم المَرِيّ فردّها عليه إلّا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها فقال الحارث: خليا عنها فليست لكما، وأهوى إليهما بالسيف فضرب البائِن وقال المعلي الذي هو في الجانب الآخر ويسمى المستعلي أيضاً، والله ما هي لك فقال الحارث: است البائِن أعلم، فأرسلها مثلاً: يضرب لمن ولي أمراً وصلى به فهو أعلم به ممّن لم يمارسه ولم يصل به، وقيل: يضرب لكلّ ما ينكر وشاهده حاضره.

(٥) يضرب لمن حصل في نعمة ولم يعهدها، وأصله أن ماوة بنت عفزر كانت ملكة وكانت تتزوّج من أرادت، وربّما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه، فجأوها بحاتم الطائي، فقالت له استقدم إلى الفراش، فقال لها هذه الجملة.

قال: الحرُّ يُعْطِي والعبدُ يَبْجَعُ بِاسْتِهِ^(١)؛ قال: أربعة. قال: «استي أَخْبِي^(٢)»! قال: خمسة. قال: «عَادَ سَلَاها فِي اسْتِها^(٣)»؛ قال: ستة. قال: «لَا مَاءَكَ أَبْقَيْتَ وَلَا حِرْكَ أَنْقَيْتَ^(٤)»؛ قال: ليس هذا من ذاك؛ قال: أَخَذْتُ الْجَارَ بِالْجَارِ كَمَا يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! قال: خذها.

قال يزيد بن المهلب لسليمان في حَمَالَةٍ^(٥) كَلَّمَهُ فِيهَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ لَحَمْدُهَا خَيْرٌ مِنْهَا، وَلَذِكْرُهَا أَحْسَنُ مِنْ جَمْعِهَا، وَيَدِي مَبْسُوطَةٌ بِيَدِكَ فَأَبْسُطْهَا لِسْوَالِهَا.

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجْريها عليهم، لِتَبَاعِدَ كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية؛ فدخل عليه عمرو بن عُتْبَةَ فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَذْنِي حَقَّكَ مُتَعَبٌ وَتَقْصِيهِ فَادِحٌ، وَلَنَا مَعَ حَقِّكَ عَلَيْنَا حَقٌّ عَلَيْكَ، لِقَرَابَتِنَا مِنْكَ وَإِكْرَامِ سَلَفِنَا لَكَ؛ فَانْظُرْ إِلَيْنَا بِالْعَيْنِ الَّتِي نَظَرُوا بِهَا إِلَيْكَ، وَضَعْنَا بِحَيْثُ وَضَعْتَنَا الرَّحِمُ مِنْكَ، وَزِدْنَا بِقَدْرِ مَا زَادَكَ اللَّهُ؛ فَقَالَ: أَفْعَلْ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عَطِيَّتِي مَنْ اسْتَعْطَاهَا، فَأَمَّا مِنْ ظَنٍّ أَنَّهُ يَسْتَغْنِي بِنَفْسِهِ فَسَنَكِلْهُ إِلَيْهَا^(٦)، يَعْزُضُ بِخَالِدٍ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدًا، فَقَالَ: أَمَّا عَمْرُو فَقَدْ أُعْطِيَ

(١) الذي في الأمثال للميداني: «الحرُّ يعطي والعبد يألم قلبه» وقال يعني أن اللئيم يكره ما يجود به الكريم، وقال في فرائد اللال: يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل.

(٢) يضرب هذا المثل في وضع الشيء في غير موضعه، وأصله أن سعد بن زيد مناة زوج أخاه مالكا النوار بنت حل بن عدي رجاء أن يولد له، وكان محمقا، فأنطلق به إلى بيت العروس فأبى الدخول فقال له: لج مالٍ ولجت الرِّجَم «القبر» حتى ولج ونعلاه معلقان في ذراعيه، فقال له ضع نعليك، فقال: ساعداي أحرز لهما، ثم أتى بطبيب فجعل يجعله في استه، فقالوا له في ذلك فقال: «استي اخبني».

(٣) السلي: الجلدة التي يكون فيها الولد، من الناس والمواشي.

(٤) أصل المثل، أن رجلاً كان في سفر ومعه امرأته وكانت عاركا «حائضا» فظهرت، وكان معهما ماء يسير فاغتسلت فلم يكفها لغسلها وأنفذت الماء فبقيا عطشانين، فقال لها ذلك.

(٥) الحمالاة بالفتح: الدية والغرامة.

(٦) نكل إليها: أي نجعله يعتمد عليها.

من نفسه أكثر مما أخذ، أو بالحرمان يتهددني! يدُ الله فوق يده مَنعة، وعطاؤه دونه مبدول.

أتى رجل يزيد بن أبي مسلم برُقعة يسأله أن يرفعها إلى الحجاج؛ فنظر فيها يزيد فقال: ليست هذه من الحوائج التي تُرفع إلى الأمير؛ فقال له الرجل: فإني أسألك أن ترفعها، فلعلها توافق قَدراً فيقضّيها وهو كاره؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل؛ فنظر الحجاج في الرُقعة، وقال ليزيد: قل للرجل: إنها وافقت قَدراً وقد قضيناها ونحن كارهون.

دخل بعض الشعراء^(١) على بشر بن مروان فأنشده: [كامل]

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصَّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنْامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلِيدَةٍ مَغْنُوجَةٍ حَسَنِ عَلِيٍّ قِيَامُهَا
وَبِبَذْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبَغْلَةٍ دَهْمَاءَ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ لِجَامُهَا^(٢)
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً عَوْضاً يُصَيِّتُكَ بِرُدِّهَا وَسَلَامُهَا

فقال له بشر: في كل شيء أصبت إلا في البغلة فإنني لا أملك إلا شهباء^(٣): فقال: إني والله ما رأيتُ إلا شهباء.

قال رجل لمعاوية: أَقْطِعْنِي الْبَحْرَيْنِ، قال: إني لا أصِلُ إلى ذلك. قال: فَاسْتَعْمِلْنِي عَلَى الْبَصْرَةِ؛ قال: مَا أُرِيدُ عَزْلَ عَامِلِهَا. قال: تَأْمُرُ لِي بِالْفَيْنِ؛ قال: ذَاكَ لَكَ. فَقِيلَ لَهُ: وَيَحْكُ! أَرْضَيْتَ بَعْدَ الْأَوَّلَيْنِ بِهَذَا! قال: اسْكُتُوا لَوْلَا الْأَوَّلَيَانِ مَا أُعْطِيتُ هَذِهِ.

جاء أعرابي إلى بعض الكتّاب فسأله. فأمر الكتّاب غلامه بيمينه أن

(١) هو الحكم بن عبدل كما في الأغاني «ج ٢ ص ٤٠٧ ط. دار الكتب المصرية».

(٢) البدر: الكيس من الدراهم، والدّهماء: أي سوداء، ويصل: يصوت.

(٣) الشهباء: الشبهة في الألوان، البياض الغالب على السواد.

يعطيه عشرة دراهم وقميصاً من قُمصه؛ فقال لأعرابي: [خفيف]

حَوْلَ الْعَقْدِ بِالشَّمَالِ أبا الْأَصْدِ بَغَ وَاضُمُّمٍ إِلَى الْقَمِيصِ قَمِيصَا
إِنْ عَقَدَ الْيَمِينِ يَقْصُرُ عَنِّي وَأَرَى فِي قَمِيصِكُمْ تَقْلِيصَا
يقول: حَوْلَ عَقْدِ الْيَمِينِ وَهُوَ عَشْرَةٌ إِلَى عَقْدِ الشَّمَالِ وَهُوَ مِائَةٌ^(١).

سَأَلَ أَعْرَابِي فَقَالَ فِي مَسْأَلَتِهِ: لَقَدْ جُعْتُ حَتَّى أَكَلْتُ النَّوَى الْمُحْرَقَ
وَلَقَدْ مَشَيْتُ حَتَّى انْتَعَلْتُ الدَّمَ وَحَتَّى سَقَطَ مِنْ رِجْلِي بَتَّخَصَ^(٢) لَحْمٍ وَحَتَّى
تَمَنَيْتُ أَنْ وَجْهِي جِذَاءٌ لِقَدَمِي، فَهَلْ مِنْ أَخٍ يَرْحَمُنَا؟

وَسَأَلَ آخَرُ قَوْماً فَقَالَ: رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً لَمْ تَمُجِّجْ أَذْنَاهُ كَلَامِي، وَقَدَّمَ
لِنَفْسِهِ مَعَاذاً مِنْ سَوْءِ مُقَامِي، فَإِنَّ الْبِلَادَ مُجْدِبَةٌ، وَالْحَالَ مُضْعَبَةٌ، وَالْحَيَاءُ زَاجِرٌ
يَمْنَعُ مِنْ كَلَامِكُمْ، وَالْعُدْمُ عَاذِرٌ يَدْعُو إِلَى إِخْبَارِكُمْ، وَالِدَعَاءُ أَحَدُ الصَّدَقَتَيْنِ
فَرَجِمَ اللَّهُ امْرَأً أَمَرَ بِمِيرٍ^(٣)، وَدَعَا بِخَيْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟
فَقَالَ: اللَّهُمَّ غَفِراً مِمَّنْ لَا تَضُرُّكَ جِهَالَتُهُ، وَلَا تَنْفَعُكَ مَعْرِفَتُهُ؛ ذَلِكَ الْإِكْتِسَابُ،
يَمْنَعُ مِنْ عِزِّ الْإِكْتِسَابِ.

سَأَلَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَحَرَمَهُ؛ فَقَالَ: عَلَامَ تَحْرِمُنِي! فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ قِبْلَةً
لَأَمَلِي لَا تَلْقُتُنِي عَنْكَ الْمَطَامِعُ، فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ أَحْسَنْتُ بَدْءاً، فَمَا يُنْكَرُ لِمِثْلِكَ
أَنْ يُحْسِنَ عَوْدًا!.

(١) كَانَ لِلْعَرَبِ حِسَابٌ غَيْرُ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ الْيَوْمَ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ اصطلاحات فِي أَصَابِعِ الْيَدِ،
فَالْعَشْرَةُ يَدٌ عَلَيْهَا بِجَعْلِ السَّبَّابَةِ فِي الْيَدِ الْيَمْنَى حَلْقَةٌ، فَإِذَا أُرِيدَ الْمِائَةُ جَعَلَتْ السَّبَّابَةُ الْيَسْرَى
حَلْقَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ «انظره بتفصيل فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ كِتَابِ بُلُوغِ الْأَرْبِ لِلْأَلُوسِيِّ ص ٣٩٦ -

٤٠٢ ط بغداد».

(٢) الْبَخْصُ: لَحْمُ الْقَدَمِ.

(٣) الْمِيرُ: الطَّعَامُ.

قال ابن أبي عتيق^(١): دخلتُ على أشعبَ وعنده مَتَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلتُ له: ويحك! أما تستحي أن تسأل وعندك ما أرى! فقال: يا فدَيْتُكَ! معي والله من لطيفِ الدُّمُوالِ ما لا تَطِيبُ نفسي بتركه.

قال الصِّلَتَانِ العَبْدِيَّ^(٢): [متقارب]

نُروح ونغدو لحاجاتنا	وحاجةٌ مَنْ عاش لا نَنقُضي
تموت مع المرء حاجاته	وتبقى له حاجةٌ ما بقي
إذا ليلةٌ هَرَمَتْ يومها	أتى بعد ذلك يومٌ فتي
وقال آخر:	[بسيط]

وحاجةٌ دونَ أُخرى قد سَنَحْتُ بها	جعلتها للتي أخفيتُ عُنواناً ^(٣)
كتب دُعِلُ إلى بعض الأمراء:	[منسرح]
جئتُك مستشفِعاً بلا سببٍ	إليك إلا بحُرمةِ الأدبِ
فياقُضِ ذِمامي فإِنني رجلٌ	غيرُ مُلِحٍّ عليك في الطلبِ

من يُعْتَمَدُ في الحاجةِ ويُسْتَسْمَى فيها

روى هُشَيْمٌ عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مُضْعَبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: اطلُّبُوا الحوائجَ إلى حِسانِ الوجوهِ.

(١) ابن أبي عتيق: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عرف بابن أبي عتيق واشتهر بهزله.

(٢) الصِّلَتَانِ العَبْدِيَّ: هو قُثم بن خيثمة بن عبد القيس، اجتمع إليه في الحكم بين الفرزدق وجرير، فقال شعراً في ذلك راجع الشعر والشعراء ص ٣٣١ ط دار الكتب العلمية.

(٣) سَنَحْتُ بها: عَرَضْتُ ولحنت، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة «سنح» ونسبه لسوار بن المضرب.

وفي حديث آخر: «اعتمد لحوائجك الصُّباحُ الوجوه، فإنَّ حسنَ الصورةِ
أوَّلُ نعمةٍ تتلقَّاكَ من الرجلِ».

قالت امرأةٌ من ولدِ حَسَّانَ بنِ ثابتٍ: [طويل]
سَلِّ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قَدْماً وَلَا تَسَلِّ فتى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قَرِيبٍ
ومن المشهور قولُ بعضِ المحدثين: [خفيف]

حَسَنُ ظَنِّ إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ الدَّ هِ دَعَانِي فَلَا عَدِمَتِ الصَّلَاحَا
ودعاني إِلَيْكَ قولُ رسولِ الدَّ هِ إِذَا قَالَ مُفْصِحاً إِفْصَاحَا
إِنْ أَرَدْتُمْ حَوَائِجاً عِنْدَ قَوْمٍ فَتَنَقَّوْا لَهَا الْوُجُوهَ الصُّبَاحَا
وقال آخر:

إِنَّا سَأَلْنَا قَبَوْمَنَا فَخَيَّرُهُمْ مَنْ كَانَ أَفْضَلَهُمْ أَبُوهُ الْأَوَّلُ
أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ وَتَبَخَّلْتُ أَبْنَاءَ مَنْ يَتَبَخَّلُ
وقال خالدُ بنُ صفوانَ: فَوْتُ الْحَاجَةِ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا،
وأشدُّ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ الْخَلْفِ^(١) مِنْهَا.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ: لَا تَطْلُبَنَّ
حَاجَتَكَ إِلَى كَذَابٍ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُهَا وَهِيَ بَعِيدٌ وَيُبْعِدُهَا وَهِيَ قَرِيبٌ^(٢)، وَلَا إِلَى
أَحْمَقٍ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ، وَلَا إِلَى رَجُلٍ لَهُ عِنْدَ مَنْ تَسْأَلُهُ الْحَاجَةَ
مَأْكَلَةٌ^(٣)، فَإِنَّهُ لَا يُؤْثِرُكَ عَلَى نَفْسِهِ.

(١) أي لا تسأل حديث النعمة لأنه يكون بها ضنيها.

(٢) تنقوا: اختاروا، والوجوه الصباح: أي الجميلة المستبشرة.

(٣) الخلف: العاقبة.

(٤) بعيد وقريب على وزن «فعليل» يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ
رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(٥) المأكلة: الوليمة، أو هي اليد والصنيع.

[وافر]

أشدنا الرياشي لأبي عون:

ولست بسائل الأعراب شيئاً حمدت الله إذ لم يأكلوني
وقال ميمون بن ميمون: لا تطلبن إلى لثيم حاجة، فإن طلبت فأجله
حتى يروض نفسه.

هارون بن معروف عن ضمرة عن عثمان بن عطاء، قال: عطاء الحوائج
عند الشباب أسهل منها عند الشيوخ؛ ثم قرأ قول يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١) وقول يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾^(٢).

[مقارب]

وقال بشار:

إذا أيقظتك حروبُ العدا فنَبَّه لها عَمراً ثم نَمَّ
فتى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم^(٣)
يلدُ العطاء وسفك الدماء فيغدو على نَعَمٍ أو نَقَمٍ

وقال أبو عباد الكاتب: لا تُنزلُ مُهمَّ حوائجك بالجيّد اللسان، ولا
المتسرّع إلى الضمان، فإن العجز مقصور على المتسرّع؛ ومن وعد ما يعجز
عنه فقد ظلم نفسه وأساء إلى غيره؛ ومن وثق بجودة لسانه ظن أن في فصل
بيانه ما ينوب عن عذره وأن وعده يقوم مقام إنجازهِ. وقال أيضاً: عليك بذِي
الحَصْرِ الْبَكِيِّ^(٤)، وبذِي الْخَيْمِ^(٥) الرضِي، فإن مثقالاً من شدة الحياء والعي،

(١) سورة يوسف الآية ٩٢.

(٢) سورة يوسف الآية ٩٨.

(٣) اليفنة: جمعها الدمن، وهي آثار الناس وما تركوا من أقدار.

(٤) الحصر البكي: العي والقليل الكلام.

(٥) الخيم: السجية والطبع.

أَنْفَعُ فِي الْحَاجَةِ مِنْ قِنْطَارٍ مِنْ لِسَانٍ سَلِيطٍ ذَكِيٍّ، وَعَلَيْكَ بِالشَّهْمِ النَّذْبِ^(١)
الَّذِي إِنْ عَجَزَ أَيَّاسُكَ، وَإِنْ قَدَرَ أَطْعَمَكَ.

قال بعضُ الشعراء: [كامل]

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَثِيمٍ حَاجَةً واقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخْلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ هِيَهَاتَ! تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ

وقال آخرُ: [طويل]

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَقْصَى لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ وَإِنْ لَمْ تَنْلُ نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ

وقال آخر^(٢): [كامل]

وَإِذَا أَمَرُوا أَسَدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهُا مِنْ مَالِهِ^(٣)
ذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا، فَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الْحَوَائِجُ قَامَ إِلَيْهَا ثُمَّ قَامَ
بِهَا، وَلَمْ تَقْعُدْ بِهِ عِلَّاتُ النُّفُوسِ^(٤).

قال الشاعرُ: [بسيط]

مَا إِنْ مَدَحْتُكَ إِلَّا قَلْتَ تَخْدَعُنِي وَلَا اسْتَنْتُكَ إِلَّا قَلْتَ مَشْغُولُ
ابْنُ عَائِشَةَ^(٥) قَالَ: كَانَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا شَرِيفًا يَفْزَعُ إِلَيْهِ أَهْلُ
الْبَصْرَةِ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الرُّكُوبَ تَنَاوَلَ مِنَ الطَّعَامِ شَيْئًا ثُمَّ رَكِبَ؛
فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تُبَاكِِرُ الْغَدَاءَ! فَقَالَ: أَجَلْ! أُطْفِئُ بِهِ فَوْرَةَ جُوعِي، وَأَقْطَعُ بِهِ

(١) النَّذْبُ: الخفيف إلى النجدة وتلبية الحاجة.

(٢) هُوَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي.

(٣) أَسَدِي: قَدَمٌ وَالصَّنِيعَةُ: الْعَطَاءُ وَالْمَعْرُوفُ.

(٤) عِلَّاتُ النُّفُوسِ: الْأَحْدَاثُ الَّتِي يَشْغُلُ الرَّجُلَ بِهَا نَفْسًا مَنَعًا وَتَهْرَبًا.

(٥) ابْنُ عَائِشَةَ: هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَفْصِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَالِمٌ
بِالْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ، أَدِيبٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ.

خُلُوف^(١) فَمِي، وَأَبْلَعُ بِهِ قِضَاءَ حَوَائِجِي، فَخَذَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يُذْهِبُ عَنْكَ النَّهَمَ؛ وَيُدَاوِي مِنَ الْخَوَى^(٢).

قال بعضُ المحدثين: [طويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهًا بِذَلَّتْهُ إِلَيْكَ وَلَا عَرَضْتُهُ لِلْمَعَايِرِ^(٣)
فَتَى وَفَرْتُ أَيْدِي الْمَحَامِدِ عِرْضَهُ وَخَلْتُ لَدَيْهِ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرٍ

وقال آخر: [طويل]

أَتَيْتُكَ لَا أَدْلِي بِقُرْبَى وَلَا يَدٍ إِلَيْكَ سِوَى أَنِّي بِجُودِكَ وَائِقُ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ عُرْفًا أَكُنْ لَكَ شَاكِرًا وَإِنْ قُلْتَ لِي عِذْرًا أَقُلْ أَنْتَ صَادِقُ^(٤)
وقال رجلٌ لآخر في كلامه: أَيْدِينَا مَمْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِالرَّغْبَةِ، وَأَعْنَاقُنَا خَاضِعَةٌ لَكَ بِالذَّلَّةِ، وَأَبْصَارُنَا شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ بِالشُّكْرِ؛ فَافْعَلْ فِي أُمُورِنَا حَسَبَ أَمَلِنَا فِيكَ، وَالسَّلَامَةَ.

الإجابة إلى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد: إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ؛ قَالَ: اطْلُبْ لَهَا رَجُلًا صَغِيرًا. وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: هَاتَهَا، إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَصْغُرُ عَنْ كَبِيرِ أَخِيهِ وَلَا يَكْبُرُ عَنْ صَغِيرِهِ.

(١) الخلوف: رائحة الفم.

(٢) الخوى: يقال خوت الدار: أي خلت وأقوت ومنها قوله تعالى: ﴿فَتَلَكَّ بَبُوتَهُمْ خَاوِيَةً﴾.

(٣) أخلق وجهه: بلاه وأهانته، والمعايير: المعايير.

(٤) العرف: الكرم والمعروف.

قال رجل للأحنف^(١): أتيتك في حاجة لا تنكيك ولا ترزؤك^(٢)، قال: إذا لا تُقضى! أمثلي يؤتى في حاجة لا تنكي ولا ترزأ!!

جاء قومٌ إلى رجل يُكَلِّمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبَةٌ، فقال لِرَقَبَةٍ: تَضْمَنُونَهَا؟ فقال له رَقَبَةٌ: جئناكَ نَطْلُبُ مِنْكَ فَضْلَ التَّوَسُّعِ^(٣) فأدخلت علينا همَّ الضَّمان.

أتى عمرو بن عُبيد حفص بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِهِ شَيْئاً إلا قال: لا؛ فقال عمرو: أَقِلَّ من قول: «لا» فإن لا ليست في الجنة.

كان رسولُ الله ﷺ إذا سُئِلَ ما يَجِدُ أعطى، وإذا سُئِلَ ما لا يَجِدُ قال: «يصنع الله».

قال عمرو بن أبي ربيعة:

[خفيف]

إنَّ لي حاجةً إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تُريدُ
أي قد تَضَمَّنْتَهُ لك فهو في عُنْقِي.
سأل رجلٌ قوماً؛ فقال له رجل منهم: اللهم هذا سائلنا ونحن سُؤْأَلُكَ،
وأنت بالمغفرة أجودُ منا بالعطاء: ثم أعطاه.

سأل رجلٌ رجلاً حاجةً؛ فقال: اذهب بسلام؛ قال السائل: أَنُصَفْنَا مَنْ
رَدَّنَا في حوائجنا إلى الله عزَّ وجلَّ.
قال رجلٌ لثَمَامَةَ: إن لي إليك حاجةً؛ قال ثَمَامَةُ: ولي إليك حاجةٌ؛

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصَيْن المَرِّي السعدي التميمي أبو بحر سيد تميم. أحد العظماء الدهاء الشجعان الفاتحين يُضْرَبُ به المثل.

(٢) لا تنكيك: لا تتال منك ولا ترزؤك: لا تصيبك.

(٣) التوسع: أي التفصل في سعة وبسط.

قال: وما هي؟ قال: لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها؛ قال: قد فعلت؛ قال: حاجتي ألا تسألني هذه الحاجة؛ قال: رجعت عما أعطيتك؛ قال ثمامة^(١): لكنني لا أريد ما أخذت.

قال الجاحظ: تمشى قوم إلى الأصمعي مع رجل اشترى منه ثمرة نخله، فتاله فيها خسراناً وسأله حسن النظر له؛ فقال الأصمعي: أسمعتم بالقسمة الضيزي^(٢)! هي ما تريدون شيخكم عليه، اشترى مني على أن يكون الخسران عليّ والريح له! اذهبوا فاشتروا لي طعام السواد^(٣) على هذا الوجه والشرط. ثم قال: ها هنا واحدة هي لكن دوني، ولا بد من الاحتمال لكن إذا لم تحتملوا لي، هذا ما مشيتم معه إلا وأنتم توجبون حقّه وتجبون رِفده، ولو كنت أوجب له مثل الذي توجبون لقد كنت أغنيته عنكم، ولكن لا أعرفه ولا يضرّني بحق؛ فهلّم فلتوزّع هذا الخسران بيننا بالسوء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأيس التاجر فخرج له من حقّه.

قال يزيد بن عُمير الأسديّ لبنيه: يا بنيّ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظم له في أعينهم من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال لأحدكم: بخيلٌ وهو غنيٌّ خيرٌ له من أن يقال: سخّيٌّ وهو فقير.

(١) هو ثمامة بن شرس النميري أبو معن من كبار المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين اتصل بالرشيد. من تلاميذ الجاحظ.

(٢) القسمة الضيزي: الناقصة الجائرة.

(٣) السواد: الريف.

[كامل]

وقال إسحاق بن إبراهيم^(١):

النصر يُقرئك السلام وإنما أهدى السلام تعرّضاً للمطمع
فما قطع لبانتَه بيأسٍ عاجلٍ وأريح فؤادك من تقاضي الأضلع^(٢)
ذكر ثمامة محمد بن الجهم فقال: لم يُطمع أحداً قط في ماله إلا
ليشغله بالطمع فيه عن غيره، ولا شفع لصديق ولا تكلم في حاجة مُتحرّم به،
إلا ليُلَقِّن المسؤول حُجّة منع، وليفتح على السائل باب جرمان.

[كامل]

كتب سهل بن هارون^(٣) إلى موسى بن عمران:

إن الضمير إذا سألتك حاجةً لأبي الهذيل خلاف ما أبدي^(٤)
فامنعه رَوْح اليأس ثم امدد له حبل الرجاء لمُخْلِيف الوعد
والن له كنفاً ليحسن ظنه في غير منفعة ولا رfid
حتى إذا طالت شقاوة جدّه وعناؤه فاجبهه بالرد^(٥)

قيل لحبيّ المدينيّة: ما الجرج الذي لا يندمل؟ قالت: حاجة الكريم
إلى اللّثيم ثم يرده. قيل لها: فما البذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء
ثم لا يؤذّن له. قيل: فما الشرف؟ قالت: اعتقاد المني في رقاب الرجال.

قال معن بن زائدة^(٦): ما سألتني قط أحد حاجةً فرددته إلا رأيت الغنى

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلّي. أبو محمد بن النديم من أشهر ندماء الخلفاء. تفرّد بصناعة الفناء وكان عالماً باللغة والموسيقى.

(٢) اللبنة: الحاجة.

(٣) هو سهل بن هارون بن راهبون. أبو عمر الدستيمساني. كاتب بليغ حكيم. من واضعي القصص اشتهر في البصرة واتصل بالرشيد والمأمون.

(٤) أبو هذيل: هو أبو هذيل بل العلاف أحد رؤوس المعتزلة وكان يبخل.

(٥) جدّه: خطّه وبخته، وجهته: واجهته.

(٦) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني أبو الوليد. من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء أدرك العصرين الأموي والعباسي.

في قفاه

روى علي بن مُسهرٍ عن هشام عن أبيه قال: قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أعلدْتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأسَ غنى، وأن المرءَ إذا يئس من شيءٍ استغنى عنه.

وقال آخر في كلامٍ له: كُلُّ ممنوعٍ مُستَغْنَى عنه بغيره، وكلُّ مانعٍ ما عنده ففي الأرض غنى عنه.

وقد قيل: أرخص ما يكون الشيء عند غَلَاثِهِ.

وقال بشارٌ: والدُّرُّ يُترك من غَلَاثِهِ.

قال شُريح^(١): مَنْ سأل حاجةً فقد عَرَضَ نفسَه على الرِّقِّ، فإن قبضها المسؤولُ استعبده بها، وإن ردّه عنها رجع حرّاً وهما ذليلان: هذا بذلُّ البخل، وهذا بذلُّ الردِّ.

وقال بعضهم: مَنْ سألَكَ لم يُكرم وجهه عن مسألتك، فأكرم وجهك عن ردّه.

وكان رسولُ الله ﷺ «لا يردُّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول».

وقال أسماءُ بن خارجة: ما أُحِبُّ أن أردَّ أحداً عن حاجةٍ؛ فإنه لا يخلوا من أن يكون كريماً فأصونه، أو لثيماً فأصون منه نفسي.

وقال أعرابيٌّ سأل حاجةً فردّها عنها:

[بسيط]

ما يمنعُ الناسَ شيئاً كنتَ أطلبُه إلا أرى اللهَ يكفي فقد ما منعوا

(١) هو شريح بن الحارث بن قيس بن جهم الكندي، أبو أمية، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن.

أتى رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله؛ فقال الحسن: إن المسألة لا تصلح إلا في غرمٍ فادحٍ أو فقرٍ مُدقعٍ أو حَمالةٍ مُفطِعةٍ؛ فقال الرجل: ما جئتُ إلا في إحداهنَّ، فأمر له بمائة دينار، ثم أتى الرجل الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله، فقال له مثل مقالة أخيه، فردَّ عليه كما ردَّ علي الحسن؛ فقال: كم أعطاك؟ قال مائة دينار، فنقصه ديناراً. كره أن يساوي أخاه. ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله فأعطاه سبعة دنانير ولم يسأله عن شيء؛ فقال الرجل له: إني أتيتُ الحسن والحسين، واقتصصُ كلامهما عليه وفعلهما به؛ فقال عبد الله: ويحك! وأنِّي تجعلني مثلهما! إنهما غرَّا العلمَ غرّاً المأل^(١).

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: جاء شيخٌ من بني عَقِيلٍ إلى عمر ابن هُبيرة، فمَتَّ بقرايةٍ وسأله فلم يعطه شيئاً؛ فعاد إليه بعد أيام فقال: أنا العَقِيلِي الذي سألك منذ أيام؛ فقال عمر: وأنا الفَرَارِي الذي منعك منذ أيام؛ فقال: معذرةٌ إلى الله! إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هُبيرة المحاربي؛ فقال: ذاك الأُمُّ لك، وأهونُ بك عليّ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به، ومات مثل يزيد ولا تعلم به! يا حَرَسِي اسْفَعْ^(٢) بيده.

أتى عبد الله بن الزبير أعرابي^(٣) يسأله، فشكا إليه نَقَبَ^(٤) ناقته واستحمله^(٥)؛ فقال له ابنُ الزبير: ارفَعها بسَبِّ^(٦) واخْصِفْها بهَلَبٍ^(٧) وافعل

(١) غرَّ العلم: ألقماه وزقاه زقاً.

(٢) اسْفَع بيده: أقبضها واجذبها.

(٣) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالي الأسدي كما في الأغاني ج ١ ص ١٥ ط دار الكتب المصرية، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عمَّا هنا.

(٤) النقب: رقَّة وثقُب في خفِّ البعير.

(٥) استحمله: طلب إليه أن يحمله على ناقته له.

(٦) السَّبِّ: جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذي منه النعال السبئية.

(٧) الخصف: ومنه خصفُ النعل أي ربطه وخرزة، والهَلَب: شعر الخنزير الذي يخرز به.

وافعل... ؛ فقال الأعرابي: إني أتيتك مُستوصلاً^(١) ولم آتِكَ مُستوصفاً، فلا حملتُ ناقةً حملتني إليك! فقال: إنَّ^(٢) وصاحبها.

والعربُ تقول لمن جاء خائباً ولم يظفر بحاجته: «جاء على غُبيراءِ الظهر»^(٣).

وتقول هي والعوام: «جاء بخُفَى حُنين» و«جاء على حاجبه صُوفه».

وقال أبو عطاء السَّدي^(٤) في عمر بن هُبيرة: [وافر]

ثلاثُ حُكْتَهَنَ لقرم قيسٍ طلبتُ بها الأخوةَ والثناءَ^(٥)
رجَعَنَ على حواجهن صُوفٌ فعند الله احتسبُ الجزاء

والأصل في قولهم: «جاء بخُفَى حُنين» أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه أعرابيٌّ بخفّين، فاختلفا حتى أغضبه، فازداد غيظ الأعرابي؛ فلما ارتحل أخذ حُنينٌ أحد خفّيه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخرَ في موضع آخر؛ فلما مرَّ الأعرابيُّ بأحدهما قال: ما أشبهَ هذا بخفّ حنين! ولو كان معه الآخر لأخذه، ومضى؛ فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأول، وأناح راحلته فأخذه ورجع إلى الأول، وقد كَمَنَ له حنينٌ فعَمَدَ إلى راحلته وما عليها فذهب به؛ وأقبل الأعرابيُّ ليس معه غيرُ الخفّين؛ فقال له قومه: ما الذي أتيتَ به؟ قال: بخفّي حنين.

قالوا: فإن جاء وقد قُضيت حاجته قيل: «جاء ثانياً من عِنايه». فإن جاء

(١) المستوصل: الطالب للوصل أي الصلة والعطاء.

(٢) إنَّ: هنا بمعنى نعم.

(٣) غبيراء الظهر: الأرض، تصغير الغبراء.

(٤) أبو العطاء السَّدي: اسمه مرزوق مولى أسد بن خزيمة وكان جيد الشعر. وكانت فيه عجمة.

(٥) إلقرم: السيد العظيم.

﴿وَلَمَّا تَقَضَّ حَاجَتُهُ وَقَدْ أَصِيبَ بِبَعْضِ مَا مَعَهُ، قَالُوا: «ذَهَبَ يَبْتَغِي قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأَذْنَيْنِ». يَقُولُ بشار:

فَكَنتُ كَالْعَيْرِ غَدًا يَبْتَغِي قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأَذْنَيْنِ^(١)

سأل أعرابيُّ قوماً، ف قيل له: بُورك فيك! فقال: وَكَلِّمَ اللهُ إلى دعوةٍ لا تحضرها نيةٌ.

أرسل الوليد خيلاً في حَلَبَةٍ، فأرسل أعرابيُّ فرساً له فسبقت الخيل؛ فقال له الوليد: احملني عليها؛ فقال: إِنَّ لَهَا حُرْمَةً، ولكني أحمل على مُهر لها سَبَقَ الخيل عام أول وهو رِيض^(٢).

وتقول العرب فيمن يَشْغَلُهُ شأنه عن الحاجةِ يُسألُها: «شَغَلَ الحَلَى أَهْلُهُ أَنْ يُعَارَا» بِنَحْصِ الحَلَى، ويعار: من العارية. فأما قولهم: «أَحَقُّ الخيل بالركض المَعَار». فَإِنَّ المَعَار^(٣): المَتَوَفِّ الدَّنْبَ وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أَخَفَّ مِنَ الذِّيَالِ الدَّنْبِ^(٤)، يقال: أَعْرَتُ الفرس إذا نَتَفَتَه.

وتقول العرب لمن سُئِلَ وهو لا يَقْدِرُ فَرَدَّ: «بَيْتِي يَبْخُلُ لَا أَنَا»؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعْطَى.

ووعد رجلٌ رجلاً فلم يَقْدِرْ على الوفاء بما وعده؛ فقال له: كَذَبْتَنِي؛ قال: لا، ولكن كَذَبَكَ مالي.

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمنع بالعُذْمِ وعنده ما سُئِلَ: «أَبَى الحَقِيقُ

(٢) الرِيض من الدواب: الذي لم يذَلَّ.

(١) العير: الحمار الوحشي.

(٣) المَعَار: المَسْمَن، وقيل: المَضْمَر.

(٤) الذِّيَال الدَّنْب: أي طويلة.

العذرة^(١). قال أبو زيد: وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقامهم لبناً، وعندهم لبنٌ قد حَقَنُوهُ في وَطْبٍ^(٢)، فاعتذروا أنه لا لبنٌ عندهم؛ فقال: أَيْىَ الْحَقِيقِ العذرة. ويقال: العذرة طَرَفُ الْبَخْلِ.

وقال الطائي يذكر المَطل^(٣): [وافر]

وَكَانَ الْمَطلُ فِي بَدْءٍ وَعَوْدٍ دُخَاناً لِلصَّنِيعَةِ وَهِيَ نَارُ
نَسِيبُ الْبَخْلِ مَذْكَاناً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسِيبٌ فَبَيْنَهُمَا جَوَارُ
لِذَلِكَ قِيلَ بَعْضُ الْمَنْعِ أَدْنَى إِلَى جُودٍ وَبَعْضُ الْجُودِ عَارُ

قال إسماعيل القراطيسي^(٤) في الفضل بن الربيع: [هزج]

لَنْ أَخْطَأَ فِي مَدْحِ كَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحْلَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

غزا المُنْذِرُ بن الزُّبَيْر في البحر ومعه ثلاثون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى؛ فقال له حكيم بن خزام^(٥): يَا بَنَ أَخِي، إني قد جعلت طائفةً من مالي لله عز وجل، وإني قد صنعتُ أمراً ودعوتكم له، فأقسمتُ عليك لا يرده عليّ أحدٌ منكم؛ فقال المُنْذِر: لاها الله إذا^(٦)، بل نأخذ ما تُعْطِي، فإن نَحْتَجْ إليه

(١) الحَقِيق: اللبن المحقون، والعذرة: العذر.

(٢) الوطْب: سقاء اللبن.

(٣) المَطل: أي المماطلة في وفاء الحق أو قضاء الحاجة.

(٤) هذان البيتان نسبهما ابن حجة في خزانته ص ٥٤٠ ط بولاق لابن الرومي، ونسبهما صاحب

الأغاني إلى القراطيسي في ترجمته له ج ٢٠ ص ٨٨.

(٥) هو حكيم بن خزام: بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، صحابي قرشي، وهو بن

أخي خديجة أم المؤمنين كان صديقاً للنبي قبل البعثة وبعدها.

(٦) أي لا يرده عليك أحد والله إذا، فالهاء هنا للقسم.

نَسْتَعِينُ بِهِ وَلَا نَكْرَهُ أَنْ يَأْجُرَكَ اللَّهُ، وَإِنْ نَسْتَعِينُ عَنْهُ نُعْطِهِ مِنْ يَأْجُرُنَا اللَّهُ فِيهِ
كَمَا أَجْرَكَ.

سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَقَالَ لَهُ: الْغَمْرُ فَأَعْطَاهُ دَرَاهِمِينَ، فَرَدَّهُمَا وَقَالَ:

[طويل]

جَعَلْتُ لَغَمْرٍ دَرَاهِمِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لِيُغْنِيَ عَنِّي فَاقْتِي دِرْهَمًا غَمْرًا^(١)
وَقُلْتُ لَغَمْرٍ خَذَهُمَا فَاضْطَرَفَهُمَا سَرِيعَيْنِ فِي نَقْضِ الْمُرُوءَةِ وَالْأَجْرِ
أَتَمَنَعُ سُؤَالَ الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا تَسَمَّيْتُ غَمْرًا وَاكْتَنَيْتُ أَبَا بَحْرٍ^(٢)

اختلف أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع في حاجة له زماناً فلم يقضها

له، فكتب:

[منسرح]

أَكَلْتُ طُولَ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذَا جِئْتُكَ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدًا!
لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عَشْتُ حَاجَةً أَبَدًا!

وقال آخر:

[بسيط]

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَنْوِ فِيمَا قُلْتَ لِي صِلَةً فَمَا انْتِفَاعُكَ مِنْ حَبْسِي وَتَرْدِيدِي
فَالْمَنْعُ أَجْمَلُهُ مَا كَانَ أَعْجَلَهُ وَالْمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرٍ آفَةُ الْجُودِ

وقال آخر:

[طويل]

بَسَطْتُ لِسَانِي ثُمَّ أَوْثَقْتُ نَصْفَهُ فَنَصَفْتُ لِسَانِي فِي امْتِدَا حُكِّ مُطْلَقٍ

(١) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٢) الغمر: الكثير.

فإن أنت لم تَنْجِزْ عِدَاتِي تَرَكْتَنِي وباقِي لِسَانِ الشُّكْرِ بِالْيَأْسِ مُوْتَقٌ^(١)

وقال آخر:

يا جَوَادَ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ فَعْلٍ لَيْتَ جُودَ اللِّسَانِ فِي رَاحَتَيْكََا
[خفيف]

المواعيدُ وتَنْجِزُها

ذَكَرَ جَبَّارُ بْنُ سَلَمَى عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ^(٢) فَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ إِذَا وَعَدَ الْخَيْرَ وَفَى، وَإِذَا أَوْعَدَ بِالْشَّرِّ أَخْلَفَ وَعَفَا.

وَأَنشَدَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى: [طويل]

وَلَا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ مَا عَشْتُ صَوْلَتِي وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةُ الْمُتَهَدِّدِ
وَإِنِّي إِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لِيَكْذِبُ إِيعَادِي وَيَصْدُقُ مَوْعِدِي^(٣)
وَكَانَ يَقَالُ: وَعَدْتُ الْكَرِيمَ نَقْدًا، وَوَعَدْتُ اللَّثِيمَ تَسْوِيفًا^(٤).

وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيُّ (أَبُو الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسُ الرَّقَاشِيُّينِ الْبَغْدَادِيَّيْنِ) لَخَالِدِ بْنِ دَيْسَمٍ عَامِلِ الرَّيِّ: [طويل]

أَخَالِدُ! إِنَّ الرَّيَّ قَدْ أَجَحَفْتُ بِنَا وَضَاقَ عَلَيْنَا رَحْبُهَا وَمَعَاشُهَا
وَقَدْ أَطْعَمْتَنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةً أَضَاءَ لَنَا بَرْقٌ وَكَفَّ رِشَاشُهَا^(٥)
فَلَا غَيْمُهَا يَصْحُو فَيُؤَيِّسَ طَامِعٌ وَلَا مَازُهَا يَأْتِي فَتُرَوَّى عِطَاشُهَا

(١) عِدَاتِي: أَيِ الْوَعُودِ الَّتِي قَطَعْتُهَا لِي.

(٢) عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: بَنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ الْعَامِرِيِّ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَارِسِ قَوْمِهِ، وَأَحَدِ فَتَاكِ الْعَرَبِ وَشُعْرَائِهِمْ وَسَادَاتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

(٣) أَوْعَدْتُهُ: هَدَدْتُهُ مِنَ الْوَعِيدِ، وَوَعَدْتُهُ: مِنَ الْوَعْدِ.

(٤) التَّسْوِيفُ: الْمَمَاطَلَةُ.

(٥) كَفَّ رِشَاشُهَا: امْتَنَعَ مَطَرُهَا وَخَيْرُهَا.

[طويل]

وقال رجل في الحجاج:

كَأَنَّ فَوَادِي بَيْنَ أَظْفَارِ طَائِرٍ مِنْ الْخَوْفِ فِي جَوْ السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ
جِذَازَ أَمْرِي قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى مَا يَعِدُ مِنْ نَفْسِهِ الشَّرُّ يَصْدُقُ

قال عمر بن الحارث: كُنْتُ مَتَى شِئْتُ أَجِدُ مَنْ يَعِدُ وَيُنْجِزُ، فَقَدْ أَعْيَانِي
مَنْ يَعِدُ وَلَا يُنْجِزُ. قال: وَكَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ، فَقَدْ صَارُوا يَقُولُونَ
وَيَفْعَلُونَ، ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ، ثُمَّ صَارُوا لَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ.

[بسيط]

قال بشار:

وَعَدْتَنِي ثُمَّ لَمْ تُؤْفِ بِمَوْعِدَتِي فَكُنْتُ كَالْمُزْنِ لَمْ يُمِطَرْ وَقَدْ رَعَدَا
هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ لِمَنْ يَعِدُ وَلَا يَفِي: «بَرَقَ خُلْبٌ»^(١).

[مجزوء الرمل]

وقال آخر:

قَدْ بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِنْ أَغْنَى الْبَلَاءُ
فَإِذَا جُلُّ مَوَاعِيِدِكَ وَالْجَحْدُ سَوَاءُ

[طويل]

وقال آخر:

لَهَا كُلُّ عَامٍ مَوْعِدٌ غَيْرُ نَاجِزٍ وَوَقْتُ إِذَا مَا رَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّمَا^(٢)
فَإِنْ أَوْعَدْتُ شَرًّا أَتَى دُونَ وَقْتِهِ وَإِنْ وَعَدْتُ خَيْرًا أَرَاثَ وَأَعْتَمَا^(٣)

وعد عبد الله بن عمر رجلاً من قريش أن يزوجه ابنته؛ فلما كان عند
موته أرسل إليه فزوجه إياها، وقال كرهت أن ألقى الله عز وجل بثُلثِ آتفاق.

[بسيط]

وقال الطائي:

(١) برق خلب: أي ليس وراءه مطر.

(٢) تجرم: مضى وانقضى.

(٣) أراث وأعتم: كلاهما بمعنى أبطأ.

تَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ خُلُقًا وَتُنْجِزُ إِنْجَارَ الَّذِي حَلَفَ
وَأَتْنِي اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١).

وَقَالَ بَشَّارٌ يَمْدَحُ: [مقارب]

إِذَا قَالَ تَمَّ عَلَى قَوْلِهِ وَمَاتَ الْعَنَاءُ بِلَا أَوْ نَعَمْ
وِبَعْضُ الرِّجَالِ بِمَوْعُودِهِ قَرِيبٌ وَبِالْفِعْلِ تَحْتَ الرَّجْمِ^(٢)
كَجَارِي السَّرَابِ تَرَى لَمَعَهُ وَلَسْتَ بِوَاجِدِهِ عِنْدَكُمْ^(٣)

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ: [كامل]

مَا ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ بِبُخْلِهِ لَوْ كَانَ عَلَّنِي بِوَعْدٍ كَاذِبٍ
وَقَالَ آخَرُ: [طويل]

عَسَى مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ نَعَمْ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ آخَرَ غَالِ الصَّدَقِ مِنْهُ غَوَائِلُهُ
وَقَالَ نُصَيْبٌ: [وافر]

يَقُولُ أَفِيحْسِنُ الْقَوْلَ أَبْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسِنَ مَا يَقُولُ
وَقَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ^(٤): [مجزوء الكامل]

لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ اللَّهُ دُرُّكَ مِنْ فَتَى
دِ وَحَبُّذَا صِدْقُ الْبَخِيلِ لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا

(١) سورة مريم الآية ٥٤.

(٢) الرَّجْمُ: القبر أو الحجارة التي توضع عليه.

(٣) السَّرَابُ: الذي تراه نصف النهار كأنه ماء وهو ليس بشيء، وكَمْ: للاستفهام والخبر..

(٤) هُوَ زِيَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَعْجَمِ، وَيَكْنَى أَبَا أَمَامَةَ وَهُوَ مِنْ عَبْدِ الْعَيْنِ أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ شَاعِرٌ مَشْهُورٌ.

والعرب تضرب المثل في الخُلف بعُرْقوب. قال ابن الكلبي^(١) عن أبيه: كان عُرْقوب رجلاً من العماليق؛ فأتاه أخ له فسأله شيئاً؛ فقال له عُرْقوب: إذا أطلع نخلي^(٢). فلما أطلع أتاها. قال: إذا أبلح. فلما أبلح أتاها، فقال: إذا أزهى^(٣). فلما أزهى أتاها، قال: إذا أرطب^(٤). فلما أرطب أتاها، قال: إذا صار تمراً. فلما صار تمراً جدّه^(٥) من الليل ولم يعط أخاه شيئاً.

قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عُرْقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال الأشجعي^(٦):

وعدت وكان الخُلف منك سجيّةً مواعيد عُرْقوبٍ أخاه يترَب^(٧)
هكذا قرأته على البصريين في كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء.

وقال الشاعر:

متى ما أقل يوماً لطالب حاجة نَعَمْ، أقضها قُدماً وذلك من شكلي
وإن قلت لا، بيئتها من مكانها ولم أؤذ منها بجر ولا مَطلِ
وللبخلة الأولى أقل ملامّة من الجود بدءاً ثم يتبع بالبخلِ

(١) ابن الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر بن عمر بن الحارث الكلبي أبو النضر نسبة راوية راجع ترجمته في ١١٦.

(٢) أطلع النخل: أي خرج طلمعه، والطلع للنخل كالعنقود للعنب.

(٣) أزهى: تلون ثمره بالحمرة أو الصفرة.

(٤) أرطب: أصبح رطباً، أي نضج.

(٥) جدّه: قطعه.

(٦) الأشجعي: هو هذيل بن عبد الله بن مسالم بن بلال الأشجعي شاعر ماجن هجاء من أهل الكوفة.

(٧) السجية: الخلق والطبع، ويتدرب: موضع قريب من اليمامة.

وقال أبو نؤاس لامرأة:

[بسيط]

أنضيت أحرف لا ممّا لهجت بها فحوّلي رحلها عنها إلى نعم^(١)
أو حوّلها إلى «لا» فهي تعدّلها إن كنت حاولت في ذا قلة الكلم
فستم علينا فعارضنا قياسكم يا من تناهى إليه غاية الكرم
وفي هذا معناً لطيفاً.

كتب رجل إلى صديق له: قد أفردتك برجائي بعد الله، وتعبّلت راحة
اليأس ممن يجود بالوعد ويضنّ بالإنجاز، ويحسّد أن يُفصل، ويَزهد أن
يُفصل، ويعيبُ الكذب ولا يصدق.

وقال آخر:

[وافر]

وذي ثقة تبدّل حين أثري ومن شيمي مراقبة الثقات
فقلت له عتبت عليّ إثماً فراراً من مؤونات العِدات
فعدّ لمودّتي وعليّ نذر سألتك حاجة حتّى الممات^(٢)

وقال آخر في أصحاب النبيذ:

[طويل]

مواعيدهم ربّح لمن يعدونه بها قطعوا برد الشتاء وقاطوا^(٣)

وقال مسلم^(٤):

[طويل]

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً وكفك بالمعروف أضيّق من قفّل
تمني الذي يأتيك حتّى إذا انتهى إلى أجل ناولته طرف الحبل

وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد أن يهب له جارية، فوعده وأبطأ

(١) أنضيت: اهزلت.

(٢) الكلام على تقدير «لا» أي نذر عليّ أن لا أسالك حاجة.

(٣) القبط: الحرّ.

(٤) هو مسلم بن الوليد الشاعر العبّاسي المعروف بصريع الغواني.

عليه ؛ فكتب إليه :

[طويل]

أرى حاجتي عند الأمير كأنما وأخصر من إذكاره إن لقيته
أراها إذا كان النهار نسيئة
فيا رب أخرجها فإنك مخرج
فتعلم ما شكري إذا ما قضيتها
وإن حاجتي من بعد هذا تأخرت
تَهُمُ زماناً عنده بمقام
وصدق الحياء ملجئ بلجام^(١)
وبالليل تقضى عند كل منام^(٢)
من الميت حياً مفصلاً بكلام
وكيف صلاتي عندها وصيامي
خشيت لما بي أن أزور غلامي

والعرب تقول : «أنجز حُرُّ ما وعدَّ» .

[وافر]

وقال أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني
إذا أثنى عليك المرء يوماً
حياؤك إن شيمتك الحياء
كفاه من تعرُّضه الشناء^(٣)

[خفيف]

وقال الطائي :

وإذا المجد كان عوني على المرء
تقاضيتُهُ بترك التقاضي

وقال الزهري : حقيق على من أورد بوعدي ، أن يثمر بفعل .

وقال المغيره : من آخر حاجة رجل فقد تضمن قضاءها .

[وافر]

وقال الشاعر :

كفأك مُذْكَراً وجهي بأمر
وكيف أحت من يُعنى بشأني
وحسبي أن أراك وأن تراني
ويعرف حاجتي ويرى مكاني

(١) الحصر : العي .

(٢) النسيئة : التأخير .

(٣) الشاء : الذكر الطيب .

وقال الشاعر: [مجزوء الكامل المرفل]

يا صاحِ قُلْ في حاجتي أَذْكَرَتْهَا فِيمَا ذَكَرْنَا
إِنَّ السَّرَاحَ مِنَ النِّجَا ح إِذَا شَقِيتَ بِمَا طَلَبْتَا^(١)

وقال آخر: [خفيف]

فِي تَصَدِّيكَ لِلْمَطَالِبِ إِذْكَأ رُبَّوعِدٍ جَرَى بِهِ الْمِقْدَارُ
وكتب بعضُ الكتابِ إلى صديق له: إن من العَجَبِ إِذْكَأَرُ مَعْنِي، وَحَثْ
مُتَّقِظًا، وَاسْتَيْطَاءَ ذَاكِرٍ، إِلَّا أَنَّ ذَا الْحَاجَةِ لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ، حَلًّا
بِذَلِكَ مِنْهَا أَوْ عَقْلًا. وَكَتَابِي تَذْكَرَةُ وَالسَّلَامُ.

وقال الطُّرْمَاخُ: [كامل]

أَلْحَسَنَ مَنْزِلَتِي تُؤَخِّرُ حَاجَتِي أَمْ لَيْسَ عِنْدَكَ لِي بِخَيْرٍ مَطْمَعُ
وقال حمزةُ بنُ بَيْضٍ^(٢) لِمَخْلَدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ: [متقارب]

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَأَقْضِهَا وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحُ
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى مَعْشَرٍ مَتَى يَعْبُدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا

وقال بعضُ المحدثين: [منسرح]

حَوَائِجُ النَّاسِ كُلُّهَا قُضِيَتْ وَحَاجَتِي لَا أَرَاكَ تَقْضِيهَا
أَنَاقَةُ اللَّهِ حَاجَتِي عُقِرَتْ أَمْ نَبَتْ الْحُرْفُ فِي نَوَاحِيهَا^(٣)

(١) السَّرَاحُ: قال في اللسان مادة «سرح»: «وفي المثل السَّرَاحُ مِنَ النِّجَاحِ، أَي إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَضَاءِ حَاجَةِ الرَّجُلِ فَأَيَّسَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْإِسْعَافِ».

(٢) هُوَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ بْنُ نَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَمْرِ الْحَنْفِيِّ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، شَاعِرٌ مَجِيدٌ، سَائِرُ الْقَوْلِ كَثِيرُ الْمَجُونِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

(٣) أَنَاقَةُ اللَّهِ: يَعْنِي بِنَاقَةَ اللَّهِ هُنَا، نَاقَةُ صَالِحٍ الَّتِي عَقَرْتَهَا ثَمُودٌ، وَالْخَرْفُ: سُوءُ الْخَطِّ وَالطَّالِعُ.

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز: [بسيط]
أَذْكَرُ الضَّرِّ وَالْبَلَوِ الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بُلَّغْتَ مِنْ خَبَرِي

وقال آخر: [طويل]
أَرَوْعُ لَتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
كَفَى بِطَلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ وَبِالْيَأْسِ الْمَصْرُوحِ نَاهِيَا^(١)

وقال آخر: [كامل]
مَا أَنْتَ بِالسَّبِّ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا نَجَحَ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فَالْيَوْمَ حَاجُّنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا يُدْعَى الطَّيِّبُ لَكثْرَةِ الْأَوْصَابِ^(٢)

كتب بعضُ الكتَّابِ إلى بعضِ السُّلْطَانِ: أَنَا أَنْزَهَكَ عَنِ التَّجَمُّلِ لِي
بِوَعْدٍ يَطُولُ بِهِ الْمَدَى وَيَعْتَزِّلُهُ الْوَفَاءُ، وَأَجِبَ أَنْ يَتَقَرَّرَ عِنْدَكَ أَنْ أَمْلِي فِيكَ أَبْعَدُ
مِنْ أَنْ أَخْتَلِسَ الْأُمُورَ مِنْكَ آخْتِلَاسَ مَنْ يَرَى فِي عَاجِلِكَ عِوَضاً مِنْ آجِلِكَ،
وَفِي الرَّاهِنِ مِنْ يَوْمِكَ بَدَلاً مِنَ الْمَأْمُولِ فِي غَدِكَ، وَأَلَّا تَكُونَ مَنَزَلَتِي فِي
نَفْسِكَ مَنَزَلَةً مَنْ يُصَرِّفُ الطَّرْفَ^(٣) عَنْهُ وَتُسْتَكْرَهُ النَّفْسُ عَلَيْهِ وَيُتَكَلَّفُ مَا فَوْقَ
الْعَفْوِ لَهُ، وَأَنْ تَخْتَارَ بَيْنَ الْعَذْرِ وَالشُّكْرِ؛ فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ آثَرَ الْحَظِّينِ عِنْدِي
أَحَقُّهُمَا عَلَيْكَ، وَأَصُوبُهُمَا لِحَالِي عِنْدَكَ.

وَفِي كِتَابٍ: ذُو الْحَرَمَةِ مَلُومٌ عَلَى فَرْطِ الدَّالَّةِ، كَمَا أَنَّ الْمُتَحَرِّمَ بِهِ
مَذْمُومٌ عَلَى التَّنَاسِي وَالْإِزَالَةِ. وَمِنْ مَذْهَبِي الْوَقُوفُ بِنَفْسِي دُونَ الْغَايَةِ الَّتِي
يُقَدِّمُنِي إِلَيْهَا حَقِّي، لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَلَّا أَرْضَى بِدُونَ الْحَقِّ أَزِيدَ فِي الْحَقِّ.

(١) الْيَأْسُ لِمَصْرُوحٍ: الْخَالِصُ الَّذِي لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَعَهُ أَمَلٌ فِي شَيْءٍ، وَمِنْهُ الصَّرِيحُ النَّسَبُ: أَيِ
الْخَالِصِ الصَّافِي.

(٢) الْأَوْصَابُ: الْأَمْرَاضُ الْمَوْجِعَةُ.

(٣) الطَّرْفُ: الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ.

والثاني أن أرى النفيس من الحظّ زهيداً إذا أتى من جهة الإرهاق. ولي ذمّامُ
المودة الصادقة التي كلُّ حُرْمَةٍ تَبَعُ لها، وحق الشكر الذي جعله الله وفاءً
بالنعم وإن جَلَّ قدرُها؛ وأنت مُراعي المعالي وحافظُ بقيّة الكرم؛ فأَيُّ سبيلٍ
للعذر، بل أَيُّ موضعٍ للإكداء بين حُرْمَتِي ورِعَايَتِكَ، وذِمَامِي وكرمِكَ!

قال أحمد بن يوسف: أوّل المعروف مُسْتَخَفٌّ، وآخره مُسْتَقْلٌّ؛ يكاد
أَوَّلُه يكون اللّهُوى دون الرأى، وآخره للرأى دون الهوى. ولذلك قيل: رَبُّ^(١)
الصَّنِيعَةِ أشدُّ من أبتدائها.

قال أبو عطاء السُّنْدِيّ في يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ: [وافر]
ثلاثٌ حُكَّتْهُنَّ لِقَرْمٍ قيسٍ رَجَعْنَ إليّ صِفْراً خَائِبَاتٍ^(٢)
أقام على الفُراتِ يزيدُ شهراً فقال الناسُ أيُّهما الفُراتُ^(٣)
فيا عجباً لبحرٍ فاضٍ يسقي جميعَ الناسِ لم يَبْلُ لَهَايَ^(٤)

حال المسؤول عند السؤال

قال الشاعر^(٥): [وافر]
سألناه الجزيلَ فما تَلَكَّا وأعطى فوق مُنيتنا وزاداً^(٦)
مراراً ما أعود إليه إلّا تبسّم ضاحكاً وثنى الوساد
وقال آخرُ:
[كامل]

(١) رَبُّ الصَّنِيعَةِ رَبّاً: أي نَمّاها وتمهّدها.

(٢) القرم: السيد.

(٣) في البيت إقواء، وهو تغيّر حركة الرديّ عمّا قبله.

(٤) اللّهُاء: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٥) هو زياد الأعجم.

(٦) تَلَكَّا: أبطأ.

تركوه رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانٍ^(١)
سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لِتَلْمَسَ الْعِلَاتُ بِالْعِيدَانِ^(٢)
عند السؤال كأحسن الألوان^(٣)

[مديد]

وَيَعُدُّ الْحَمْدَ خَيْرَ التَّجَارَةِ
خِلَّتَهُ بِشْرَتَهُ بِبِشَارِهِ^(٤)
وترى في الوجه منه آستيناره

[سريع]

أوراح في آل الرسول الغضاب
كالضوء يجري في ثنايا الكعاب^(٥)

[طويل]

مواقع ماء المزن في البلد القفر
عليه مصابيح الطلاقة والبشر

[كامل]

كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

قوم إذا نزل الغريب بدارهم
وإذا دعوتهم ليوم كريبه
لا ينقروا الأرض عند سؤالهم
بل يسطون وجوههم فترى لها

وقال آخر:

يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَالْبِرَّ ذُخْرًا
وإذا ما جئته تجتديه
فترى في الطرف منه حياة

وقال آخر:

إذا غدا المهدي في جنده
بدا لك المعروف في وجهه

وأشدني العتيبي:

أله في ذرى المعروف نغمى كأنها
إذا ما أتاه السائلون توقدت

والمشهور في هذا قول زهير:

تراه إذا ما جئته مُتهللاً

(١) الصواهل: الخيل وغيرها. والقيان: العيد، كناية عن كرمهم.

(٢) العلات: الأعداء.

(٣) يسطون الوجوه: أي يلقونك بالبشر وحسن الضيافة.

(٤) تجتديه: أي تطلب منه المعروف، من الجدي.

(٥) الكعاب: جمع كعب وهي الفتاة الناهد، والثنايا: أربع أسنان مقدّم القم: ثنتان في الأعلى

وثنتان في الأسفل.

وسأل رجل من الأعراب^(١) رجلاً فلم يُعْطِه شيئاً؛ فقال: [طويل]

كَدَحْتُ بِأَظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعْوَلِي فَصَادَفْتُ جُلُوداً مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسَا
تَشَاغَلْتُ لَمَّا جِئْتُ فِي رَجَةٍ حَاجَتِي وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْتُ قَدْ مَاتَ أَوْ عَسَى
وَأَجْمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتُهُ يَفُوقُ فُوقَ الْمَوْتِ ثُمَّ تَنْفَسَا
فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ، لَسْتُ بِعَائِدٍ فَأَفْرَحَ تَعْلُوهُ الْكَأَبَةُ مُبْلِسَا^(٢)
وقال مسلم:

أَطْرَقَ لَمَّا أَتَيْتُ مَمْتَدِحاً فَلَمْ يَقُلْ لَا فَضْلاً عَلَى نَعَمٍ
فَخَلَفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ أَقَادَ بِهِ فَقُمْتُ أَبْغَى النَّجَاءِ مِنْ أَمٍّ^(٣)
لَوْ أَنَّ كَنْزَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ لَمْ يَدْعِ الْإِعْتِلَالَ بِالْعَدَمِ^(٤)
وقال الحارث الكندي:

فَلَمَّا أَنْ أَتَيْنَاهُ وَقَلْنَا بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرَسِ^(٥)
وَأَضَّ بِكَفِّهِ يَحْتِكُ ضَرْساً يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعَ بِضَرْسِ^(٦)
فَقُلْتُ لَصَاحِبِي إِبْهَ كُزَّازُ وَقُلْتُ أُسِرُّهُ أَتْرَاهُ يُمْسِي^(٧)
وَقَمْنَا هَارِبِينَ مَعاً جَمِيعاً نُحَازِرُ أَنْ مِزْنَ بِقَتْلِ نَفْسِ^(٨)
قال الأصمعي:

دخل أعرابي على المُسَاوِرِ الضُّبِّيِّ وهو بُنْدَارُ الرَّيِّ^(٩)، فسأله فلم يُعْطِه

(١) تُنسب هذه الأبيات للحطيئة الشاعر المخضرم.

(٢) العائد: الملتجئ، وأخرج روعه: ذهب. والملبس: الحزين المفكر.

(٣) أقاد به: أي أن أؤخذ به، والأمم: القرب.

(٤) الاعتلال بالعدم: أي التعلل بالفقر.

(٥) الورس: نبات أصفر اللون ينبت باليمن.

(٦) أض: صار وعاد.

(٧) الكزاز: داء يحصل من شدة البرد، أو رعدة.

(٨) نزن: نتهم.

(٩) البندار: الحافظ، والرّي: موضع في العراق.

شيئاً، فأنشأ يقول:

[مقارب]

أتيتُ المساوِرَ في حاجةٍ فما زال يسْئَلُ حتى ضَرَطَ
وحكَّ قفاه بكَرٍ سُوعِه وَمَسَّحَ عُثُنُونَه وامتَخَطُ^(١)
فأمسكتُ عن حاجتي خيفةً لأخرى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّفَطِ^(٢)
فأقسِمُ لو عُدتُ في حاجتي لِلطَّخِ بِالسَّلْحِ وَشَيِّ النَّمَطِ^(٣)
وقال غَلِظْنَا حسابَ الخراج فقلتُ من الضَّرَطِ جاء الغَلَطُ

قال: فكان العاملُ كلُّما ركبَ صاح به الصَّبِيانُ: «من الضرط جاء الغلط
فهرب من غير عَزَلٍ إلى بلاد أصبهان».

وقال نهارُ بنُ تَوْسَعَةَ^(٤) في قُتَيْبَةَ بن مسلم:

[بسيط]

كانتُ خُرَاسانَ أرضاً إذ يزيدُ بها وكلُّ بابٍ من الخيراتِ مَفْتُوحُ
قَبِدَلْتُ بعده قِرْداً نُطِيفُ به كأنما وَجْهُهُ بالخلِّ مَنْضُوحُ^(٥)

وقال جرير:

[طويل]

يَزِيدُ يَغْضُ الطَّرْفَ دوني كأنما زَوَى بين عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المَحَاجِمُ^(٦)
فلا يَنْبَسِطُ من بينِ عَيْنَيْكَ ما انزوى ولا تَلْقَني إلا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

وقال آخر:

[منسرح]

لا تَسْأَلِ المرءَ عن خلائقه في وجهه شاهدٌ من الخَبَرِ

(١) الكر سوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر، والعثون: الأنف.

(٢) وشرح السَّفَط: كناية عن الاست.

(٣) السَّلْح: النجو والغائط، والنَّمَط: الفراش.

(٤) نهار بن تَوْسَعَةَ بن أبي عتيان من بني بكر بن وائل، شاعر بكر في خراسان، كان هجاء وقد هجا قتيبة بن مسلم.

(٥) منضوح: مبلل، والنضح: رش الماء ورشحه من القرية.

(٦) زوى وجهه: تقبض، والمحاجم: جمع محجم، وهو قارورة الحجام.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ الْأَبَجِيِّ عَنِ النَّتِيِّ قَالَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : إِنَّكَ لَتَعْرِفُ فَجُورَ الْفَاجِرِ فِي وَجْهِهِ .

قال أبو العتاهية :

[متقارب]

مَالِي أَرَى النَّاسَ قَدْ أَبْرَقُوا بَلُومِ الْفِعَالِ وَقَدْ أَرَعَدُوا^(١)
إِذَا جِئْتَ أَفْضَلَهُمْ لِلْسَّلَا م رَدَّ وَأَحْشَاؤُهُ تُرْعَدُ
كَأَنَّكَ ، مِنْ خَشْيَةِ لَلْسَا ل ، فِي عَيْنِهِ الْحَيَّةُ الْأَسْوَدُ

وقال آخر :

[وافر]

إِذَا مَا الرَّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمٍ فَأَلْجَأَهُ الزَّمَانُ إِلَى زِيَادٍ^(٢)
تَلْقَاهُ بِوَجْهِ مُكْفَهَرٍ ' كَأَنَّ عَلَيْهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ

وقال آخر :

[منسرح]

وَلِي خَلِيلٌ مَا مَسَّنِي عَدَمٌ مَذْ نَظَرْتُ عَيْنُهُ إِلَى عَدَمِي
بَشَّرَنِي بِالْغِنَى تَهْلُلُهُ وَقَبْلَ هَذَا تَهْلُلُ الْخَدَمِ
وَمِحْنَةُ الزَّائِرِينَ بَيِّنَةٌ تُعَرِّفُ قَبْلَ الْلِقَاءِ فِي الْحَشَمِ

العادة من المعروف تُقَطَّعُ

كَانَ يُقَالُ : إِنْ تَزَاعَ الْعَادَةُ ذَنْبٌ مُحْسُوبٌ .

وقال أبو الأسود الدؤلي :

[مديد]

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَالَهُ فِي الْوَدِّ حَتَّى وَدَّعَهُ^(٣)
لَا تُهَيِّئْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ

(١) دخل هذا البيت الحرم وهو حذف الحرف الأول من فعولن ، وفي هذه الحالة يسمّى «أنثم» .

(٢) أحجم : امتنع وابتعد وتجاوى .

(٣) غالة في الود : أي قيل له حتى تغير .

أَذْكَرِ الْبَلَوَى الَّتِي أَبْلَيْتَنِي وَكَلَاماً قُلْتَهُ فِي الْمَجْمَعَةِ^(١)
لَا يَكُنْ بَرَقُكَ بَرَقاً خُلْباً إِنَّ خَيْرَ الْبَرَقِ مَا الْغِيْثُ مَعَهُ

والمشهور في هذا قول الأعشى :

عَوْدَتِ كِنْدَةَ عَالَةً فَاصْبِرْ لَهَا وَأَغْفِرْ لَجَاهِلِهَا وَرَوِّ سِجَالَهَا^(٢)

سأل أعرابي قوماً، فرّق له رجلٌ منهم فضمه إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم

قطع عنه؛ فقال الأعرابي :

تَسْرَى فَلَمَّا حَاسِبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ السَّرْوُ^(٣)

وقدّم أبو زياد الكلابي مع أعراب سنة القحمة^(٤)، فأجرى عليهم رجلٌ

رغيفاً لكل رجلٍ ثم قطعهُ؛ فقال أبو زياد :

إِنْ يَقْطَعِ الْعَبَّاسُ عَنَّا رَغِيفَهُ فَمَا يَأْتِينِي مِنْ نِعْمَةٍ أَكْثَرُ^(٥)

والحكماء تقول : «العادة طبيعة ثانية» .

وفي الحديث : «الخير عادة والشرّ لُجَاجَةٌ»^(٦) .

وقال بعض الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ

فَاصْبِرْ لِعَادَتِكَ الَّتِي عَوَّدْتَنَا أَوْ لَا فَأَرْشِدُنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ

وتقول العربُ فيمن اصطنع معروفاً ثم أفسده باليمن أو قطعه حين كاد

(١) المجمععة : موضع الاجتماع .

(٢) السّجال : جمع سَجَلٍ ؛ وهي الدّلّو .

(٣) تَسْرَى : تكلّف السّرْو وهو السخاء .

(٤) القحمة : القحط .

(٥) دخل هذا البيت الحزم وقد تقدّم ذكره في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ .

(٦) اللّجاجة : الإلحاح في الطلب .

يتم: «شوى أخوك حتى إذا أنضح رمد»^(١).

قال أبو كعب القاص: كان رجل يُجْري عليّ رغيفاً في كلّ يوم، وكان يقول إذا أتاه الرغيف: لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعني إن تركتُك حتى أُصيبَ أخيراً منك.

والعربُ تقولُ في مثل هذا: «خُذْ من الرُّضْفَةِ ما عليها»^(٢).

[كامل]

وأقلُّ الشاعر:

وَحُذِّدِ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّثِيمِ وَذُمَّهُ إِنَّ اللَّثِيمَ بِمَا أَتَى مَعذُورٌ

ومعذور: موسوم في موضع العذار، وليس هو من العذر.

الشكر والثناء

حدّثني شيخ لنا عن وكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف^(٣) قال قال ﷺ: «إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُذِّنْ عَلَيْهِ مِنْ سِتْرِ بَيْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ الثَّناءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ».

وحدّثني أيضاً عن وكيع عن سعيد عن أبي عمران الجَوْنِي عن عبد الله ابن الصّامت قال قال أبو ذر: قلتُ للنبيّ ﷺ: الرجلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ وَيَحِبُّهُ النَّاسُ؟ قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». وقال النبيّ ﷺ: إذا أردتم أن تَعْلَمُوا ما لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ فَانظُرُوا ما ذا يَتَّبِعُهُ مِنَ الثَّناءِ».

(١) شوى: من الشيء بالنار، ورمد: ألقى الشيء بالرماد.

(٢) الرُّضْفَةُ: الحجارة المَحْمَاة يسخن بها اللبن، وهي إذا أُلْقِيَتْ فِي اللَّبَنِ لَزَقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْهُ، وهذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخيل حتى ولو كان نزرًا.

(٣) هلال بن أساف: ترجم له في الخلاصة، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف، وقال في التهذيب: ويقال ابن أساف، وهو من الصحابة.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: الثَّنَاءُ يُضَاعَفُ كَمَا تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ؛ يَكُونُ الرَّجُلُ سَخِيًّا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي سَخَايِهِ، وَيَكُونُ شُجَاعاً فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي شَجَاعَتِهِ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ الْعُمَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ فَلاناً رَجُلٌ صِدْقٍ؛ قَالَ: سَافَرْتَ مَعَهُ؟ قَالَ لَا. قَالَ: فَكَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُصُومَةٌ؟ قَالَ لَا. قَالَ: فَهَلْ ائْتَمَّتْهُ عَلَى شَيْءٍ؟ قَالَ لَا. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، أَرَأَيْتَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَخْفِضُهُ فِي الْمَسْجِدِ!.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمَكَافَأَةِ فَلْيُطْلُ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ.

وَقَالَ آخَرُ: حَقُّ النِّعْمَةِ أَنْ تُحْسِنَ لِبَاسِهَا، وَتَنْسِبَهَا إِلَى وَلِيِّهَا، وَتَذْكُرَ مَا تَنَاسَى عِنْدَكَ مِنْهَا.

وَقَالَ بَعْضُ الْحَارِثِيِّينَ:

عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَحْمَدُوا أَحَدًا
لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِمَجَانٍ^(١) حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وَقَالَ حَمَادٌ عَجْرَدٌ:

قَدْ يَنْقُضِي كُلُّ مَا أُؤْلِيَتْ مِنْ حَسَنِ تَنْأَى بِوَدِّكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَحَدٍ
إِذَا أَتَى دُونَ مَا أُؤْلِيَتْ يَوْمَانِ وَإِنْ طَمِعَتْ فَأَنْتَ الْوَاصِلُ الدَّانِي
وَحَنْظَلُ كُلَّمَا اسْتَغْنَيْتَ خُطْبَانِ^(٢) الشَّهْدُ أَنْتَ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضَتْ

(١) بِمَجَانٍ: أَيِ بَدُونِ ثَمَنِ.

(٢) أَخْطَبَ الْحَنْظَلُ: أَصْفَرَ وَصَارَ خُطْبَانًا، وَالْحَنْظَلُ نَبَاتٌ ثَمَرُهُ شَدِيدُ الْمَرَارَةِ.

وقال عمران بن حطان^(١):
وقد عَرَضْتُ لي حاجةً وأُظَنِّي بأنِّي إذا أنزلْتُها بك مُنْجِحُ
فإن أُنْك في أخذ العطية مُرَبِحاً فإنك في بذل العطية أَرْبَحُ
لأنَّ لك العُقْبَى من الأجر خالصاً وشُكْرِي في الدنيا، فحظُّك أَرْجَحُ

وقال معاوية بن أبي سفيان يعاتب قريشاً:
إذا أتبا أعطيت القليل شكوتُمْ وإن أنا أعطيت الكثير فلا شُكْرُ
وما لمت نفسي في قضاء حقوقكم وقد كان لي فيما اعتذرتُ به عُذْرُ
وأمنجكم مالي وتكفّر نعمتي وتَشْتُم عِرْضِي في مجالسها فُهْرُ^(٢)
إذا العذر لم يُقْبَلْ ولم ينفع الأسى وضاعت قلوبُ منهم حَشْوُها الغِمْرُ^(٣)
فيكف أداوي داءكم يَزِيدكم غِيّاً! فقد عَظُم الأمرُ
سأجرمكم حتى يذِلَّ صعابكم، وأبلغُ شيءٍ في صلاحكم الفقرُ

وقال طريح الثَّقَفِيّ^(٤):
سَعَيْتُ ابتغاءَ الشكر فيما صنعتُ بي [طويل]
ومثله قول الخُرَيْمِيّ^(٥):
لأنك تُعطيني الجزيل بداهةً [طويل]
وأنت لِمَا استكثرتُ من ذاك حاقِرُ

(١) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك رأس القعدة من الصفرية. وخطيبهم وشاعرهم. وكان من رجال العلم الحديث.

(٢) فُهْرُ: اسم قبيلة.

(٣) الغِمْرُ: الحقد.

(٤) هو طريح الثَّقَفِيّ بن اسماعيل بن عبيد بن أسيد الثَّقَفِيّ. أبو الصلت. شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله، وأكثر شعره في مدحه.

(٥) هو الخريمي اسحاق بن حسان ويكنى أبو يعقوب من العجم، وكان مولى ابن خريم الذي يُقال لأبيه خريم الناعم.

ومثله قوله أيضاً:

[رمل]

زاد معروفك عظماً أنه عندك محقور صغير
تتناسه كأن لم تأتبه وهو عند الناس مشهور كبير
قال رجل لبعض السطان: المواجهة بالشكر ضرب من الملق^(١)،
منسوب من عرف بها إلى التخلّق^(٢)؛ وأنت تمنعني من ذلك وترفع الحال بيننا
عنه، ولذلك تركت لقاءك به. غير أنني من الاعتراف بمعرفك ونشر ما تطوي
منه والإشادة بذكره عند إخوانك والانتساب إلى التقصير مع الإطناب في
وصفه، على ما أرجو أن أكون قد بلغت به حال المحتمل للصنعة، الناهض
بحقّ النعمة.

قال ابن عنقاء الفزاري^(٣):

[طويل]

رآني على ما بي غميّة فاشتكى
دعائي فأساني ولو صدّ لم ألم
فقلت له خيراً وأئنيّت فعله
وأوفاك ما أسديت من ذم أو شكر^(٤)

وقال آخر^(٥):

[طويل]

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي
فتي غير محجوب الغنى عن صديقه
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلّت^(٦)

(١) الملق: التودّد والتلطّف، ومنه التملّق: أي إكثار الود.

(٢) التخلّق: إظهار المرء ما ليس من خلقه وفعاله.

(٣) ابن عنقاء الفزاري: هو قيس بن بجرة الفزاري، شاعر فحل من فحول عطفان له شعر كثير،

وهو أحد بني لؤي بن شمع بن فزارة راجع معجم الشعراء ص ١٥٨.

(٤) أسديت: قدّمت من صنيع.

(٥) يقال: إنّه محمد بن سعيد الكاتب «انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٧ ط أوروبا».

(٦) الخلّة: الفقر والحاجة، والقذّي: ما يقع في العين من أذى.

وقرأت في كتاب للهند: أربعة ليست لأعمالهم ثمرة: مُسَارُّ الْأَصَمِّ،
والبَاذِرُ فِي السَّبْخَةِ^(١)، والمُسْرِجُ فِي الشَّمْسِ، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا
شكر له.

وقال بعضُ الشعراءِ المُحدِّثين، وقيل: إنه للبحرِيِّ. فبعثتُ إليه أسأله
عنه فأعلمني أنه ليس له:

[مقارب]

فلو كان للشكر شخصٌ يَبيِّنُ إذا ما تأمله الناظرُ
لبيَّنْتُه لك حتَّى تراه فتعلَّم أنِّي أمرؤُ شاكِرُ
ولكنه ساكنٌ في الضميرِ يُحرِّكه الكَلِمِ السائرُ

وقال آخر:

[طويل]

فلو كان يَسْتَغْنِي عن الشكر سيِّدُ لَعَزَّةٌ مُلْكٍ أَوْ عُلُوٌّ مَكَانٍ
لَمَّا أمر الله الجليلُ بشكره فقال اشكروني أيُّها الثَّقَلانِ^(٢)

وقال آخر:

[طويل]

فأتُّنوا علينا لا أبا لأبيكمُ بإحساننا إنَّ الشَّاءَ هو الخُلْدُ

[كامل]

وقال رجل من غَنِيٍّ^(٣):

فإذا بلغتُم أهْلَكُم فتحدَّثوا ومن الشَّاءَ مَهَالِكُ وخُلُودُ

وكانت عائشة رضي الله عنها تَتَمَثَّلُ بقول الشاعر:

يَجْرِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَرَى

وقال الحارثُ بن شدَّاد في عليِّ بن الربيع الحارثيَّ:

[بسيط]

(١) السَّبْخَةُ: الأرض ذات الملح والنَّزْأِي التي لا تصلح للزراعة.

(٢) الثَّقَلان: الجنُّ والإنس.

(٣) غَنِيٍّ: لاسم قبيلة.

النَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَهُمْ
رَأْسٌ وَكَيْفَ يُسَوَّى الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
فَحَسْبُنَا مِنْ ثَنَاءِ الْمَادِحِينَ إِذَا
أَثْنَوْا عَلَيْكَ بِأَنْ يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا^(١)

وقال آخرُ:

[وافر]

بِأَيِّ الْخَصْلَتَيْنِ عَلَيْكَ أَثْنِي
أَبِي الْحُسَيْنِ وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ
عَلَيَّ فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
وَأَنْتَ الْبَحْرُ مِنْ ذَهَبٍ يَسِيلُ
أَمِ الْآخَرَى وَلَسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ

وقال بشار:

[بسيط]

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي
فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
قَدْ قُلْتُ إِنَّ أَبَا حَفْصٍ لَأَكْرَمُ مَنْ
يَمْشِي فَخَاصَمَنِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي
وَكُتِبَ بَعْضُ الْكِتَابِ إِلَى وَزِيرٍ: لَسْتُ تُشَبِّهُ حَالَنَا فِي الْحُرْمَةِ، وَلَا نُشَبِّهُ
حَالَكَ فِي الْجَاهِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَا ظَاهِرُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْبَاطِنُ. وَلَيْسَ بَعْدَ حُرْمَتِي
حُرْمَةٌ، وَلَا فَوْقَ سَبَبِي سَبَبٌ، وَلَا بَعْدَ حَالِكَ حَالٌ يُرْتَجَى، وَلَا بَعْدَ مَنَزَلَتِكَ
مَنْزَلَةٌ تُتَمَنَّى، وَلَا تَنْتَظَرُ شَيْئًا وَلَا أَنْتَظِرُهُ؛ وَلَا أَنْتَوِّعُ حَقًّا أَزِيدُهُ فِي حَقُوقِي، وَلَا
تَتَوَّعُ فَائِدَةٌ تَزِيدُهَا فِي ذَاتِ يَدِكَ. وَكَمْ تَحْتَالُ بِالْأَلْفَاظِ، وَتُمَوِّهُ^(٢) بِالْمَعَانِي،
وَالنَّاسُ يَحْتَجُّونَ بِالْعَمَلِ وَيَقْضُونَ بِالْعِيَانِ.

وقال بعض الشعراء:

[طويل]

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ
إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قَلَّةِ الشُّكْرِ

وقال أبو الهول في أبي المراء عتبة بن عاصم:

[طويل]

(١) الثناء: المدح والإشادة.

(٢) مسول: أي سوف أسأل عن خصالك.

(٣) تمويه: تلاعب وتخفي.

إذا فَاخْرَجْنَا مِنْ مَعَدٍّ عِصَابَةٍ فخرنا عليها بابن عُتْبَةَ عَاصِمٍ^(١)
يَجْرُ رِيَاطُ الْحَمْدِ فِي دَارِ قَوْمِهِ ويختال في عَرْضٍ من الذَّمِّ سَالِمٍ^(٢)
وقال رجل لبعض السُّلْطَانِ: مِثْلُكَ أَوْجِبَ حَقًّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَسَمَحَ
بِحَقٍّ يَجِبُ لَهُ، وَقَبِلَ وَاضِحَ الْعَذْرِ، وَاسْتَكْثَرَ قَلِيلَ الشُّكْرِ. لَا زَالَتْ أَيْدِيكَ
فَوْقَ شُكْرِ أَوْلِيَائِكَ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فَوْقَ آمَالِهِمْ فِيكَ.
وَكُتِبَ آخِرُ:

مَا أَنْتَهِيَ إِلَى غَايَةٍ مِنْ شُكْرِكَ، إِلَّا وَجَدْتُ وَرَاءَهَا غَايَةً مِنْ مَعْرِفِكَ
يَحْسُرُونِي^(٣) بِلَوْغِهَا. وَمَا عَجَزَ النَّاسُ عَنْه فَالِلَّهِ مِنْ وَرَائِهِ. فَلَا زَالَتْ أَيْامُكَ
مَمْدُودَةً بَيْنَ أَمَلٍ لَكَ تَبْلُغُهُ، وَأَمَلٍ فِيكَ تُحَقِّقُهُ، حَتَّى تَتَمَلَّى مِنَ الْأَعْمَارِ
أَطْوَلَهَا، وَتَنَالَ مِنَ الْهَبَاتِ أَفْضَلَهَا.
وَنَحْوَ هَذَا قَوْلُ آخَرِ:

كَانَ لِي فِيكَ أَمَلَانِ: أَحَدُهُمَا لَكَ، وَالْآخَرُ بِكَ. فَأَمَّا الْأَمَلُ لَكَ فَقَدْ
بَلَغْتَهُ، وَأَمَّا الْأَمَلُ بِكَ فَأَرْجُو أَنْ يُحَقِّقَهُ اللَّهُ وَيُوشِكَهُ.
وَفِي كِتَابِ آخَرِ:

أَيَّامُ الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةٌ، وَالْمُتَعَةُ بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلٌ، وَالْمَعْرُوفُ
وَإِنْ أُسْدِيَ إِلَى مَنْ يَكْفُرُهُ مَشْكُورٌ بِلِسَانِ غَيْرِهِ.
وَفِي كِتَابِ بَعْضِ الْكُتَّابِ:

وَمَا ذَكَرْتُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ ذَلِكَ قَدِيمًا وَلَا جَدَّدَتْ مِنْهُ حَدِيثًا، إِلَّا

(١) مَعَدٍّ: اسم قبيلة، والعصابة: الجماعة.

(٢) الرِّيَاطُ: جمع رِيْطَة، وهي الملاءة.

(٣) يَحْسُرُونِي: يعينني ويتعبنني.

وأصغرُ أُملي فيك فوقه وإن كان استحقاقي دونه. فإن أقصِر واجب حق الله على في شكر نعمك فبتوفقه وعونه ، وإن أقصِر عن كُنْهه فعن غير تقصير في بلوغ الجهد فيه.

وفي هذا الكتاب :

أما ما بذل الأمير من ماله ، فذلك ما قد سبق الرجاء بل اليقين إليه ، معرفةً مني بطوله وكرمه ، وليس يُنكر أياديهِ ولا يدعُ صنائعه . وما يُرشدني أُملي بعد الله إلا إليه ، ولا أفزعُ^(١) لحادثةٍ إلى غيره ، ولا أتضاءلُ لنائبةٍ معه . ولو عجزتُ عن النهضة لما حاولتُ الاستقلال والانتعاش إلا به . ومالُ الأمير الكثير المذخور عند انقطاع الحيل ، لا مُعفف طالبه ، ولا مُخوف على الرد عنه واهبه ، ولا عائق مُنع دونه ، ولا تنغيص من ورائه ؛ ولا كنز أولى بالصون وأن يجعلَ وقفاً على النوائب والعواقب من كنز من هذه حاله .

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل^(٢) : مَجَّدْنَا بِشَعْرِكَ ؛ فقال : افعلوا حتى أثنِي . ونحوه قول عمرو بن معد يكرب^(٣) :

[طويل]

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقْتُ ولكنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ^(٤)

قال رجل من قريش لأشعب : والله ما شكرت معروف في عندك ؛ فقال : إنَّ معروفك كان من غير مُحْتَسِبٍ ، فوقع عند غير شاكر .

(١) أفزع : ألتجىء .

(٢) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو بن بني كعب بن سعد التميمي ، أبو مالك . شاعر جاهلي من الفرسان من أهل الحجاز .

(٣) هو عمرو بن معلي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة . قتل عطشاً يوم القادسية .

(٤) أجرت : قطعت ، ، يقول : لو قاتل قومي أو أبلو لذكرت ذلك وفخرت بهم ، لكن رماحهم قطعتني عن الكلام لفرارهم .

وقال أبو نؤاس:

[كامل]

أنت أمروؤ أوليتني نعماً
فإليك بعد اليوم تقدمة
لا تحدثن إلي عارفة
أوهت قوى شكري فقد ضُففاً^(١)
والتك بالتصريح مُنْكَشِفاً^(٢)
حتى أقوم بشكر ما سلفاً^(٣)

وقال أبو نخيلة^(٤):

[طويل]

شكرتُك إن الشكرَ جبلٌ من الثُّقى
فأحييت من ذكري وما كان ميتاً
وما كلُّ من أقرضته نعمةً يقضى
ولكن بعض الذكر أنه من بعض

آخر:

[طويل]

لأشكرنك معروفاً هَمَمْتُ به
ولا ألومك إن لم يُمضِبه قَدْرٌ
وقال رجل لسعيد بن جبير: المجوسيُّ يُولِينِي خيراً فأشكره، ويُسلِّمُ
عليّ فأردُّ عليه؛ فقال سعيد: سألتُ ابنَ عَبَّاسٍ عن نحو هذا، فقال لي: لو
قال لي فرعونُ خيراً لَرَدَدْتُ عليه مثله.

أنشد ابن الأعرابي:

[رمل]

أهلكتني بفلانٍ ثَقَّتِي
ليس يستوجبُ شكراً رجلٌ
وظنُونُ بفلانٍ حسنَه
نلتُ خيراً منه من بعد سنه

(١) أوليتني نعماً: أي جيتني، وأوهت: أضعفت.

(٢) والتك: نابعتك.

(٣) العارفة: المعروف.

(٤) هو أبو نخيلة يعمر بن حزن بن زائدة، شاعرٌ راجز. متقدمٌ في القصيدة والرجز. يكنى أبا نخيلة لأنه ولد في أصل نخلة «راجع معجم الشعراء ص ١٩٣».

وقال بعضهم: لا تَتَّقْ بشكر من تُعْطِيهِ حتى تمنعه؛ فإنَّ الصَّابِرَ هو الشَّاكِر، والجَاذِعُ هو الكافر^(١).

وقال أَوْسُ بن حَجَر^(٢): [طويل]

سَأْجِزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوِّبٌ وَقَصْدُكَ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْكَ وَتُحَمِّدِي
والعربُ تقول: فلانُ أَشْكُرُ من البرِّوق وهو نبت ضعيف ينبت بالسحاب
إذا نشأ وبأدنى مطر.

وقال الشاعر: [طويل]

لِئِنْ طَبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَلِئِنْ لَأَطِيبُ نَفْسًا عَنْ نَذَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً عَلَى شِدَّةِ الإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي^(٣)
وقال آخر:

حَسْبُ أَمْرِي إِنْ فَاتَنِي غَرَضٌ مِنْ بَرِّهِ أَنْ فَاتَهُ شُكْرِي
إِنِّي إِذَا ضَاقَ أَمْرُ بَجْدًا عَنِّي أَتَسَعْتُ عَلَيْهِ بِالْعُذْرِ^(٤)
وقال الطائي لإسحاق بن إبراهيم: [كامل]

وَمَحَجَّبٍ حَاوَلْتَهُ فَوَجَدْتَهُ نَجْمًا عَنْ الرِّكْبِ الْعُفَاةِ شُسُوعًا^(٥)
أَعْدَمْتُهُ لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ شُكْرِي فَرُحْنَا مُعْدِمِينَ جَمِيعًا

(١) الجازع: القانط.

(٢) هو أوس بن حجر: بن مالك التميمي أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية. أو من كبار شعرائها، كان كثير الأسفار وأكثر إقامته عند عمرو بن هند.

(٣) الجدوى: العطاء، والإعسار: من العسر وهو الضيق.

(٤) الجدا: العطية.

(٥) العفاة: الفقراء، والشسوع: البعيد.

وقال:

[طويل]

فإن يك أربى عفو شكري على ندى

أناسٍ فقد أربى نداءه على جهدي^(١)

وقال:

وكيف يجوز عن قصدٍ لساني

وقلبي رائحٌ برضاكَ غادي

ومما كانت العلماءُ قالت

لسانُ المرءِ من خدمِ الفؤادِ

وقال:

أبا سعيدٍ وما وصفي بمُتهمٍ

على الثناء وما شكري بمُخترَمٍ^(٢)

لئن جحدتُك ما أوليت من نعمٍ

إنِّي لفي الشكر أحظى منك في النعمِ^(٣)

أنسى ابتسامك والألوان كاسفةً

تبسم الصبح في داجٍ من الظلمِ^(٤)

رددت روثق وجهي في صفيحتِه

ردَّ الصقال بهاء الصارمِ الخدمِ^(٥)

وما أبالي، وخير القول أصدقه،

حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

وقال:

فلا تكدر جياضك لي فأنِّي

أمتُ إليك آمالاً طوالاً^(٦)

وفر جاهي عليّ فإن جاهي

إذا ما غبَّ يومٌ كان مالاً^(٧)

وقال:

يا مئةً لك لولا أخفُّها

به من الشكر لم تحمَل ولم تُطَقِ

[بسيط]

(١) أربى: زاد وفاض.

(٢) المخترم: المنتقص، واخترمته المنابا: أي أردته.

(٣) أوليت: أسديت.

(٤) الكاسفة: العابسة.

(٥) الروثق: البهجة والإشراق، والصارم: السيف. والخدم: القاطع.

(٦) الجياض والأحواض واحد: أي ما يجمع الماء به، وأمتُ: أمدُ وأصل.

(٧) فُر: فعل أمر من وفر أي صان وحمل، وغبَّ يوم: ضاق عيشه وتغير حاله.

بِالله أَدْفَعُ عَنِّي ثِقْلَ فَادِحِهَا فَلِئَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ عَلَى عُنُقِي^(١)

[متقارب]

وَقَالَ بَشَارٌ فِي عَمْرِ بْنِ الْعَلَاءِ: دَعَانِي إِلَى عُمَرَ جُودُهُ

وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ لِأَمْدَحَ رَيْحَانَةً قَبْلِي شَمٌّ

وَيَقَالُ: الشُّكْرُ ثَلَاثُ مَنَازِلَ: لِمَنْ فَوْقَكَ بِالطَّاعَةِ، وَلِنَظِيرِكَ بِالْمُكَافَأَةِ،

وَلِمَنْ دُونَكَ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِ.

[بسيط]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ^(٢) يَشْكُرُ الْمَأْمُونَ:

رَدَدْتُ مَالِي وَلَمْ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَا لِي قَدْ حَقَنْتُ دَمِي

فَأَبْتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَّلْتَنِي نِعْمًا هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ

فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي

مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تُلِمَ^(٣)

وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

[خفيف]

وَقَالَ آخَرُ، وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ الْخُثْعَمِيُّ^(٤):

فَاذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَقْدٌ رُّ إِلَى جَنْبِ قَبْرِهِ فَاعْقِرَانِي^(٥)

وَانْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَا نِ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ^(٦)

(١) الفادح: الأمر الجليل.

(٢) هو إبراهيم بن المهدي: بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق ويقال له ابن شكله، أخوه هارون الرشيد، طلبه المأمون بعد أن دعا لنفسه بالخلافة إثر اقتتال الأمين والمأمون ثم عفا عنه.

(٣) العارِيَّة: الأمانة.

(٤) الخثعمي: هو العباس بن سفيان قائد بحري كان أميراً على غازية البحر في خلافة المنصور غزا قبرس بجيش سنة ١٤٦ هـ.

(٥) العقْر: ما يعقر من الإبل.

(٦) ١٦) نضح الدَّم: رَشَهُ.

وفد رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته؛ فقال له: ما أقدمك؟ قال: ما أقدمني عليك رغبة؛ قال: وكيف ذلك؟ قال: أما الرغبة فقد وصلت إلينا وفاضت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا، وأما الرغبة فقد أمنا بعدل أمير المؤمنين علينا وحسن سيرته فينا من الظلم، فنحن وفد الشكر.

وقال الفرزدق في عمرو بن عبّة:

لولا ابن عبّة عمرو والرجاء له ما كانت البصرة الحمقاء لي وطنا
أعطاني المال حتى قلت يودعني أو قلت أودع لي مالا رآه لنا
فجوده متعب شكري ومنته وكلما زدت شكراً زادني منّا
يرمي بهمة أقصى مسافتها ولا يريد على معروفه ثمنا
هذا مثل قول الأعرابي: ما زال فلان يعطيني حتى ظننت أنه يودعني ماله. وما ضاع مال أورث المحامد.

ويقال: خمسة أشياء ضائعة: سراج يوقد في شمس، ومطر جود في سبخة^(١)، وحسناء تزف إلى عنين^(٢)، وطعام استجيد وقدم إلى سكران، ومعروف صنيع إلى من لا شكر له.

وكان يقال: الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.
وقال أسماء بن خارجة^(٣): إذا قدمت المصيبة تركت التعزية، وإذا قدم الإخاء قبح الثناء.

بعث روح بن حاتم^(٤) إلى كاتب له بثلاثين ألف درهم، وكتب إليه: قد

(١) السبخة: الأرض التي فيها ملح ونز، ولا تصلح للزراعة.

(٢) العنين: الناقص الفحولة.

(٣) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة، كان سيد قومه، مقدماً عند الخلفاء.

(٤) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي أمير من الأجواد الممدوحين كان حاجباً للمنصور العباسي. وولاه المهدي السند. ثم نقله إلى البصرة.

بعثتُ بها إليك، ولا أَقلِّلُها تكبراً، ولا أَكثِّرُها تَمَنُّناً، ولا أُسَيِّئُكَ عليها ثناءً، ولا أَقْطَعُ عنك بها رجاءً.

وفي كتاب للهند: لا ثناء مع كِبَر. وفيه: سِتَّةُ أَشْيَاءَ لا ثَبَاتَ لَهَا: ظُلُّ الغمام، وَخُلَّةُ الأشرار، وعِشْقُ النساء، والمالُ الكثير، والسَّلاطَانُ الجائر، والثناءُ الكاذبُ.

والعربُ تقول: «لا تَهْرِفْ قبل أن تَعْرِفَ» أي لا تُطَيِّبَنَّ في الثناء قبل الاختبار.

وكتب أبو نَواَس من الحبس إلى الفضل بن الربيع: [كامل]

ما مِن يَدٍ في الناسِ واحدةٍ كَيَدِ أبُو العباسِ مَولاهَا
نامَ الثُّقاتُ على مَضاجعِهِم وَسَرَى إلى نَفسي فَأَحيَاهَا
قد كُنْتَ خِفْتُكَ ثم آمَنَني من أن أَخافَكَ خَوْفَكَ اللَه
فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ وَجَبْتَ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا

والبيت المشهور في هذا قول النَجاشي^(١): [بسيط]

لا تَحْمَدَنَّ أَمراً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ولا تَذَمَّنَنَّ مَنْ لَمْ يَبْلُغِ الخُبْرَ^(٢)

وقال آخَرُ في الاختبار: [كامل]

إنَّ الرجالَ إذا اخْتَبَرْتَ طِباعَهُم أَلْفَيْتَهُم شَتَّى على الأَخْبَارِ
لا تَعَجَلَنَّ إلى شَريعَةٍ مَورِدٍ حَتَّى تَبَيَّنَ خُطَّةُ الإِصْدَارِ^(٣)

وقال الرِّياشي: أَنشدني أبو العالِيَةِ^(٤): [طويل]

(١) النجاش: هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب. من كهلان شاعر هجاء

مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام.

(٢) يَبْلُغُ الخُبْرُ: أي لم تجنِّك التجارب.

(٣) الشريعة: الماء، والورود: إتيان الماء والإصدار: العودة عنه.

(٤) أبو العالِيَةِ: أحد المحدثين الثقات، والعالمين بالتفسير والأدب

إذا أنسا لم أشكر على الخير أهله ولم أذم الجبس اللثيم المذمماً^(١)
فقيم عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ وشقَّ ليَ اللهَ المسامعَ والفمَ
قال ابن التَّوَمِ : كُلُّ مَنْ كَانَ، جُودُهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛ وَلَوْلَا رَجوعُهُ إِلَيْهِ لَمَا
جَادَ عَلَيْكَ، وَلَوْ تَهَيَّأَ لَهُ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي سِوَاكَ لَمَا قَصَدَ إِلَيْكَ، فَلَيْسَ يَجِبُ لَهُ
عَلَيْكَ شُكْرٌ. وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِالْجُودِ فِي الْحَقِيقَةِ وَيُشْكَرُ عَلَى النِّفْعِ فِي حُجَّةِ
الْعَقْلِ، الَّذِي إِنْ جَادَ عَلَيْكَ فَلَكَ جَادٌ، وَنَفْعَكَ أَرَادَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ
جُودُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَنَافِعِ عَلَى جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
فَإِنْ شَكَرْنَا النَّاسَ عَلَى بَعْضِ مَا جَرَى لَنَا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَلْأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا
التَّعَبُّدُ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ وَإِنْ كَانَا شَيْطَانَيْنِ وَتَعْظِيمِ مَنْ هُوَ
أَسْنُّ مِنَّا وَإِنْ كُنَّا أَفْضَلَ مِنْهُ. وَالْآخَرُ: لِأَنَّ النَّفْسَ مَا لَا تُحْصِلُ الْأُمُورَ وَتُمَيِّزُ
الْمَعَانِي، فَالسَّابِقُ إِلَيْهَا حُبٌّ مَنْ جَرَى لَهَا عَلَى يَدَيْهِ الْخَيْرُ وَإِنْ كَانَ لَمْ يُرْدْهَا
وَلَمْ يَقْصِدْ إِلَيْهَا. أَلَا تَرَى أَنَّ عَطِيَّةَ الرَّجُلِ صَاحِبَهُ لَا تَخْلُو أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ أَوْ
لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ؛ وَكَيْفَ يَجِبُ فِي حُجَّةِ الْعَقْلِ شُكْرُهُ
وَهُوَ لَوْ صَادَفَ ابْنَ سَبِيلٍ غَيْرِي لَمَّا أَعْطَانِي؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ إِعْطَاؤُهُ إِيَّايَ
لِلذِّكْرِ؛ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّمَا جَعَلَنِي سُلْماً إِلَى حَاجَتِهِ وَسَبِيلاً إِلَى بُغْيَتِهِ؛ أَوْ
يَكُونَ إِعْطَاؤُهُ إِيَّايَ طَلَباً لِلْمُكَافَأَةِ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ تِجَارَةٌ؛ أَوْ يَكُونَ إِعْطَاؤُهُ لَخَوْفِ
يَدِي أَوْ لِسَانِي أَوْ أَجْتِرَارِ مَعُونَتِي وَنُصْرَتِي، وَسَبِيلُ هَذَا مَعْرُوفٌ؛ أَوْ يَكُونَ
إِعْطَاؤُهُ لِلرَّحْمَةِ وَالرَّقَّةِ وَلِمَا يَجْدُ فِي فَوَائِدِهِ مِنَ الْعَصْرِ^(٢) وَالْأَلَمِ، فَإِنَّمَا دَاوَى
بِتِلْكَ الْعَطِيَّةِ مِنْ دَائِهِ وَرَفَقَهُ مِنْ خِنَاقِهِ^(٣).

(١) الجبس: الدنيء الجبان.

(٢) العصر: احتباس الألم.

(٣) رَفَقَهُ: من الترفيه.

وكان محمد بن الجهم يقول: نحو هذا قول الشاعر: [مقارب]

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَثْنَوْا عَلَيْكَ وَلَا عَظَمُوكَ وَلَا عَظَّمُوا
وَلَا شَايَعُوكَ عَلَى مَا بَلَغَ تَ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَلَا قَدَّمُوا
وَلَوْ وَجَدُوا لَهُمْ مَطْعَنًا إِلَى أَنْ يَعْيِيوكَ مَا جَمَّعُوا^(١)
وَلَكِنْ صَبَرْتَ لِمَا أَلْزَمُوكَ وَجَدْتَ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَلْزُمُ
وَكَانَ قِرَاكَ إِذَا مَا لَقُوكَ لِسَانًا بِمَا سَرَّهَمُ يُنْعِمُ^(٢)
وَخَفَضَ الْجَنَاحَ وَوَشَكَ النِّجَاحَ وَتَصَغِيرَ مَا عَظَّمَ الْمُنْعِمُ^(٣)
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ إِلَى أَنْ يُجَلُّوا وَأَنْ يُنْعَمُوا

[طويل]

وقال خلف بن خليفة الأقطع^(٤):

وَفِي الْيَأْسِ مَنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةً تُمِيتُ بِهَا عُسْرًا وَتُحْيِي بِهَا يُسْرًا
وَلَيْسَ يَدُ أَوْلَيْتِهَا بِغَنِيمَةٍ إِذَا كُنْتَ تَبْغِي أَنْ يُعَدَّ شُكْرًا
غَنَى النَّفْسَ يَكْفِي النَّفْسَ مَا سَدَّ فَاقَةً فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقَرًا

قال ابن عائشة: بلغني أنَّ عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة

حاجة فلم يقضها له، فسألها آخر فقضاها له؛ فقال: [طويل]

ذُمَّتْ وَلَمْ تُحَمَّدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا

(١) جمجم: قال ما لم يعرف.

(٢) القرى: الضيافة.

(٣) خفض الجناح: كناية عن البشاشة والدعة والتواضع.

(٤) هو خلف بن خليفة الأقطع: شاعر أموي مطبوع، راوية، من قيس بن ثعلبة بالولاء، اتهم بسرقة في صباه فقطعت يده، كان لساناً بذيئاً من الظرفاء.

أَبَى لَكَ كَسَبَ الْحَمْدِ رَأْيِي مُقَصَّرٌ وَنَفْسُ أَضْلَقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا^(١)
 إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاها وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا
 وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: قَالَ رَجُلٌ يَوْمًا لِابْنِ عُيَيْنَةَ: مَا شَيْءٌ تُحَدِّثُونَهُ يَا أَبَا
 مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: أَيَّمَا عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ إِلَيَّ
 حَاجَةٌ فَشَغَلَهُ الثَّنَاءُ عَلَيَّ عَنْ سُؤَالِ حَاجَتِهِ، أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ أُمْنِيَّتِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ
 أَخِي، وَمَا تُتَكَّرُ مِنْ هَذَا! أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أُمِّةٍ بَنِ أَبِي الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بَنِ
 جُدْعَانَ:

إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ الْمَرْءُ يَوْمًا كَافَهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءَ

فَكَيْفَ بِأَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ! .

وَكَانَ يُقَالُ: فِي طَلَبِ الرَّجُلِ الْحَاجَّةَ إِلَى أَخِيهِ فِتْنَةٌ: إِنْ هُوَ أَعْطَاهُ حَمْدَ
 غَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ، وَإِنْ مَنَعَهُ دَمٌّ غَيْرَ الَّذِي مَنَعَهُ.

حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ: أُنْشَدْنَا كَيْسَانَ لِدُكَيْنِ الرَّاجِزِ^(٢): [طويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رَدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ^(٣)
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَصْرَعْ عَنِ اللَّؤْمِ نَفْسُهُ فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ^(٤)
 وَكَانَ يُقَالُ: أَوَّلُ مَنَازِلِ الْحَمْدِ السَّلَامَةُ مِنَ الذَّمِّ.

(١) الباع: كناية عن اليد، لأنَّ العطاء يكون بها.

(٢) دُكَيْنِ الرَّاجِزِ: هُوَ دُكَيْنُ بَنِ رَجَاءٍ مِنْ بَنِي فُقَيْمٍ، أَحَدُ الرَّجَازِ الْمَشْهُورِينَ، وَرَدَ عَلَى الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ وَامْتَدَحَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ «رَاجَعَ الشُّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ» ص ٤٠٥.

(٣) تنسب هذه الأبيات السموءل بن عادياء اليهودي وهي معروفة.

(٤) يَصْرَعُ: يَمْنَعُ.

قال عُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ اللَّيْثِيِّ^(١):
 لَا تَتَّكُنْ، إِنْ صَنِيعَةُ سَلَفَتْ إِلَى امْرِئٍ، إِنْ تَقُولَ إِنْ ذُكِرَتْ
 فَيَنْ أَحْيَاها إِمَاتُها وَإِنْ مَنَّا بِها يُكَذِّرُها
 وَإِنْ تَوَلَّى أَمْرُؤُ بِشُكْرٍ يَدِ فَاللَّهُ يَجْزِي بِها وَيَشْكُرُها
 ويقال: أَحْيَا المعروف بِإِمَاتِهِ.

أَبُو سُفْيَانَ الْجُمَيْرِيُّ قَالَ: كَانَ مَسْعَدَةُ الْكَاتِبِ أَبُو عَمْرٍو بْنُ مَسْعَدَةَ مَوْلَى
 لَخَالِدِ الْقَسْرِيِّ، وَكَانَ فِي دِيوانِ الرِّسَالِ بِوَاسِطٍ، وَكَانَ مُوجِزاً فِي كُتُبِهِ، فَكَتَبَ
 إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَْعْدَمَكَ مِنْ مَعْرُوفِكَ عِنْدَنَا أَمْرَانِ: أَجْرٌ مِنْ
 اللَّهِ وَشُكْرٌ مِنَّا. وَخَيْرُ مَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ مَا جَمَعَ الْأَجْرَ وَالشُّكْرَ. وَالسَّلَامُ.

وَكُتِبَ بَعْضُ الْكِتَابِ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ: وَمَا أَتَأَمَّلُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ
 وَلَا يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ آثَارَ أَيَادِيكَ لَدَيَّ، وَمَوَاقِعَ مَعْرُوفِكَ عِنْدِي، إِلَّا نَبَّهْنِي التَّأَمُّلُ
 عَلَى مَا يُحْسِرُ^(٢) الشُّكْرَ وَيُثْقِلُ الظَّهْرَ، لِأَنَّكَ أَنْعَشْتَ مِنْ عَثْرَةٍ، وَأَنْهَضْتَ مِنْ
 سَقَطَةٍ، وَتَلَفَيْتَ نِعْمَةً كَانَتْ عَلَى شَفَا زَوَالٍ وَدُرُوسٍ^(٣)، وَتَلَقَّيْتَ مَا أَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مِنَ الْكُلِّ بِوَجْهِ طَلِيقٍ وَبَاعَ رَجِيبٍ. وَالسَّلَامُ.

الترغيب في قضاء الحاجة واصطناع المعروف

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ الْمُحَبَّرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ
 الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي

(١) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ اللَّيْثِيِّ: شَاعِرٌ غَزَلَ مُقَدِّمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ
 وَالْمُحَدِّثِينَ. وَلَقَبَهُ «أَذْيَنَةُ».

(٢) يَحْسِرُ الشُّكْرُ: يَعْجِزُهُ.

(٣) دُرُوسُ النِّعْمَةِ: زَوَالُهَا.

طالب رضوان الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالسَّعْيَ مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُلُّفَ أَنْ يَسْعَى فِي حَاجَةٍ مَنْ لَا يُؤْجَرُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ تَرَكَ الْحَجَّ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ حَتَّى يَرَى رِءُوسَ الْمُحَلَّقِينَ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُيَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْفَعُوا^(١) إِلَيَّ وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ مَا شَاءَ».

بَلَغَنِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَازَنِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي السَّرِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمَعْتَمِرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ فَارْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسُ فَلَا يَقَعْ فِي يَدِكَ مِنْ حُطَامِهَا شَيْءٌ إِلَّا نَبَذَتْهُ إِلَيْهِمْ»^(٢).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَيْسَ أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ: قِيلَ لَابْنِ الْمُنْكَدَرِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ. وَقِيلَ: أَيُّ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُرَيْرُ الْعَطَارِدِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعَطَارِدِيُّ الْعَتَمَةَ ثُمَّ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، فَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: أَبَا

(١) اشفعوا إليّ: من الشفاعة، أي أن يتشفع الرسول صلى الله عليه وسلم لهم.

(٢) نبذ الشيء: رماه وتركه.

رجاءً، إِنَّ لطارق الليل حقاً، وإنَّ بني فلان خرجوا إلى سَفْوَان^(١) وتركوا كُتُبَهُمْ وشيئاً من متاعهم؛ فانتعل أبو رَجَاء وأخذ الكُتُبَ وأذاها وصلَّى بنا الفجرَ، وهو مسيرة ليلةٍ للإبل، والناسُ يقولون: إنها أربعة فراسخ.

حَدَّثَنِي أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حَدَّثَنَا أبْنُ الْمُبَارَكِ عن حميد عن الحسن قال: لَأَنْ أَقْضِيَ حَاجَةً لِأَخٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكَفَ سَنَةً.

قال ابنُ عائشة: كان عمرو بن معاوية العُقَيْلِيُّ يقول: اللهم بَلِّغْنِي عَثَرَاتِ الْكِرَامِ.

قال المأمونُ لمحمد بن عَبَّادِ الْمُهَلَّبِيِّ: أنت متلاف؛ فقال: يا أمير المؤمنين، مَنَعَ الموجودُ سُوءَ ظَنٍّ بِاللَّهِ، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢).

وكان ابنُ عَبَّاسٍ يقول: صاحبُ المعروفِ لَا يَقَعُ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَكَاً. هذا نحو قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «المعروفُ يَقي مَصَارِعَ السُّوءِ».

وكان ابنُ عَبَّاسٍ يقول أيضاً: ما رأيتُ رجلاً أَوْلَيْتُهُ معروفاً إِلَّا أضَاءَ ما بيني وبينه، ولا رأيتُ رجلاً أَوْلَيْتُهُ سوءاً إِلَّا أظلم ما بيني وبينه.

قال جعفر بن محمد: إِنَّ الْحَاجَةَ تَعْرِضُ لِلرَّجُلِ قَبْلِي فَأَبَادِرُ بِقَضَائِهَا مخافة أن يستغني عنها أو تأتِيَه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع.

[طويل]

وقال الشاعر:

وَبَادِرْ بِسُلْطَانٍ إِذَا كُنْتَ قَادِراً زَوَالِ اقْتِدَارٍ أَوْ غِنَى عَنْكَ يُعَقِّبُ^(٣)

(١) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب المرَبْد بالبصرة وبه ماء كثير السَّافِي (أي التراب).

(٢) سورة سبأ الآية ٣٩.

(٣) يعقب: أي تكون له عاقبة.

وقال آخر في مثله :

[مقارب]

بدا حين أترى بإخوانه ففكك عنهم شبة العدم^(١)
 وذكره الحزم غبّ الأمور فبادر قبل انتقال النعم^(٢)
 وقرأت في كتاب للهند: مَنْ صَنَعَ المعروف لعاجل الجزاء، فهو كُمْلِي
 الحبَّ لِيَصِيدَ به الطيرَ لَا لِيَنْفَعَهُ.

قال ابن عباس: ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسع لي
 في المجلس، ورجل اغبرت قدماءه في المشي إليّ إرادة التسليم عليّ؛ فأما
 الرابع فلا يكافئه عني إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ
 فبات ليلته يفكر بمن يُنزله، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي.

وقال سلم بن قتيبة: ربُّ المعروف أشدّ من ابتدائه^(٣).

ويقال: الابتداء بالمعروف نافلة، وربّه فريضة.

قيل لبزرجمهر: هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرزأ^(٤)
 شيئاً؟ قال: نعم، من أحببت له الخير وبذلت له الوُدّ، فقد أصاب نصيباً من
 معروفك.

قال جعفر بن محمد: ما توسّل إليّ أحدٌ بوسيلةٍ هي أقربُ به إليّ ما
 يُحبّ من يد سلفت مني إليه، أتبعْتُها أختها لأحسن ربّها وحفظها؛ لأنّ منع
 الأواخر يقطع شكر الأوائل.

(١) بدا: أي بدا، وفكك: أزال، والشّبه: طرف السيف وحده، والعدم: الفقر، والمقصود أنّه
 أزال عنهم لسعة الفقر.

(٢) غبّ الأمور: عاقبتها.

(٣) ربُّ المعروف: تميمته وتعهده.

(٤) يرزأ: يصاب.

قال رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسري؛ فقال خالد: إني لأبغض هذا الرجل وما له إليّ ذنب، فقال رجل من القوم: أوله أيها الأمير معروفاً ففعل، فما لبث أن خفّ على قلبه وصار أحد جلسائه.

قال ابن عباس: لا يَتَمَّ المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجله هنأه، وإذا صغره عظمه وإذا ستره تممه.

وقال الخريمي في نحو هذا: [رمل]
 زاد معروفك عندي عِظْماً أَنَّهُ عِنْدَكَ مُحَقَّورٌ صَغِيرُ
 تَنَاسَاهُ كَأَن لَّمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

وقال الطائي: [كامل]
 جودٌ مشيت به الضراء تواضعاً وَعَظُمَتْ عَنْ ذِكْرَاهُ وَهُوَ عَظِيمُ^(١)
 أخفيته فخفيته وطويته فنشرتُه والشخصُ منه عميمُ^(٢)
 وكان يقال: سترَ رجلٌ ما أُولَى، ونشَرَ رجلٌ ما أُولَى.

وقال رجل لبنيه: إذا اتخذتم عند رجل يدأ فانسوها. وقالوا: المنة تهدم الصنعة. قال الشاعر: [بسيط]

أفسدت بالمن ما أسديت من حسنٍ ليس الكريم إذا أسدى بمنانٍ
 قال رجل لابن شبرمة^(٣): فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا؛ فقال: لا خير في المعروف إذا أحصِيَ.

وفي بعض الحديث: كلُّ معروفٍ صدقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله ونفسه وولده صدقةٌ وما وقى^(٤) المرءُ به عرضه فهو صدقةٌ وكلُّ نفقةٍ^(٥) أنفقها فعلى

(١) الضراء: ما وارك من شجر وغيره، وهو أيضاً: الاستخفاء فيما يواريك عن تكيده وتختله.

(٢) أخفيته: سترته، وخفيته: أظهرته، والعميم: الطويل التام. (٣) وقى: حفظ.

(٤) قال العزيزي في شرحه لهذا الحديث: إنه البنيان الذي لم يقصد به وجه الله تعالى.

الله خَلَقَهَا مِثْلَهَا إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ أَوْ بِنْيَانٍ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ «فَضْلُ جَاهِكُ تَعَوُّدُ بِهِ عَلَى أَخِيكَ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ وَلِسَانُكَ تُعَبِّرُ بِهِ عَنْ أَخِيكَ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ وَإِمَاطَتُكَ^(١) الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ.

وَكَانَ يُقَالُ: بِذَلِكَ الْجَاءِ زَكَاةُ الشَّرَفِ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

[طويل]

وَلَيْسَ قَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لَشُرْبِ غُبُوقٍ^(٢)
وَلَكِنْ قَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يُزْهَدُنْكَ فِي الْمَعْرُوفِ كَفْرٌ مِنْ كَفَرِهِ، فَإِنَّهُ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مِنْ لَمْ تَصْطَبِعْهُ إِلَيْهِ.

وَقَالَ حَمَادٌ عَجْرَدٌ:

[بسيط]

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِيَ عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ^(٣)
إِذَا تَكْرَمْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
وَلِيَلْبَخِيلَ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودُ
أَوْ رِقٌ بِخَيْرِ تَرْجِي لِسَنَوَالٍ فَمَا تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ^(٤)
بَثَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ^(٥)
وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَنْ حَقَرَ حَرَمَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: قَالَ سَلَمُ بْنُ قَتِيْبَةَ^(٦): أَحَدُهُمْ يَحْقِرُ

(١) أَمَاطَتُكَ الْأَذَى: إِزَالَتُهُ وَرَفَعُهُ.

(٢) الصَّبُوحُ وَالْغُبُوقُ: شَرْبُ الْخَمْرِ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَالْغُدُوَّةُ وَالرَّوَّاحُ: الصَّبَاحُ وَالْمَسَاءُ.

(٣) الْمَجْهُودُ: الْمَقْلُ.

(٤) أَوْ رِقٌ بِالْخَيْرِ: أَظْهَرَهُ.

(٥) بَثَّ النَّوَالِ: أَيِ تَكْرَمَ بِالْعَطَاءِ.

(٦) هُوَ سَلَمُ بْنُ قَتِيْبَةَ: بَنُ مَسْلَمٍ الْبَاهِلِيُّ الْخُرَاسَانِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ وَلِيَهَا لِيَزِيدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ أَيَّامَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ. فَكَانَ مِنَ الْمَوْثُوقِ بِهِمْ فِي الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ.

الشيء فيأتي ما هو شر منه، يعني المنع.

وقال الشاعر:

[بسيط]

وما أبالي إذا ضيفُ تضيّفني ما كان عندي إذا أعطيتُ مجهودي
جُهدُ المِقلِّ إذا أعطاك مُضطِيراً ومُكثِرُ من غنى سِيّانٍ في الجودِ

وفي الحديث المرفوع «أفضلُ الصّدقةِ جُهدُ المِقلِّ».

وقال البرقي الهذلي^(١):

[مقارب]

أبو مالِكٍ قاصرٌ فقره على نفسه ومُشيّعُ غناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف، فإنّ فاعل المعروف لا يَعدَمُ جَوازِيه^(٢)، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَويَ الله على جَوازِيه، والبيت المشهور في هذا قول الحطيثة:

[بسيط]

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعدَمُ جَوازِيه لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٣)
ويقال: إنه في بعض كتب الله عز وجل.

قال: وَهَبْ بَن مُنْبَه: إن أحسنَ الناسَ عيشاً من حَسَنَ عيشِ الناسِ في عَيْشِهِ، وإنّ مِنْ أَلَذِّ اللَّذَّةِ الْإِفْضَالَ عَلَى الْإِخْوَانِ. وفي الحديث المرفوع «إنّما لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَنْفَيْتَ أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ^(٤)» وما سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ مِلْكُ الْوَارِثِ».

وقال بشار:

[رمل]

أَنْفَقِ الْمَالَ وَلَا تَشَقِّ بِهِ خَيْرُ دِينَارَيْكَ دِينَارٌ نَفَقَ^(٥)

(١) البرقي الهذلي: هو عياض بن خويلد الهذلي، والبرقي لقبه حجازي مخضرم، له مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث «راجع معجم الشعراء ص ٢٦٨».

(٢) جَوازِيه: جزاء وثوابه. (٣) العرف: المعروف.

(٤) أمضيت العطاء: أي أوصلته إلى أصحابه.

(٥) نفق: فني وذهب، ونفقت الماشية: ماتت.

قال بُزْرَجُمُهر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفق فإنها لا تَبْقَى. أخذه بعض المُحدثين فقال:

فأنفق إذا أنفقت إن كنت مُوسِراً وأنفق على ما خيلت حين تُعسر^(١)
فلا الجود يُفني المال والجُدُّ مَقْبِلٌ ولا البخلُ يُبقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ
وفي كتاب كليله: لا يُعدَّ عائِشاً من لا يُشارك في غناه.

مرَّ الحسنُ برجلٍ يَلْبُ درهماً؛ فقال له: أَتَحِبُّ دِرْهَمَكَ هذا؟ قال:
نعم، قال: أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك.

قال الربيعُ بن خَئِمٍّ لأخيه له: كن وصيّ نفسك ولا تجعل أوصياءك
الرجال.

وقال بعضُ الشعراء:

سأُحِسُّ مالي على حاجتي وأؤثر نفسي على الوارثِ
أعاذِلُ عاجِلُ ما أشتَهي أَحَبُّ مِن المُبْطِئِ الرَّائِثِ^(٢)

قال عبيد الله بن عكراشٍ: زَمَنْ خَوْون^(٣)، ووارثُ شَفُون^(٤)؛ فلا تَأْمِنِ
الخَوْونَ وكن وارثَ الشَّفُونِ.

وقال أبو ذَرٍّ: لك في مالِكَ شريكان إذا جاء أخذاً ولم يؤامراك:
الحَدَثَانِ^(٥) والقَدَرُ، كلاهما يمرُّ على الغثِّ والسمينِ، والورثةُ ينتظرون متى

(١) خيلت: أي شبّهت ولوّنت، ومعناه على أي حال.

(٢) الرّائث: المتهمل ومنه التريث في الأمر.

(٣) الخَوْون: الذي لا أمانة له.

(٤) الشَّفُون: الذي ينظر إليك كالكاره أو المبغض.

(٥) الحدّثان: الليل والنهار.

تموت فيأخذون ما تحتَ يديك وأنتَ لم تقدم لنفسك؛ فإن استطعتَ ألا تكونَ
أخسَّ الثلاثة نصيباً فأفعل.

وقال سعيد بن العاص في خطبة له: من رزقه الله رزقاً حسناً فليكن
أسعدَ الناس به فإنه إنما يترك لأحد رجلين: إمّا مصلح فلا يقلّ عليه شيء،
وإمّا مُفسِد فلا يَبْقَى له شيء. فقال معاوية: جمع أبو عثمان طرفي الكلام.

وقال حُطّائط بن يَعْفَر:

دَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبّاً وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبّاً تَحْمَدِي غِبَّهُ غداً^(١)
أُرِينِي جِوَاداً مَاتَ هَزْلاً لَعَلَّتِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مَخْلُداً
وَقُلْتَ وَلَمْ أَغَيِ الْجَوَابَ تَبَيَّنِي أَكَانَ الْهُزَالُ حَتَفَ زَيْدٍ وَأَرَبِداً^(٢)

قال أعرابي: الدراهم ميسمٌ تسمُ حمداً أو ذمّاً؛ فمن حبسها كان لها،
ومن أنفقها كانت له، وما كلٌّ من أُعْطِيَ مَالاً أُعْطِيَ حمداً، ولا كلٌّ عديم
ذميم.

وقال بعضُ المُحدثين:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

حدّثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال: حدّثنا النعمان بن هلال
عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «تَنَزَّلُ
المُعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ».

قال معاوية لورّدان مولي عمرو بن العاص: ما بَقِيَ من الدنيا تَلَدَهُ؟
قال: العريض الطويل؛ قال: وما هو؟ قال: الحديث الحسن أو ألقى أخاً قد

(١) رَبّاً: أي مالِكاً، والغَبّ: العاقبة.

(٢) أَرَبِد: ليسم علم، والألف للإطلاق، وهو ممنوع من الصّرف، والأَرَبِد: المتجهّم.

نكبه الدهر فأجبره^(١)؛ قال: نحن أحقّ بهما منك؛ قال: إن أحقّ بهما منك من سَبَقك إليهما.

وقال أعرابي:

[طويل]

وما هذه الأيام إلا مُعَارَةٌ فما استطعت من معروفها فتزوّد^(٢)
فإنك لا تدري بآية بلدةٍ تموت ولا ما يحدث الله في غدٍ
يقولون لا تَبْعُدْ، ومن يك بُعْدُهُ ذراعين من قُرب الأَجبة يَبْعُدِ

وقال آخر:

[سريع]

إن كنت لا تَبْذُلْ أو تَسْأَلْ أفسدت ما تُعْطِي بما تفعلُ
قال بعضهم: مضى لنا سَلَفُ أهلِ تواصلٍ، اعتقدوا مِنناً، واتَّخذوا
أيادي ذخيرَةً لمن بعدهم: كانوا يرون اصطناعَ المعروف عليهم فرضاً، وإظهارَ
البرِّ حقاً واجباً، ثم حال الزمان بنَشْءٍ اتخذوا مِنّهم صناعةً، وبرّهم مرابحةً،
وأياديهم تجارةً واصطناعَ المعروف مقارضةً كنقد السُّوق خذ مني وهاتِ.

قال العُتبيّ: وقع ميراثُ بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان،
فتشاحوا^(٣) فيه، فلما أنصرفوا أقبل عمرو بن عُتبة على ولده، فقال لهم: إن
لقريشَ دَرَجاً تَزَلُّقُ^(٤) عنها أقدامُ الرجال، وأفعالاً تخشع لها رقابُ الأموال،
وألُسناً تَكَلُّ معها الشُّفار^(٥) المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة؛

(١) أجبره: أقوىّه وأعينه، وجبر العظم: قواه.

(٢) المعارة: الامانة.

(٣) تشاحوا فيه: تنازعوا وأرادوه كلُّ فريق لنفسه ضناً به.

(٤) تزلقا: تزل وتسقط.

(٥) تكلل: تضعف وتوهي، والشُّفار: السيوف.

ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزينت إلا بهم. ثم إن ناساً منهم تخلّقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم وخرق^(١) في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها، إن خافوا مكروهاً تعجلوا له الفقر، وإن عجلت لهم نعمة آخروا عليها الشكر، أولئك أنضاء^(٢) فكير الفقر وعجزة حمة الشكر.

قال بعض الحجازيين: [مقارب]

فلو كنت تطلب شأو الكرام فعلت كفعل أبي البختري^(٣)
تتبع إخوانه في البلاد فأغنى المقل عن الكثير

القناعة والاستعفاف

حدثني شيخ لنا عن وكيع عن ابن أبي ذئب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ثوبان^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ يَتَقَبَّلْ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ ثوبان: أنا يا رسول الله، قال: لا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئاً فَكَانَ ثوبان إذا سقط سوطه من يده نزل فأخذه ولم يسأل أحداً أن يُناوله إياه.

وحدثني أيضاً عن عبد الرحمن المحاربى عن الأعمش عن مجاهد قال: قال عمر رضي الله عنه: ليس من عبد إلا وبينه وبين رزقه حجاب، فإن أقتصد أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يُزد في رزقه.

(١) الخرق: ضد الرفق، وهو الجهل والطيش.

(٢) أنضاء فكر الفقر: أي الذين أهزلهم التفكير في الفقر فمالوا إلى الحرص والبخل،

(٣) الشأو: الغاية والأمد، وهنا بمعنى فعل وأبو البختري: هو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله ابن ربيعة من بني المطلب بن أسد بن عبد العزى من قريش، كان جواداً كثير العطايا تقصده الشعراء.

(٤) هو ثوبان بن يجمع أبو عبد الله. مولى رسول الله ﷺ أصله من أهل السراة اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه فلم يزل يخدمه إلى أن مات.

وحدَّثني أيضاً عن وكيع عن سفيان عن أسامة بن زيد عن أبي مَعْنٍ الإسكندراني قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّافِيَ الرَّزَالَ^(١)» الذي لا تَثْبُت عليه أقدامُ العلماء الطمَّع». وقال عليه السلام: «إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي^(٢) أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا^(٣) فِي الطَّلَبِ».

[بسيط]

قال ابن حازم:

لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ. مَا لَهُمَا إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ أَحْرَاسُ
مَا لِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحْتُ أَمْلِكُهُ وَمَا لِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ
أَخِذْ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَازِمِ الْمَدَنِيِّ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ: مَا مَا لَكَ؟
قَالَ: الرِّضَا عَنْ اللَّهِ، وَالْغِنَى عَنِ النَّاسِ.

[طويل]

وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بَشْرٍ^(٤):

وَإِنِّي لَعَفْتُ عَنْ فَكَاهَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمُشْنُوءٌ إِلَيَّ آغْتِيَابُهَا^(٥)
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا رَّءُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كَلَابُهَا^(٦)
وَلَمْ أَكُ طَلَّابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا وَلَا عَالِمًا مِنْ أَيِّ حَوْكِ ثِيَابُهَا
وَإِنْ قَرَّابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ وَيَكْفِيكَ سَوَاءَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
إِذَا سُدَّ بَابُ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ فَذَرُهَا لِأُخْرَى لَيْنَ لَكَ بِأُهَا

[مخلع البسيط]

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ:

- (١) الصَّافِيَ الرَّزَالَ: أي الأملس من الحجارة.
- (٢) رُوعِي: أي في خَلْدِي وبالي: والرُّوع: القلبُ العقل.
- (٣) أجملوا في الطلب: أي تصبَّروا ولا تفرطوا.
- (٤) بشار بن بشر: كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعراً بهذا الاسم، وقد نسب البيت الأخير في حماسة البختری ص ٣٤٢ ط أوروبا لزياد بن منقذ التميمي.
- (٥) المشْنُوء: من الشَّنَان: أي البغض.
- (٦) الرَّءُور: الذي يكثر الزَّيَارَة.

أَوْجِعُ مِنْ وَخْزَةِ السِّنَانِ لَذِي الْحِجَا وَخِزَةِ اللِّسَانِ^(١)
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنُهُ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ
وإن نَبَا مَنْزِلُ بَحْرٍ فَمَنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ^(٢)
لَا يَثْبُتُ الْحَرْفُ فِي مَكَانٍ يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى الْهَوَانِ
الْحَرُّ حَرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَثْمَانَ الْحَنْفِيِّ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ
قَالَ حَدَّثَنِي الْمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ الْقُرْدُوسِيُّ : أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسِ الْعَنْبَرِيِّ كَانَ
يَقُولُ : أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذَا قَرَأْتَهُنَّ مَسَاءً لَمْ أَبَالِ عَلَى مَا أُمِسِّي ، وَإِذَا
تَلَوْتَهُنَّ صَبَاحًا لَمْ أَبَالِ عَلَى مَا أَصْبِحُ : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(٣) . ﴿ وَإِنْ يُرْذَكْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٤) . ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾^(٥) . ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^(٦) .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ بَشْرِ بْنِ مُصْلِحٍ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ^(٧) : لَا
تَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ مُنْعَمًا عَلَيْكَ ، وَعُدَّ النِّعَمُ مِنْهُ عَلَيْكَ مَغْرَمًا^(٨) .

حَدَّثَنِي الرَّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَبْرَعُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ بَيْتُ أَبِي

(١) السَّنَانُ : الرَّمْحُ ، وَالْحِجَا : الْعَقْلُ وَالنُّهْيُ .

(٢) نَبَا : تَجَافَى عَنْهُ وَتَنَاعَدَ .

(٣) سُورَةُ فَاطِرِ الْآيَةِ ٢ .

(٤) سُورَةُ يُونُسَ الْآيَةِ ١٠٧ .

(٥) سُورَةُ هُودِ الْآيَةِ ٦ .

(٦) سُورَةُ الطَّلَاقِ الْآيَةِ ٧ .

(٧) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ : بَنُ مَنْصُورِ التَّمِيمِيِّ الْبَلْخِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ ، زَاهِدٌ مَشْهُورٌ ، كَانَ مِنَ
الْأَغْنِيَاءِ ، لَكِنَّهُ تَزَاهَدَ .

(٨) الْمَغْرَمُ : الدِّينُ وَالذِّيَّةُ .

ذُوَيْبُ الْهَذَلِيِّ^(١):

[كامل]

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار عن الحجاج بن الأسود قال: احتاجت عجوزٌ من العُجُزِ الْقُدَمِ، قال: فجزعتُ إلى المسألة، ولو صبرتُ لكان خيراً لها. ولقد بلغني أن الإنسانَ يسألُ فيمنعُ، ويسألُ فيمنعُ، والصبرُ مُتَبَدِّلٌ ناحيةً يقول: لو صبرتُ إليَّ لَكَفَيْتُكَ.

وكان يقال: أنت أخو العزِّ ما ألْتَحَفْتَ القناعةَ، ويقال: اليأسُ حرٌّ والرَّجاءُ عبدٌ.

وقال بعضُ المفسِّرين في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَنَحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٢) قال: بالقناعة.

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغْنِيكَ مالٌ.

[بسيط]

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ^(٣):

لَقَدْ عَلِمْتُ - وَمَا الْإِسْرَافُ فِي طَمَعٍ - أَنَّنِي الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِيَنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِيَنِي^(٤)

[رجز]

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ:

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ

(١) أبو ذؤيب الهذلي: هو خويلد بن خالد جاهلي إسلامي، وكان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات هناك راجع الشعر والشعراء ص ٤٣٥.

(٢) سورة النحل الآية ٩٧.

(٣) هو عروة بن أذينة الليثي تقدّمت ترجمته ص ١٧٣ نفس الجزء.

(٤) يغني: من العناء وهو التعب والشقاء.

وقال بعضهم: الغنى والفقْرُ يجولان في طلب القناعة فإذا وجداها قَطَّنَاها^(١).

حَبَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهَا، فَقِيلَ لَهَا: أَيْنَ زَاذُكَ؟ قُلْتُ: مَا مَعِيَ إِلَّا مَا فِي ضَرْعِهَا. وقال الشاعر:

يَا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قَنَاعَتُهُ سَبَبَ الْمَطَامِعِ مِنْ غَدٍ وَغَدٍ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُتَّهِمًا لَمْ يُمَسِّ مُتَحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ

وقال أَرْدَشِيرُ: خَيْرُ الشَّيْمِ الْقَنَاعَةُ، وَنَمَاءُ الْعَقْلِ بِالْتَعَلُّمِ.

وقال النَّمْرُ بْنُ تَوَلِّبٍ:

وَمَتَى تُصْبِكَ خَصَاصَةً فَارِجُ الْغِنَى وَإِلَى الَّذِي يَهْبُ الرِّغَائِبُ فَارْعَبِ
لَا تَغْضَبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ وَعَلَى كَرَائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فَاغْضَبِ^(٢)

وقال أَبُو الْأَسْوَدِ:

وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالِ جَارٍ لِقُرْبِهِ فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بِعَيْدٍ

وقال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ^(٣):

قَدْ يَعُوزُ الْحَازِمُ الْمَحْمُودُ نَيْتَهُ بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَاجِزُ الْحَمِيقُ
فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ فَضْلِهِ نَثِيقُ

وَشَكَارَ رَجُلٍ إِلَى قَوْمٍ ضَيْقًا فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: شَكُوتَ مَنْ يَرَحْمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرَحْمُكَ.

(١) قَطَّنَاها: سَكَّنَاها.

(٢) صَلَبَ الْمَالِ: أَسَاسَهُ وَنَتَاجَهُ.

(٣) هُوَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سَلَمَى، شَاعِرُ فَحْلٍ مَخْضَرَمٍ، هَجَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ، ثُمَّ مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ وَهُوَ مُتَخَفٌّ فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ مَدَحِهِ أَصْفَرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَكَسَاهُ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَرْدَتَهُ رَاجِعَ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءَ ص ٨٠.

وقال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة: سلني حاجتك، قال: أكره أن أسأل في بيت الله غير الله. ورأى رجلاً يسأل في الموقف فقال: أفي مثل هذا الموضع تسأل غير الله عز وجل!.

وقال ابن المعتدل^(١): [طويل]

تُكَلِّفْنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتَكْرُمَا
تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَا^(٢)

وقال ابن عباس: المساكين لا يعودون مريضاً ولا يشهدون جنازةً، وإذا سأل الناس الله سألوا الناس.

وَكَانَ الْحَسَنُ يَطْرُدُ السُّؤَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَا يَرَى لَهُمْ جُمُعَةً.

وقال بعض الشعراء: [بسيط]

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ وَقَلَّ مَا تَجِدُ الرَّاغِبِينَ بِالْقِسَمِ^(٣)

وقال محمود الوراق: [كامل]

شَادَ الْمُلُوكُ قَصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا عَنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
غَالُوا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِعِزِّهَا وَتَنَوَّقُوا فِي قُبَحِ وَجْهِ الْحَاجِبِ^(٤)
وَإِذَا تَلَطَّفَ لِلدَّخُولِ إِلَيْهِمْ رَاجٍ تَلَقَّوهُ بِوَعْدِ كَاذِبٍ
فَارْعَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تُكُنْ يَا ذَا الضَّرَاعَةِ طَالِباً مِنْ طَالِبٍ

(١) ابن المعتدل: هو عبد الصمد بن المعتدل بن غيلان بن الحكم العبدي من بني عبد القيس، من شعراء الدولة العباسية ولد في البصرة، وكان هجاءً سكيراً.

(٢) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المرزوي قاضٍ رفيع القدر عالي الشهرة.

(٣) القيسم: الأرزاق، أو ما يقسم للإنسان من رزق.

(٤) تنوَّقوا: أي تأنَّقوا، يقال: تنوَّق في مطعمه وملبسه، إذا تجوَّد وبالغ.

وَجَدَ عَلَى مِيلٍ^(١) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ : [هزج]
 أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِيكََا
 إِلَى كَمْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكََا^(٢)
 قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لابن أخيه : إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَيَّ حَاجَةٌ فَاصْتُبْ بِهَا
 رُقْعَةً فَإِنِّي أَضِنُّ بِوَجْهِكَ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ .

وقال أبو الأسود :

وإِنْ أَحَقَّ النَّاسُ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْوَجْهَ وَافِرُ^(٣)
 وَكَانَ مَعَاوِيَةُ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : [مجزوء الكامل المرفل]
 وَفَتَى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِي
 أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَاكَ مَكْرُوءَ السُّؤَالِ

وقال آخر :

أَبَا مَالِكٍ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْتَمِسْ بِكَفِّكَ سَبَبَ اللَّهِ فَاللَّهُ أَوْسَعُ^(٤) [طويل]
 فَلَوْ تَسْأَلِ النَّاسَ التَّرَابَ لِأَوْشَكُوا إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمِيلُوا فَيَمْنَعُوا
 وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا قَوْلُ عَبِيد^(٥) : [مخلع البسيط]

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
 قَالَ سُلَيْمَانُ لِأَبِي حَازِمٍ : سَلْ حَوَائِجَكَ ؛ فَقَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ لَا

(١) الميل : منارٌ يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها ، أي أعاليها .

(٢) نسب هذان البيتان في الأغاني «ج ٣ ص ١٦٧ ط بولاق» لأبي العتاهية .

(٣) الوافر : المصون .

(٤) السيب : العطاء .

(٥) هو عبيد بن الأبرص بن عوفي الأسدي شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين شهد مقتل جحر ابي امرئ القيس . قتله النعمان يوم بؤسه .

تُخَذَلُ الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسرين في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١) أي المخلوق يُرزقُ فإذا سَخِطَ قطعَ رزقه ، والله عزَّ وجلَّ يَسْخِطُ ولا يقطع .

وقال الشاعر :

[بسيط]

لا تَضْرَعَنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإنَّ ذلكَ وَهْنٌ منك بالدين^(٢)
واسترزق الله رزقاً من خزائنه فإنَّما هو بين الكاف والنون^(٣)

وقال الخليل بن أحمد^(٤) :

[بسيط]

أبلغُ سليمانَ أني عنه في سعةٍ وفي غنى غيرَ أني لستَ ذا مالٍ^(٥)
شحاً بنفسِي ، إنني لا أرى أحداً يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالٍ^(٦)
فالرزقُ عن قَدَرٍ لا الضَّعْفُ يَمْنَعُهُ ولا يَزِيدُكَ فيه حولٌ محتالٍ^(٧)

وقال المَعْلُوطُ :

[طويل]

متى ما يَرِ الناسُ الغنيَّ وجارهُ فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجليدٌ^(٨)
وليس الغنيُّ والفقيرُ من حيلةِ الفتى ولكن حُظوظٌ قَسَمَتْ وجُدودٌ^(٩)

وقال آخر :

[طويل]

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٢ .

(٢) تضرع عن : أي تذلل نفسك ، والوهن : الضعيف .

(٣) بين الكاف والنون : أي أن الرزق بأمر الله يقول له «كن» فيكون .

(٤) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي . أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والأدب . وواضع علم العروض . وهو أستاذ سيويه النحوي .

(٥) سليمان : هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، وكان والي فارس والأهواز .

(٦) الهزل : الضعف ، ولا يبقى على حال : أي لا بد أن يتغير من حال إلى حال .

(٧) الحول : القوة والمحتال : الطالب .

(٨) الجليد : الصبور .

(٩) الجدود : الحظوظ .

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ

وقال أبو الأسود^(١):

[منسرح]

لَيْتَكَ أَذْنَتَنِي بِوَاحِدَةٍ تَجْعَلُهَا مِنْكَ سَائِرَ الْأَبَدِ
تَحْلِفُ إِلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدٍ^(٢)
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حِرْفَةُ يَقَالُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ مَسْأَلَةِ
النَّاسِ.

وقال سعيد بن العاص: مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنَ الْعَيِّ^(٣) فِيهِمَا: عِنْدَ
مُخَاطَبَتِي جَاهِلًا، وَعِنْدَ مَسْأَلَتِي حَاجَةً لِنَفْسِي.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَاصِلٍ
قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى شَرِيحٍ يَسْتَقْرِضُ دِرَاهِمَ؛ فَقَالَ لَهُ شَرِيحٌ: حَاجَتُكَ عِنْدَنَا فَاتِ
مَنْزَلِكَ فَإِنَّهَا سِتَاتِيكَ، إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَلْحَقَكَ ذُلُّهَا.

حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ
أَنَّهُ أَوْصَى بَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ.

وقال بعضُ المحدثين:

[طويل]

عَوَدْتُ نَفْسِي الضُّيْقَ حَتَّى أَلْفُتُهُ وَأَخْرَجَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى وَقَدْ كُنْتُ أحياناً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِئًا لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي

(١) هو أبو الأسود الدؤلي قيل إن اسمه عمرو بن ظالم بن سفيان الكناني. وقيل هو ظالم بن عمرو
ابن سفيان ادرك الرسول ﷺ وهاجر إلى البصرة على عهد عمر. وهو لغوي معروف.

(٢) الرصد: الحرس أو الذي يرقب الشيء.

(٣) العي: الثقل في الكلام.

وقال آخر:

[مجزوء الرجز]

حَسْبِي بِعِلْمِي لَوْ نَفَعُ مَا أَلْذُلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ نَزَعَ عَنْ قُبْحِ مَا كَانَ صَنَعَ^(١)
مَا طَارَ شَيْءٌ فَأَرْتَفَعَ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ

الْحِرْصُ وَالْإِلْحَاحُ

لما قتل كسرى بُزُرْجَمَهَر وَجَدَ فِي مِنْطَقَتِهِ كِتَابًا: إِذَا كَانَ الْقَدْرُ حَقًّا
فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ، وَإِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ، وَإِذَا
كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمُوقٌ.

وقال بعض الشعراء:

[كامل]

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ
وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: لَا يُكْثِرُ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ الْحَوَائِجَ؛ فَإِنَّ الْعِجْلَ إِذَا
أَفْرَطَ فِي مَصْرَ أُمِّهِ نَطَحَتْهُ وَنَحَّتْهُ.

وقال عدي بن زيد:

[سريع]

قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حَظِّهِ وَالرَّزْقُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِصِ
وقال ابن المقفع: الْحِرْصُ مَحْرَمَةٌ، وَالْجِبْنُ مَقْتَلَةٌ، فَاَنْظُرْ فِيمَا رَأَيْتَ
وَسَمِعْتَ أَمَّنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدْبِرًا، وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ
إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخَوْ نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ

بالشَّره^(١) والحرص.

وقال الشاعر:

[بسيط]

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ عَلَى شَيْءٍ لِيُذْرِكَهُ وَعَلَّ إِدْرَاكَه يُذْنِي إِلَى عَطْبِهِ^(٢)

وقال آخر:

[مقارب]

وَرُبَّ مُلِحٍّ عَلَى بُغْيَةٍ وَفِيهَا مَنِيَّتُهُ لَوْ شَعَرَ^(٣)

والعربُ تقول في الرجل المُلِحِّ في الحوائج الذي لا تنقضي له حاجةٌ

إلا سأل أخرى:

[بسيط]

لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكاً سَاقاً

وأصلُ المثل في الجُرباء، إذا اشتدَّ عليه حرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم

تَوَقَّى في أغصانها، فلا يُرسل عُصْناً حَتَّى يَقْبِضَ على آخر.

وقال الشاعر:

[بسيط]

أَنْتَى أُتِيحَ لَهُ جِرْبَاءُ تَنْضَبَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكاً سَاقاً^(٤)

وفي كتاب كليله: لَا فَقْرَ وَلَا پِلَاءَ كَالْحَرِصِ وَالشَّره، وَلَا غِنَى كَالرَّضَا

وَالْقَنَاعَةِ، وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحَسَنِ الْخَلْقِ.

قال ابن المقفع: الحرصُ والحسدُ بُكْرَا الذنوب^(٥) وأصلُ المهالك؛ أَمَا

الحسدُ فَأَهْلَكَ إبليسَ، وَأَمَا الحرصُ فَأَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ.

(١) الشَّره: غلبة الحرص.

(٢) العطب: الهلاك.

(٣) البغية: الطلب.

(٤) التنضبة: واحدة التنضب، وهو شجرٌ عيدانه بيضٌ ضخمة، وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابسٌ مغبر.

(٥) بكرا الذنوب: أي أولها، والبكر: الولد الأول.

وفي كتاب كيلة: خمسة حُرْصاء، المال أحب إليهم من أنفسهم:
المُقَاتِلُ بالأجرة، وحفَّار القُنْيِ^(١) والأسراب، والتَّاجِرُ يَرْكَبُ البحر، والحاوي
يَلْسَعُ يَدَهُ الحَيَّةَ، والمُخَاطِرُ على شَرْبِ السَّمِ.

دخل مالك بن دينار على رجل محبوسٍ قد أخذ بمال عليه وقيدٌ، فقال
له: يا أبا يحيى، أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفع مالك رأسه فرأى
سَلَّةً، فقال: لمن هذه؟ قال: لي، قال: فأمر بها أن تُنْزَلَ، فأنزلت فوُضِعَتْ
بين يديه، فإذا دَجَاجٌ وأُخْبِصَةٌ^(٢)، فقال مالك: هذه وَضَعْتَ القيودَ في رجلك.
كان أشعب يقول: أنا أطمع وأُمِّي تَيْقَنُ^(٣) فقلَّ ما يفوتُنَا.

وقال النابغة^(٤):

والْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ يُعَقِّبُ رَاحَةً وَلرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذُبَاحًا^(٥)

وقال أبو عليّ الضَّرِيرُ:

فإنِّي قد بَلَوْتُكُمْ جَمِيعاً وأرخصتُ الثَّنَاءَ فَعِفَّتُمُوهُ
فما منكم على شكري حَرِيصٌ وَرُبَّتْ مَا غَلَا الشَّيْءُ الرَّخِيصُ
وَعِفَّتْ نَوَالِكُمُ وَرَغِبْتُ عَنْهُ وَشَرُّ الزَّادِ مَا عَافَ الْخَصِيسُ^(٦)

وقال أعرابي:

أَيُّهَا الدَّائِبُ الحَرِيصُ الْمُعْنَى لك رِزْقٌ وَسوفَ تَسْتَوْفِيهِ

(١) القُنْي: جمع قناة وهي الآبار والأخاديد التي تحفر في الأرض.

(٢) الأُخْبِصَةُ: جمع خبيص، والخبيص: ضربٌ من الحلواء.

(٣) تَيْقَنُ: تَرْقُبُ.

(٤) هو النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المعروف.

(٥) الدُّبَاحُ: القتل.

(٦) الخَصِيسُ: الفقير الذي به خصاصة.

قبح الله نائلاً ترتجيه من يدي من تريد أن تقتضيه
 إِنَّمَا الْجُودُ وَالسَّمَا حُ لِمَنْ يُعْطِيكَ عَفْوَاً وَمَاءً وَجْهَكَ فِيهِ^(١)
 لَا يَنَالُ الْحَرِيصُ شَيْئاً فَيَكْفِيهِ هـ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ
 فَسَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّاسَ سَ وَأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
 لَا تَرَى مُعْطِياً لِمَا مَنَعَ الدُّهُ وَلَا مَانِعاً لِمَا يُعْطِيهِ
 وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي :

آخر كتاب الحوائج ، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة
 رحمة الله عليه . وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد
 ابن علي الواعظ الجَزَرِيّ وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .
 والحمد لله ربّ العالمين ، وصلاته وسلامه على سيّدنا محمد النبي وآله
 أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام ، والله الموفق للصواب .
 وفيه كذلك - وهو من زيادات النسخ :-

[سريع]

في الاستعفاف :

عليك باليأس من الناسِ إِنْ غِنَى نَفْسِكَ فِي الْيَأْسِ
 كم صاحبٍ قد كان لي وامقاً إِذْ كَانَ فِي حَالَةِ إِفْلَاسٍ^(٢)
 أقول لو قد نال هذا الغنى صَيَّرَنِي مِنْهُ عَلَى الرَّأْسِ
 حتى إذا صارَ فيما اشتهى وَعَدَهُ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ
 قَطَعَ بِالصَّدِّ حَبَالَ الْبُصْفَا مَنِي وَلَمَّا يَرْضَ بِالْقَاسِي^(٣)

[مجزوء الرمل]

وقال آخرُ وقد أحسن^(٤) :

(١) ماء الوجه : كناية عن الحياء والكرامة .

(٢) الوامق : العاشق والمحب .

(٣) الصَّد : من الصدود ، وهو الجفاء والامتناع .

(٤) هو أبو العتاهية .

إِنَّ لِلْمَعْرُوفِ أَهْلًا وَقَلِيلٌ فاعِلُوهُ
 أَهْنًا الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تُبْتَذَلْ فِيهِ الْوَجُوهُ
 أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
 فَإِذَا احْتَجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فَوْهُ
 إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لَمْ مِنَ النَّاسِ ذَوُوهُ
 لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا سَائِلًا مَا وَصَلُوهُ

وكتب أبو العيناء^(١) إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان رُقعة يقول فيها: أنا - أعزك الله - وولدي وعيالي زرْع من زَرْعِكَ، إن سَقَيْتَهُ رَاعَ^(٢) وزكا، وإن جَفَوْتَهُ ذَبُلَ وَذَوَى. وقد مَسَّنِي منك جَفَاءً بعد بَرٍّ وإِغْفَالًا بعد تَعَهُدٍ، فَشَمْتُ عَدُوًّا، وَتَكَلَّمْتُ حَاسِدًا، وَلَعِبْتُ بِي ظَنُونٌ؛ وانتزاعُ العادةِ شديداً. ثم كتب في آخرها:

لَا تُهَنِّئِي بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِي فَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ
 وقال آخر:

مَا لِي مَعَاشٌ سِوَى ضِدِّ الْمَعَاشِ فَلَا أَعْدُو إِلَى عَمَلٍ إِلَّا بَلَاءٌ أَمَلِ
 وَلَيْسَ لِي شُغْلٌ يُجِدِّي عَلَيَّ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ وَمَا أَنْفَكُ مِنْ شُغْلِ
 كُلُّ أَمْرٍ رَائِحٌ غَادٍ إِلَى عَمَلٍ وَمَا أُرُوحُ وَلَا أَعْدُو إِلَى عَمَلِ
 وَلَسْتُ فِي النَّاسِ مَوْجُودًا كَبَعْضِهِمْ وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ النَّاسِ فِي الْمَثَلِ

وقال آخر:

الْمَبْرُءُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَحَدُوَّةٌ يَفْنَى وَتَبَقَّى مِنْهُ آثَارُهُ
 [سريع]

(١) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلاد اليمامي مولى بني هاشم وكان ضريباً ذا لسان وعارضة ورواية واسعة توفي بالبصرة.
 (٢) راع: نما واخضر.

يَطْوِيهِ مِنْ أَيَّامِهِ مَا طَوَى
وَأَحْسَنُ الْحَالَاتِ حَالُ امْرِئٍ
يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْرُهُ بَعْدَهُ
لَكِنَّهُ تُنْشَرُ أَسْرَارُهُ
تَطِيبُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَخْبَارُهُ
إِذَا خَلَّتْ مِنْ شَخْصِهِ دَارُهُ

[بسيط]

وَمَا ابْنُ آدَمَ إِلَّا ذَكَرُ صَالِحَةٍ
أَمَّا سَمِعَتْ بِدَهْرٍ بَادٍ أُمُّهُ
أَوْ ذَكَرُ سَيِّئَةٍ يَسْرِي بِهَا الْكَلِمُ
جَاءَتْ بِأَخْبَارِهَا مِنْ بَعْدِهَا أُمُّ

[مقارب]

فَذُقْتُ مِنَ الْعَيْشِ جَهْدَ الْبَلَاءِ^(١)
فَذَاكَ مِفَاتِيحُهُ فِي السَّمَاءِ^(٢)
يُشَمُّ وَيُدْعَى لَهُ بِالْبَقَاءِ^(٣)
أَتَذَكَّرُ شَيْئاً خَبِيئاً لِلدَّوَاءِ^(٤)
طَرَقْتُ أَنْسَاباً عَلَى غِرَّةٍ
فَأَمَّا الْقَدِيدُ وَأَشْبَاهُهُ
وَأَمَّا السَّوِيقُ فَفِي عَيْبَةٍ
وَمَنْ حَاوَلَ الْخَبْزَ قَالُوا لَهُ

(١) الغِرَّة: الغفلة.

(٢) القديد: اللحم المجفف في الشمس.

(٣) السَّوِيق: شراب معروف، والعينة: وعاء يحفظ فيه الشراب.

(٤) خبي: سيئ، من خبا.

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيُّ رحمة الله عليه: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أيُّ الطعام أحبُّ إليك؟ قال: الزُّبْدُ والكَمَأَةُ^(١)؛ فقال عمر: ما هما بأحبَّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبُّ الخِضْبَ للمسلمين.

قال الأصمعيّ: قال رجلٌ في مجلس الأحنف: ليس شيءٌ أبغضَ إليّ من التمر والزُّبْد: فقال الأحنف: رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له.

عن أبي عمرو بن العلاء قال: قال الحجاج لجلسائه: لِيَكْتُبْ كُلُّ رَجُلٍ في رُقْعَةٍ أَحَبَّ الطعامِ إليه ويجعلها تحت مُصَلَّاهُ؛ فإذا في الرَّقَاعِ كُلُّهَا الزُّبْدُ والتمرُ.

عن الأصمعيّ قال قال مَدَنِيّ: الكُبَادَاتُ^(٢) أربع: العصيدة^(٣) والهريسة والخِيسَةُ^(٤) والسَّمِيذَةُ^(٥).

(١) الكَمَأَةُ: اسم للواحد وللجمع: وهو نبات يقال له: شحم الأرض مستديرٌ كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق، لونه إلى الغبرة، يوجد في الربيع تحت الأرض.

(٢) الكُبَادَات: من الكبد، ويعني به الأطعمة السهلة.

(٣) العصيدة: طحين يَلْتُ بالسَّمْنِ ويطبخ. (٤) الحبسة: الإقْطُ يخلط بالتمر واللبن.

(٥) السَّمِيذَةُ: الحواري وهي لباب الدقيق.

عن الأصمعي عن حزم قال: قال مالك بن حنبل لحسان بن الفريرة: ما تزودت إلينا؟ قال: الحيس؛ قال: ثلاثة أسقية في وعاء.

قال الأصمعي: قال بعض الأعراب: أشتهي ثريدة^(١) ذكنا من الفلفل، رقطاء^(٢)، من الحمص، ذات حفافين^(٣) من اللحم، لها جناحان من العراق^(٤)، أضرب فيها ضرب ولي السوء في مال اليتيم.

وقال ابن الأعرابي: يقال: أطيب اللحم عوده، أي أطيبه ما ولي العظم، كأنه عاد به.

عن أبي عبيدة قال: مر الفرزدق ببحي بن الحصين بن المنذر الرقاشي، فقال له: هل لك يا أبا فراس في جدي سمين ونبيذ زبيب جيد؟ فقال الفرزدق: وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة^(٥)! يعني جريراً.

وقال الأخوص^(٦) لجرير: ما تحب أن يعدلك؟ قال: شواء وطلاء^(٧) وغناء؛ قال: قد أعدت لك.

وقال مدني لصديق له: والله أشتهي كشكية^(٨)، ومد بها صوته فخرجت

(١) الثريدة الذكنا، أي الكثيرة الأباذير، والأباذير: التوابل وهو ما يطيب به الطعام.

(٢) الرقطاء: السوداء تشوبها نقط بيضاء.

(٣) الحفافين: مثني حفاف وهو الجانِب.

(٤) العراق: العظام إذا أخذ عنها معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة تؤكل وتمشش العظام، ولحمها من أطيب اللحمان عندهم.

(٥) المراغة: اسم من أسماء الأنان.

(٦) هو الأخوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأصلح، وكان الأخوص يرمي «بالأبنة» وهي العيب والزنا، فنضاه عمر بن عبد العزيز من المدينة إلى قرية باليمن، راجع

الشعر والشعراء ص ٣٤٥.

(٧) الطلاء: الخمر، من الطلى.

(٨) الكشكية: من الكشك، وهو ضرب من الحساء مصنوع من القمح واللبن.

منه ريح؛ فقال له: ما أسرع ما لَفَحَتْكَ يابنَ عمّ.
وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيتُ فلاناً فأتاني
بمَرَقَةٍ كان فيها مُسَقًّى^(١)، فلم أر فيها إلا كِيداً طافيةً، فغمستُ يدي فوجدت
مُضَغَةً^(٢)، فمددتُها فلامتدتْ حتى كأنني أزمُرُ في نايٍ.
أدخل أعرابيٌّ على كسرى ليتعجب من جفائه وجهله؛ فقال له: أيُّ
شيءٍ أطيبُ لحماً؟ قال: الجمل. قال: فأَيُّ شيءٍ أبعدُ صوتاً؟ قال: الجمل.
قال: فأَيُّ شيءٍ أنهضُ بالجمل الثقيل؟ قال: الجمل. قال كسرى: كيف
يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطِّ والدَّجاج والفراخ والدَّرَاج^(٣) والجِداء؟ قال:
يُطَبِّخُ لحم الجمل بماءٍ ومِلْحٍ، ويُطَبِّخُ ما ذكرتَ بماءٍ ومِلْحٍ حتى يُعرفَ فَضْلُ
ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمل أبعدُ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من
الكَرَكِيِّ^(٤) من كذا وكذا ميلاً؟ قال الأعرابيُّ: ضَعِ الكَرَكِيَّ في مكانِ الجملِ
وضِعِ الجملِ في مكانِ الكَرَكِيِّ حتى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتاً. قال كسرى: كيف تزعمُ
أنَّ الجملَ أحملُ للجملِ الثقيلِ والفيلِ يحملُ كذا وكذا رطلاً؟ قال: لِيُبْرِكَ الفيلُ
وَيُبْرِكَ الجملُ وَلِيُحْمَلَ على الفيلِ حِمْلُ الجملِ، فإن نهض به فهو أحمل
للأثقال.

عن جعفر بن سليمان قال: شيئان لا يزيدهما كثرةُ النفقة طيباً: الطَّيْبُ
والقَدْرُ، ولكن تُطَيَّبُهُما إصابةُ القَدْرِ.
وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه^(٥) قال: كان أبو عبد

(١) المِسْقَى: من السَّقاء، وهو الحساء وغيره من الأطعمة السائلة.

(٢) المضغة: قطعة اللحم.

(٣) الدَّرَاج: طائر يشبه الحجل جميل المنظر ملون الريش.

(٤) الكركي: طائر يقرب من الإوز أتر الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود، قليل اللحم، صلب العظم، يأوي إلى الماء أحياناً.

(٥) قد أوردته الجاحظ هذه القصة في كتابه البخلاء (ص ١١٥ ط أوروبا).

الرحمن الثوري يُعَجَّبُ بالرهوس وَيَصِفُهَا وَيُسَمِّي الرأسَ عُرْساً لِمَا تَجَمَّعَ فِيهِ من الألوان الطيبة، وكان يسميه مرّةً الجامع ومرّةً الكامل، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطعومٍ مختلفةٍ، وكلّ قِدرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شيء واحد، والرأس فيه الدِّماغُ وطَعْمُهُ مُفْرَدٌ، والعينان وطعمهما مفرد وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومُؤَخَّرِ العين وطعمها على حدة، على أنه هذه الشحمة خاصّةً أطيب من المُنخ وأنعم من الزُّبد وأدسم من السَّلَاء^(١)، ثم يَعدُّ أسقاطه^(٢) كلها. ويقول: الرأسُ سيّد البدن، وفيه الدِّماغ وهو مَعْدِنُ العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذي فيه الحس، وبه قِوَامُ البدن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أنّ النفس هي المدركة والعين هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأذن بابان. ولولا أنّ العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفي الرأس الحواس الخمس. وكان يُنشد:

هُمُ ضَرَبُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغَوَدِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثَمَّ سَائِرِي^(٣)

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرهوس يوم السبت أكسَدُ، للفضلات التي تبقى في منازل التجار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدَائِهِ يوم الرأس، عَمَدَ إلى القَحْف^(٤) والى اللَّحْيَيْنِ^(٥) فوضعه قُرْبَ بيوت النمل والذرّ، فإذا اجتمعن عليه أخذهُ وَنَفَضَهُ فِي طَسْتٍ فِيهِ ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى

(١) السَّلَاء: السمن الخالص أو نحوه.

(٢) أسقاطه: أي أعضائه.

(٣) سائر الشيء: كله وتمامه.

(٤) القحف: اعظم الذي يغطى الدماغ.

(٥) اللحيين: عظما الحنك.

يُقْلِعُ النَّمْلُ وَالذَّرُّ مِنْ دَارِهِ، فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ أَلْقَاهُ مِنَ الْحَطَبِ فَاسْتَوَقَدَهُ فِي التَّنُّورِ.

الأصمعيّ قال: قال أبو صَوَّارَةَ أو ابن دُقَّة: الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْلِيّ بالسكر الطَّبْرُزْد^(١)، ليس من طعام أهل الدنيا.

قال: وقال أبو صَوَّارَةَ أو ابن دُقَّة: أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب، وليلة الهريسة، وليلة جُدَّة إلى مكة.

الأصمعيّ عن جعفر بن سليمان قال: قال أبو كامل موليّ عليّ رضي الله عنه: أَطْعِمُونِي حَفَنَةَ زُبْدٍ ثُمَّ اخْتَمُوا سِرَاوِيلِي ثَلَاثًا.

وقال رجل للشَّوَرِيِّ في الحديث: إن الله يُبَغِضُ الْبَيْتَ اللَّحْمَ؛ فقال: ليس هو الذي يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحوم الناس.

عن أبي الصَّدِّيق^(٢) النّاجي عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «خَيْرُ تَمَرَاتِكُمُ الْبُرْنِي^(٣)» يذهب بالداء ولا داء فيه.

وعن ابن عُمر عن عمر أنه قال: يا غلام أَنْضِجِ الْعَصِيدَةَ تَذْهَبْ حَرَارَةُ الزَّيْتِ.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ تَمَرٌ جِيَاعٌ أَهْلُهُ».

شيخٌ من أهل البادية قال: أضافنا فلان فأتانا بِحَنْطَةٍ كَأَنَّهَا مَنَاقِيرُ الْغُرْبَانِ، وتَمَرٌ كَأَنَّهُ أَعْنَاقُ الْوَزِّ يَوْحَلُ^(٤) فِيهِ الضَّرْسُ.

(١) الطَّبْرُزْد: السكر الأبيض الصّلب، فارسيّ.

(٢) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس، كما في تهذيب التهذيب والخلاصة.

(٣) البرنيّ: ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر.

(٤) يوحل فيه الضرس: أي يغرق لكثرة شحمه.

الأصمعيّ قال: قال أعرابي: تَمَرْنَا جُرْدٌ^(١) فُطُسٌ^(٢) يَغِيبُ فِيهِ الضَّرْسُ،
كَأَن نَوَاهِ السَّن الطَّيْرَ، تَضَعُ التَّمْرَةَ فِي فَيْكِ فَتَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي كَعْبَيْكَ.

الأصمعيّ عن أبيه قال: أَسَرَ رَجُلٌ رَجُلَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَخَيَّرَهُمَا بَيْنَ
بُعْثِيهِمَا، فَأَخْتَارَ أَحَدُهُمَا اللَّحْمَ وَأَخْتَارَ الْآخَرُ التَّمْرَ، فَعُشِّيَا وَأُلْقِيَا فِي الْفِنَاءِ
وَذَلِكَ فِي شِتَاءٍ شَدِيدٍ، فَأَصْبَحَ صَاحِبُ اللَّحْمِ خَامِداً وَأَصْبَحَ صَاحِبُ التَّمْرِ
تَزَرُّ^(٣) عَيْنَاهُ!

وقال غيرُ الأصمعيّ: قيل لأعرابي: مَا رَأَيْكَ فِي أَكْلِ الْجَرِّيِّ^(٤)؟ قال:
تَمْرَةٌ نِزْسيَانَةٌ^(٥) غَرَاءُ الطَّرَفِ صَفْرَاءُ السَّائِرِ عَلَيْهَا مِثْلُهَا زُبْدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا،
ثُمَّ أَدْرَكَ الْوَرَعُ فَقَالَ: وَمَا أَحْرَمُهُمَا.

وقال بعضُ الأعراب: [طويل]

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْزاً تَسْرَبَلُ رَائِباً وَخَيْلاً مِنَ الْبُرْنِيِّ فُرْسَانُهَا الزُّبْدُ^(٦)
قال: ورأى أعرابيٌ دقيقاً وتَمِراً فَأَشْتَرَى التَّمْرَ؛ قِيلَ لَهُ: كَيْفَ وَسَعَرُ
الدَّقِيقِ وَالتَّمْرِ وَاحِدًا! قال: إِنَّ فِي التَّمْرِ أَدَمَهُ^(٧) وَزِيَادَةَ حَلَاوَةٍ.

عن زياد النُمَيْرِيِّ قال: قالت عائشة: مَنْ أَكَلَ التَّمْرَ وَتَرَأَ^(٨) لَمْ يَضُرَّهُ.

(١) الجرد: الناعمة.

(٢) فطس: صغار الحب لاطنة الأقماع.

(٣) تَزَرَّ عَيْنَاهُ: تَوَقَّدَانِ.

(٤) الْجَرِّي: ضَرْبٌ مِنَ الشَّمَكِ.

(٥) التمر النرسيان: نوع من التمر الجيد.

(٦) تسربل: أي لبس، والرائب: اللين.

(٧) الأدمة: السَّوَادُ.

(٨) الوتر: الأفراد.

الأصمعي قال: حَدَّثَنِي شَيْخٌ عَالِمٌ قَالَ: أَطِيبُ التَّمْرِ صَيْحَانِيَّةٌ ^(١) مُصَلَّبَةٌ.
الأصمعي قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ آلِ حَزْمٍ قَالَ: كَانَ يَقَالُ: مَنْ خَلَا ^(٢)
عَلَى التَّمْرِ فَالْعَجْوَةُ، وَمَنْ أَكَلَهُ عَلَى ثِقَلٍ فَالصَّيْحَانِي.

الأصمعي قال: قَالَ أَعْرَابِي يُفْضَلُ الرُّطَبُ عَلَى الْعَسَلِ: أَتَجْعَلُ عَسَلَةً
فِي أَخْتَاءِ ^(٣) الْبَقَرِ كَعَسَلَةٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ لَهَا مَحَارِسُ مِنْ جَرِيدٍ ^(٤) وَذَوَائِبُ ^(٥) مِنْ
زُمُرْدٍ!

وقال الأصمعي: قِيلَ لَابْنِ الْقَدَّاحِ: التَّمَرُ أَطِيبُ؟ فَدَعَا بِأَنْوَاعِ التَّمْرِ،
فَلَمَّا أَكَلُوا قَالَ: انْظُرُوا أَيُّ النَّوَى أَكْثَرُ؟ قَالُوا: نَوَى الصَّيْحَانِي، قَالَ: هُوَ
أَطِيبُ.

وقال الأصمعي: الْعَرَبُ تَقُولُ لِلْبَخِيلِ الْأَكُولِ: أَبْرَمًا قَرُونًا أَيَّ لَا يُخْرِجُ
مَعَ أَصْحَابِهِ شَيْئًا وَيَأْكُلُ تَمْرَتَيْنِ تَمْرَتَيْنِ.

[طويل]

وقال النابغة يصف تمراً:

صغار النوى مكنوزة ليس قشرها إذا طار قشر التمر عنها بطائر
سمع الحسن رجلاً يعيب الفالوذج ^(٦) فقال: فُتَابُ الْبُرِّ بُلْعَابِ النَحْلِ

(١) الصَّيْحَانِي: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ أَسْوَدَ صَلْبِ الْمَضْغِ نَسَبَ إِلَى صَيْحَانٍ، وَهُوَ كَيْشٌ كَانَ يَرْبِطُ إِلَى
نَخْلَةٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَثْمَرَتْ تَمْرٌ فَنَسَبَ إِلَيْهِ.

(٢) خَلَا: اقْتَصَرَ.

(٣) أَخْتَاءُ الْبَقَرِ: رَوْثُهُ، وَالْخَثْوَةُ: أَسْفَلُ الْبَطْنِ إِذَا كَانَ مُسْتَرْخِيًا.

(٤) الْجَرِيدُ: الَّذِي يَجْرَدُ عَنْهُ الْخَوْصُ، الْوَاحِدَةُ جَرِيدَةٌ، وَلَا يُسَمَّى جَرِيدًا مَا دَامَ عَلَيْهِ الْخَوْصُ
وَأِنَّمَا يُسَمَّى سَعْفًا.

(٥) الذَّوَائِبُ: خَصَلُ الشَّعْرِ فِي مَقْدَمِ الرَّأْسِ.

(٦) أَبْرَمًا قَرُونًا: الْبَرَمُ: الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمِيسْرِ لِبَخْلِهِ. الْقُرُونُ: الَّذِي يَقْرُنُ بَيْنَ

الشَّيْئَيْنِ، وَيَضْرِبُ مَثَلًا لِمَنْ يَجْمَعُ خَصَلَتَيْنِ مَكْرُوهَتَيْنِ.

(٧) الْفَالُوذَجُ: حُلْوٌ يَسْوَى مِنْ لَبِّ الْحَنْطَةِ، فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ.

بخالِص السَّمْنِ! ما عاب هذا مسلمٌ. وقال لِفَرْقِدِ السَّبْخِيِّ: يا أبا يعقوبَ، بلغني أنك لا تأكلُ الفالودجَ؛ فقال: يا أبا سعيدٍ، أخافُ ألا أُؤدِّي شكرَهُ؛ فقال: يا لُكْعُ^(١)! وهل تُؤدِّي شكرَ الماءِ الباردِ^(٢) في الصيفِ والحارِّ في الشتاء! أما سمعتَ قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣).

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام، فحكّمَا بينهما شيخاً قد أكلَ طعامَ الخُلَفَاءِ، فقال: أمّا الروميّ فذهب بالحشَوِ والأحشاء، وأمّا الفارسيّ فذهب بالبارد والحلّواء.

وعن الأصمعيّ قال: كنا عند الرشيد فقَدِّمْتُ إليه فالودجةَ، فقال: يا أصمعيّ حَدِّثْنَا بحديث مُزَرَّدٍ، فقلت: إِنَّ مُزَرَّدًا أَخَا الشَّمَاخِ^(٤) كان غلاماً جَشِيعاً وكانت أُمُّهُ تُؤَثِّرُ عيالَهَا بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُهُ^(٥)، فخرجت أُمُّهُ ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزَرَّدُ الخيمةَ وعمَدَ إلى صاعِيّ دقيقٍ وصاعٍ من تمرٍ وصاعٍ من سمنٍ فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول: [طويل] ولَمَّا غَدَتْ أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِهَا أَغْرَتْ عَلَى الْعِكْمِ الَّذِي كَانَ يُمْنَعُ^(٦)

(١) اللُكْعُ: اللثيم.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ - ص ٣٨١).

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٢.

(٤) مُزَرَّدُ والشَّمَاخُ: هما: ابناضرار، يقال إنَّما سَمِّيَ، ضرار لقوله في زبدة.

فقلت تزردهما عبيد فبأنني لندرو الشيوخ في السنين مزرد وأمه وأمّ الشماخ من ولد الخرشب، وقيل: إن اسم الشماخ: معقل بن ضرار، وهو من أوصف الشعراء للقوس والحُمر الوحشية.

(٥) يحفظه: يغضبه ويثير حقه.

(٦) تميز: تطعم. والميز الطعام، والعِكم: النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

لَبَكْتُ بِصَاعِي حِنْطَةً صَاعَ عَجْوَةٍ إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَبَّعُ^(١)
 وَدَبَلْتُ أَمْثَالَ الْأَثَافِي كَأَنَّهَا رُءُوسُ نِقَادٍ قُطِّعَتْ يَوْمَ تُجْمَعُ^(٢)
 وَقُلْتُ لِبَطْنِي أَبْشِرِ الْيَوْمَ إِنَّهُ حِمَى أُمْنَا مِمَّا تَحُورُ وَتَرْفَعُ
 فَإِنْ كُنْتَ مَصْفُورًا فَهَذَا دَوَاؤُهُ وَإِنْ كُنْتَ غَرْتَانًا فَذَا يَوْمُ تَشْبَعُ^(٣)
 فَضَحَكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ، هَذَا يَوْمُ
 تَشْبَعُ (يَا أَصْمَعِي)^(٤).

قال: وكتب الحجاج إلى عامله بفارس: إِبْعَثْ إِلَيَّ عَسَلًا مِنْ عَسَلِ
 خُلَّارٍ^(٥)، مِنَ النَّحْلِ الْأَبْكَارِ، مِنَ الدُّسْتَقْشَارِ^(٦)، الَّذِي لَمْ تَمْسُهُ النَّارُ.
 وقال الأصمعي: كتب بعض الخلفاء إلى عامله بالطائف: أَنْ أَرْسِلَ إِلَيَّ
 بِعَسَلٍ أَخْضَرَ فِي سِقَاءٍ، أَيْضُ فِي الْإِنَاءِ، مِنْ عَسَلِ النَّدْعِ^(٧) وَالسَّحَاءِ^(٨)، مِنْ
 حِذَابِ بَنِي شِبَابَةَ^(٩).

والعربُ تصف العسلَ بالبرودة.

وفي حديث أنس عباس أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الشراب قال:

«الْحَلْوَاءُ الْبَارِدُ يَعْنِي الْعَسْلَ». وقال الأعشى:

[هزج]

كَلِمَا شَيْبَ بِمَاءٍ بَا رِدِّ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ^(١٠)

(١) لبكت: خلطت، والليكة: أقط ودقيق أو تمر ودقيق يصب عليه السمن، ويتربّع: يتمّع ها هنا
 وها هنا لا يستقرّ له وجه لكثرة.

(٢) دبّلت: جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكتلة، والأثافي: حجارة الموقد، والنقاد: صغار
 الغنم.

(٣) المصفورة: داء في البطن يصفر منه الوجه، والغرثان: الجائع.

(٤) زيادة عن العقد، والأصمعي: هو عبد الملك بن قريب. إمام اللغة والأخبار والغريب.

(٥) خلّاركرمان: موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد.

(٦) الدُستقشار: كلمة فارسية ومعناها ممّا عصرته الأيدي وعالجته.

(٧) الندع: الصعتر البرّي وهو ممّا ترعاه النحل، وعسله أطيب العسل.

(٨) السّحاء: نبت ترعاه النحل وعسله طيب.

(٩) حذاب بنو شبابة إجمال بالسّراة ينزلها بنو شبابة، قوم من فهم بن مالك.

(١٠) شيب: مزج.

ويقال: أجود العسل الذهبي الذي قَطَرَتْ منه قَطْرَةٌ على وجه الأرض
أَسْتَدَارَ كما يَسْتَدِيرُ الزُّبْقُ ولم يَنْفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب.
والروم تقول: أجوده ما يُلَطَّخُ على قَتِيلَةٍ ثم تُشَعَّلُ فيه النارُ فيَعْلَقُ.

وسُئِلَ ديمقراطيس العالمُ عما يَزِيدُ في العُمُر فقال: مَنْ أَدَامَ أَكْلَ
العسلِ ودَهَنَ جِسْمَهُ به زاد الله بذلك في عمره.

والعسلُ إن جُعِلَ فيه اللحمُ الطريُّ بقي كهيئَتِهِ حتى لا يَتَنَ . ويقال:
مَنْ كَانَ به داءٌ قديمٌ فليأخذْ درهمًا حلالًا وَلْيَشْتَرِ به عسلًا ثم يَشْرَبْ به ماءً سواءً فإنه يبرأ
بإذن الله تعالى. وكان الحسنُ يُعْجِبُهُ إذا آسَمَشَى^(١) الرجلُ أن يَشْرَبَ اللبنَ
والعسلَ.

ويزعم أصحابُ الطبائع أن العسلَ إذا دِيفَ^(٢) بالماءِ وخُلِطَ معه زيتٌ أو
دُهْنٌ سِمَسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمُومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتَقَيَّأُ به.

ميمونُ بن مهران عن ابن عباس قال - ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ - أنه
قال: «أَكْرِمُوا الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ».

الأصمعيُّ قال: كانت امرأةٌ من بكر بن وائل تَنْزِلُ الطَّفَاوَةَ^(٣) وكانت قد
أدركت بعض أصحابِ النبي ﷺ، وكان العَبَادُ يَغْشَوْنَهَا في منزلها؛ فعابَ
عائِبٌ عندها السَّوِيْقَ، فقالت: لا تَفْعَلْ! إنه طعامُ المسافرِ، وطعامُ
العَجَلَانِ^(٤)، وغِذاءُ المبكِّرِ، وبلَغَةُ المريضِ^(٥)، وَيَشْدُ فَوَادَ الْحَزِينِ، ويرُدُّ من

(١) استمشى: استطلق بطنه وأصابه الجربان.

(٢) ديف: خلط ومزج.

(٣) الطفاوة: حيٌّ من قيس عيلان، وموضع بالبصرة سُمِّيَ بالقبيلة التي نزلته.

(٤) طعام العجلان: أي طعام المسافر، وفي فقه اللغة للثعالبي: العجالة: طعام المسافر.

(٥) بلغة المريض: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش.

نَفْسِ الضَّعِيفِ؛ وَهُوَ جَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ وَنَقَاوَةِ الْبَلْغَمِ، وَمَسْمُونُهُ^(١) يُصَفِّي الدَّمَ، إِنْ شِئْتَ كَانَ ثَرِيداً، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ خَبِصاً، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ خُبْزاً.

وَكَانَ غَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ كَاتِبَ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ لِحَارِيَّتِهِ: خَوْضِي^(٢) لَنَا سَوِيقاً فَأَخْثِرِيهِ^(٣)، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَزْدَادَ مَاءً فَيَرْقُقَهُ، وَيَسْتَحِي أَنْ يَزْدَادَ سَوِيقاً فَيُخْثِرَهُ بِهِ.

مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بِعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ فِي مَرْزَعَتِهِ وَقَدْ عَطِشَ، فَاسْتَسْقَاهُ فَخَاضَ لَهُ سَوِيقٌ لَوْزٍ فَسَقَاهُ إِيَّاهُ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

شَرِبْتُ طَبْرُزْدًا^(٤) بِغَرِيضٍ مُزْنٍ وَلَكِنَّ الْمِلَاحَ بِكُمْ عَذَابٌ
وَمَا هُوَ بِالطَّبْرُزْدِ طَابَ لَكِنْ بِمَسِّكَ إِنَّهُ طَابَ الشَّرَابُ
وَأَنْتَ إِذَا وَطِئْتَ تَرَابَ أَرْضٍ يَطِيبُ إِذَا مَشَيْتَ بِهِ التَّرَابُ
لَإِنَّ نَدَاكَ يَنْفِي الْمَحَلَّ عَنْهَا وَتُحْيِيهَا أَيْادِيكَ الرُّطَابُ

وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا تَسْقُوا نِسَاءَكُمْ السَّوِيقَ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بَدَّ فَاعْلَيْنَ فَاحْفَظُوهُنَّ.

وَقَالَ الرَّقَاشِيُّ: السَّمْنَةُ لِلنِّسَاءِ غُلْمَةٌ^(٥) وَهِيَ لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ.

أَعْنِ ابْنَ عَمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ: اللَّبَنُ وَالسَّوَاكُ^(٦)».

(١) المسمون: ما مزج بالسمن ولته به.

(٢) خَوْضِي: اخلطي وحركي.

(٣) الخثورة: ضد الرقة، يقال أخثر الشيء أي أغلظه بعد رقة.

(٤) الطبرزد: فارسي معرب، وهو السكر الصلب، والغريض من اللحم والماء واللبن والتمر:

الجديد الطازج.

(٥) الغلطة: من الغلام.

(٦) السَّوَاكُ: عودٌ تخلل به الأسنان

والدُّهْنُ» .

الرَّيَاشِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا يَزِيدَ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَجُلًا كَأَنَّ أَسْنَانَهُ الذَّهَبُ
لَشْرِبِهِ اللَّبَنَ حَارًّا .

الْأَصْمَعِيُّ عَنْ ذِي الرُّمَّةِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا قَلَّتْ لِلرَّجُلِ : أَيُّ اللَّبَنِ أَطْيَبُ ؟
فَإِنْ قَالَ : قَارِصٌ ^(١) ، فَقُلْ : عَبْدٌ مَنْ أَنْتَ ^(٢) ؟ وَإِنْ قَالَ : الْحَلِيبُ ، فَقُلْ : ابْنُ مَنْ
أَنْتَ ؟ .

مَرَّ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ فِي بَادِيَةٍ ، فَقَالَ : هَلْ مِنْ لَبَنِ
يُبَاعُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّكَ لَتَيْمٌ أَوْ قَرِيبٌ عَهْدٍ بِقَوْمٍ لِيَأْمُ
وَكَانَ يَقَالُ : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمَدَنِيِّينَ : مَنْ تَصَبَّحَ ^(٣) بِسَبْعِ مَوَزَاتٍ وَبَقْدَحٍ مِنْ لَبَنِ إِبِلٍ
أَوْ أَرَاكَ ^(٤) تَجَشَّأَ ^(٥) بِخَوَرِ الْكَعْبَةِ .

وَقَفَّ مَعَاوِيَةُ عَلَى امْرَأَةٍ فَقَالَ : هَلْ مِنْ قِرَى ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : وَمَا
هُوَ ؟ قَالَتْ : خُبْزُ خَمِيرٍ وَلَبَنٌ فَطِيرٌ ^(٦) وَمَاءٌ نَمِيرٌ ^(٧) ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : إِنَّ الرِّثِيَّةَ تَفْشُ
الْغَضَبَ . وَالرِّثِيَّةُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ يُحَلَّبُ عَلَيْهِ الْحَلِيبُ ، وَهُوَ أَطْيَبُ اللَّبَنِ .
قَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ :

وَإِذَا خَشِيتَ عَلَى الْفَوَادِ لَجَاجَةً فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجَرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ

(١) القارص: الحامض .

(٢) أي هو عبد ، لأنه باستطاعته الحامض دلَّ على أنه لم ير خيراً منه ، إذ العبد يأكل ما يفضل من
مواليه فلا يصل إليه الحليب إلّا حامضاً .

(٣) تصبّح : أكل شيئاً قليلاً يتعلّل به .

(٤) الإبل الأوارك : التي تأكل شجر الأراك الطيب الرائحة .

(٥) تجشأ : أخرج من بطنه شيئاً من فمه «تبعج»

(٦) اللبن الفطير : اللبن القريب العهد من الحلب .

(٧) والماء النمير : الناجع في الري ، والكثير .

وعن مطر الوراق: أن نبيّاً من الأنبياء شكّا إلى الله تعالى الضعف، فأوحى الله إليه: أن اطبخ اللبن باللحم، فإن القوة فيهما.

وصف أعرابي خصب البادية فقال: كنت أشرب رثينة^(١) تجرّها الشفتان جرّاً، وقارصاً إذا تجشأت جدع أنفي، ورأيت الكماء^(٢) تدوسها الإبل بمناسمها، وخلاصة^(٣) يشمها الكلب فيعطس.

وتقول الأطباء: إن اللبن إذا سخّن بالنار وسيط^(٤) بعدود من عيدان شجر التين راب من ساعته. وقالوا: وإن أراد صاحبه ألا يروب وإن كان فيه روبة جعل فيه شيئاً من الحبق، وهو الفودنج^(٥) النهري، فإنه يبقى كهيئته.

أخبار من أخبار العرب في ماكلهم ومشاربهم

المعلّى الربيعي قال: مكثت ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيهنّ شراباً فدعوت الله تعالى، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عينٌ بصيرة، فدفعته إلى ذئبين في جفر^(٦)، فرميتهما فقتلتهما، ثم أتيت جفراً فيه ماء فاستقيت، ثم أتيتهما وإذا هما على مهيد يتيهما^(٧)، وإذا لهما نخفة - يعني شبه الزفير - فاشتويت واحتذيت^(٨) وأذهنت.

(١) الرثينة: اللبن الحامض يخلط بالحلوى، وتفتأ الغضب: تكسر حدته.

(٢) الكماء: نبات يقال له: شحم الأرض.

(٣) الخلاصة: التمر والسويق يلقى في السمن.

(٤) سيط: حرك.

(٥) الفودنج: نبت معرب عن الفارسية.

(٦) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطلو، أو طوى بعضها.

(٧) مهيد يتيهما: الحال التي كانا عليها.

(٨) احتذيت: اتخذت نعلًا.

قال ابن قرفة (شيخ من سليم): أضافني رجل من الأعراب فجاءني
 بِقُدْرٍ جَمَاعٍ ^(١) ضخمة ليس فيها شيء من طعام إلا قَطَعُ لحم، فإذا بَضْعَةٌ ^(٢)
 تَمَاتٌ ^(٣) في فمي، وبَضْعَةٌ كأنها بَضَعُ ساق، وبضعة كأنها شحمٌ رَخِمٌ ^(٤)؛
 فقلت: ما هذا؟ فقال: إني رجل صيَّاد، جمعتُ بين ذئبٍ وطيِّبٍ وضَبَعٍ.
 قال مدني لأعرابي: ما تأكلون وما تدعون؟ قال: نأكل ما دَبٌّ ودَرَجٌ إلا
 أمَّ حُبَيْنٍ؛ فقال المدني: ليهنئ أمَّ حُبَيْنٍ ^(٥) العافية.

قعد على مائدة الفضل بن يحيى ^(٦) رجلٌ من بني هلال بن عامر،
 فذكروا الضَّبَّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ في ذمِّه وتابعه القومُ، فغاض الهلاليُّ
 ما سَمِعَ منهم، ولم يكن على المائدة عربيَّ غيره، ثم لم يلبث أن أتى الفضلُ
 بصَحْفَةٍ فيها فراخُ الزَّنابير، فلم يَشْكُ الأعرابيُّ أنها ذَبَابُ البيوت، فقال حين
 خرج:

وَعَلَجَ يَعَافُ الضَّبُّ لَوْمًا وَبِطْنَةً وبعضُ إدامِ العَلَجِ هَامٌ ذُبَابٌ ^(٧)
 ولو أنْ مَلَكًا في المَلَا ناك أمُّه لقالوا لقد أوتيتَ فصلَ خطابٍ

وقال أبو الهندي ^(٨): (رجل من العرب): [متقارب]

(١) الجماع: الضخمة العظيمة.

(٢) البضعة: قطعة من اللحم.

(٣) تمات: تمتد وتمطط.

(٤) الرخم: الكريه الرائحة.

(٥) أم حُبَيْن: دويبة قيل: هي ضرب من العطاء، وقيل: هي أنثى الحرباء، وإنما سميت بذلك
 لكبر بطنها، من الحبْن الذي هو السَّقْيُ في البطن.

(٦) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي وأخوه في الرضاعة وكان من أجود
 الناس.

(٧) العَلَج: الواحد من كَفَّار العجم.

(٨) هو أبو الهندي: هو غالب بن عبد القدوس بن شيب بن ربيعي الرياض البربعي. شاعر
 مطبوع أدرك الدولتين الأموية والعباسية. كان جزل الشعر، سهل اللفاظ، لطيف المعاني.

أَكَلْتُ الضَّبَابَ فَمَا عَفْتُهَا
وَلَحْمَ الْخُرُوفِ حَنِيداً وَقَدْ
فَأَمَّا الْبَهْطُ وَحَيَاتَانُكُمْ
وَقَدْ زِلْتُ مِنْهَا كَمَا نِلْتُمْ
وَلَا فِي الْيُبُوسِ كَبِيضُ الدَّجَاجِ
وَمَكُنْ الضَّبَابَ طَعَامَ الْعَرِيبِ
وَأَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ:
وَأَنْتِ لَوِ دُقَّتِ الْكُشَى بِالْأَكْبَادِ
لَمَّا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَعْذُو بِالْوَادِ^(١)
وَنَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ جَرَاداً؛ فَقَالَ:
[سَرِيع]

لَحَى اللَّهُ بَيْتاً ضَمَّنِي بَعْدَ هَجْعَةٍ
فَأَبْصَرْتُ شَيْخاً قَاعِداً بِفَنَائِهِ
أَتَانَا بِرَقَّانِ الدَّبْيِ فِي إِنَائِهِ
فَقُلْتُ لَهُ غَيْبٌ إِنَاءُكَ وَاعْتَزِلْ
إِلَيْهِ دَجُوجِي مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٌ^(٢)
هُوَ الْعَنْزُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ
وَلَمْ يَكُ بِرَقَّانِ الدَّبْيِ لِي مَطْعَمٌ^(٣)
فَهَلْ ذَاقَ هَذَا، لَا أَبَالَكَ، مُسْلِمٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْعَبَّاسِيِّينَ:
[خَفِيف]

(١) القديد: اللحم المجفف.

(٢) الحنيد: المشوي، والشيم: البرد.

(٣) البهط: كلمة سنديّة، وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء.

(٤) القرم: شدّة الشهوة إلى اللحم.

(٥) المكن بيض الضبة، والضباب: جمع ضب، والعريب: تصغير العرب.

(٦) الكُشَى: جمع كُشْيَة وهي أصل ذنب الضب.

(٧) الهجعة: النومة الخفيفة من الليل، والدجوجي: من الدّجى، وهو الظلام.

(٨) البرقان: جمع برقانة وهي الجرادة المتلوّنة، والدبّي: الجرّاد.

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخُبَ بَيْ النَّا قَةً نَحْوَ الْعُذَيْبِ فَالصَّنِينِ^(١)
مُحَقِّباً زُكْرَةً وَخُبْزَ رُقَاقٍ وَجُبَيْنَا وَقِطْعَةً مِنْ نُونِ^(٢)

وقال بعض الأعراب :

أَقُولُ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ رَاحَ صُحْبَتِي تَرَى أَبْتَغِي مِنْ صَيْدِهِ وَأَخَاتِلُهُ^(٣)
فَلَمَّا التَقْتُ كَفِّي عَلَى فَضْلِ ذَيْلِهِ وَشَالَتِ شِمَالِي زَايِلَ الضَّبِّ بَاطِلُهُ^(٤)
فَأَصْبَحَ مَحْنُودًا نَضِيجًا وَأَصْبَحْتُ تَمْشِي عَلَى الْقِيْزَانِ حَوْلًا حَلَالُهُ^(٥)
شَدِيدَ أَصْفَرَارِ الْكُشَيْتَيْنِ كَأَنَّمَا تَطَلَّى بَوْرَسٍ بَطْنُهُ وَشَوَاكِلُهُ^(٦)
فَذَلِكَ أَشْهَى عِنْدَنَا مِنْ يَتَاجَكُمُ لَحَى اللَّهِ شَارِيهِ وَقُبَّحَ آكِلُهُ^(٧)

وبنو أسدٍ تُعَيِّرُ بِأَكْلِ الْكِلَابِ؛ قَالَ الْفَرَزْدَقُ: [طويل]

إِذَا أَسَدِيٌّ جَاعٌ يَوْمًا بِبِلْدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكِلُهُ

وَتُعَيِّرُ أَيْضًا بِأَكْلِ لَحْمِ النَّاسِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٨): [وافر]

إِذَا مَا ضِفَّتْ لَيْلًا فَفَقِيسِيًّا فَلَا تَأْكُلْ لَهُ أَبَدًا طَعَامًا
فَإِنَّ اللَّحْمَ إِنْسَانٌ فَدَعُهُ وَخَيْرُ الزَّادِ مَا مَنَعَ الْحَرَامَا

(١) الخبب: نوعٌ من العدو فيه سرعة والعذيب: ماءٌ لبني تميم، وهو أول ما يلقي الإنسان بالبادية إذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة، والصنين: بلدٌ كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع.

(٢) المحقب: يقال: أحقب الزكرة واحتقبها إذا احتملها خلفه والزكرة: زقٌ يجعل فيه شرابٌ أو خل، والجبين: تصغير الجبن، والنون: الحوت والسّمك.

(٣) أخاتله: أخدعه.

(٤) شالت: ارتفعت، وزايل: فارق.

(٥) المحنود: المشوي، والقيزان: جمع قوز، وهو الكثيب من الرمل.

(٦) الكشي: شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه، والورس: نبات أصفر يصبغ به، والشواكل: الخواصر، جمع شاكلة.

النتاج: تكاثر الإبل وغيرها، ولحي الله: قبح ولعن.

(٨) نسب هذا الشعر في كتاب البخلاء للحافظ «ص ٢٦٢ ط أوروبا» إلى معروف الديبري...

قال رجل: كنت بالبادية، فرأيت ناساً حول نارٍ، فسألت عنهم فقالوا: صادوا حيات فهم يَشْتَوْنَهَا وَيَأْكُلُونَهَا، فَأَتَيْتُهُمْ فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حيَّةً من الجَمَرِ لِيَأْكُلَهَا فامْتَنَعَتْ عليه، فجعل يمدّها كما يُمَدُّ عُصَبٌ^(١) لم يَنْضَجْ، فما صرفتُ بصري عنه حتّى لُبِجَ^(٢) به فمات، فسألت عن شأنه ف قيل لي: عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل في سُمِّها النارُ.

قال رجل من الأعراب لولده: اشتروا لي لحماً، فاشتروهُ فطبخه حتّى تَهَرَّى^(٣)، وأكل منه حتّى انتهت نفسه، وشرعت إليه عيون ولده فقال: ما أنا بِمُطْعِمِهِ أَحداً منكم إلا مَنْ أحسن وصفَ أكله: فقال الأكبر منهم: آكلُهُ يا أبت حتّى لا أَدْعَ لذرَّةٍ فيه مَقِيلاً؛ قال: لستَ بصاحبه. فقال الآخر: آكله حتّى لا يُدْرِي العِلمُ هو أم لِعامٍ أوّل؛ قال: لستَ بصاحبه. فقال الأصغر: أدقّه يا أبت دقاً وأجعل إدامه المَخْ؛ قال: أنت صاحبه، هو لك.

بينما أعرابي يسير وهو يُوَضِعُ^(٤) بغيره إذ سقط بغيره فنَحَرَهُ وأكله، فأنشأ

يقول:

إِنَّ السَّعِيدَ مِنْ يَمُوتَ جَمَلُهُ يَشْبَعُ لَحْماً وَيَقِلُّ عَمَلُهُ
وَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ سُلُولِ بَقِيَّانٍ يَشْرَبُونَ فَشَرِبَ مَعَهُمْ؛ فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُ

الشراب قام إلى بغيره فنحره، وقال:

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَلٌ وَدَعَانِي مِنْ مَلَامٍ وَعَذَلٌ
وَأَثِيلًا مَا اغْبَرَّ مِنْ قَدْرِي كَمَا وَاسْقِيَانِي أَبْعَدَ اللَّهُ الْجَمْلُ^(٥)

(١) العُصَب: من العصب، وهي العروق المنتشرة في الجسم.

(٢) لُبِجَ به: يقال لُبِجَ به ولُبِطَ به إذا صُرِعَ.

(٣) تَهَرَّى: تَفَتَّتَ من الطبخ.

(٤) يُوَضِعُ بغيره: يعديه ويحته على العدو السريع.

(٥) نَشَلَ اللحم: أخرجه من القدر.

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الْأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءَةٌ». وعن عبد الرحمن بن عراكٍ قال: بلغني أنه مَنْ غَسَلَ يَدَهُ قَبْلَ الطَّعَامِ كَانَ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ حَتَّى يَمُوتَ.

عن الحسن أنه قال: الوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ^(١).

وعنه قال: قِيلَ لِسُمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ: إِنَّ أَبَاكَ أَكَلَ طَعَاماً كَادَ يَقْتُلُهُ؛ قَالَ: لَوْ مَاتَ مَا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ.

وعن شُرَحْبِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: يَثْسُ الْعَوْنُ عَلَى الدِّينِ قَلْبُ نَخِيبٍ^(٢)، وَبَطْنُ رَغِيبٍ^(٣)، وَنَعْظٌ شَدِيدٌ^(٤).

أَكَلَ الْجَارُودُ^(٥) مَعَ عَمَرَ طَعَاماً، ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ هَاتِ الدِّسْتَوْرَدَ^(٦)؛ فَقَالَ عَمْرٌ: امْسَحِي بِاسْتِكَ أَوْ ذَرِي^(٧).

قَالَ جَعْفَرٌ: كُنَّا نَأْتِي فَرَقْدًا السَّبْخِيَّ وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ^(٨) فَيُعَلِّمُنَا: إِنَّ مِنْ

(١) اللَّمَمُ: مَا دُونَ الْكِبَائِرِ مِنَ الذُّنُوبِ، أَيْ صَغَارُهَا، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿١﴾

(٢) النَخِيبُ: الْجَبَانُ.

(٣) الْبَطْنُ الرَّغِيبُ: الْوَاسِعُ.

(٤) النَّعْظُ: الْوُطْءُ وَالْإِنْتِصَابُ.

(٥) الْجَارُودُ: هُوَ يَبْشَرُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَنْشَلِ بْنِ الْمَعْلِيِّ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ الْعَبْدِيِّ الصَّحَابِيِّ، وَلَقِبَهُ الْجَارُودُ وَمَعْنَاهُ الْمَشْتُومُ، لِأَنَّهُ فَرَّ بِإِبِلِهِ الْجَرْدَ (الَّتِي أَصَابَهَا الْجَرَبُ) إِلَى أَخْوَانِهِ بَنِي شَيْبَانَ، فَفَشَا ذَلِكَ الدَّاءُ بِإِبِلِهِمْ فَأَهْلَكَهَا، وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثُ.

(٦) الدِّسْتَوْرَدُ: ثَوْبٌ أَحْمَرُ يَضْرِبُ إِلَى صَفْرَةٍ حَسَنَةٍ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ «دَسْتُ» بِمَعْنَى ثَوْبٌ وَ«وَرْدٌ» بِمَعْنَى أَحْمَرُ ضَارِبٌ إِلَى الصَّفْرَةِ.

(٧) ذَرَى: دَعَى.

(٨) شَبِيَّةٌ: حَمَّةٌ شَابٌ.

ورائكم زماناً شديداً، فشدُّوا الأزرار^(١) على أنصافِ البطون، وصعَّروا اللِّقَم، وشدَّدوا المضغ، ومضُّوا الماءَ مَضًّا. وإذا أكل أحدكم فلا يحلَّن إزاره فتتسع أَمَاؤه. وإذا جلس أحدكم ليأكل فليقعُدْ على أليتيه، وليلزق بطنه بفخذه، وإذا فرغ فلا يقعُدْ وليجئْ وليذهب؛ وأحتموا^(٢) فإن من رائكم زماناً شديداً. وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسوا الله ﷺ: «ساقِي الْقَوْمِ أَخْرَهُمْ شُرْباً».

وعن الجارود بن أبي سبرة قال: قال لي بلال بن أبي بريدة: أتَحْضُرُ طعامَ هذا الشيخ - يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر -؛ فقلت: إيهأ^(٣) وآلله؛ فقال: حَدَّثَنِي عَنْهُ. فقلت: نَأْتِيهِ وَكَانَ سَكِيْتاً^(٤)، إِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ، فَإِذَا حَضَرَ الْعَدَاءُ جَاءَ خَبَازُهُ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَيَقُولُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: بَطَّةٌ بَكْذَا، وَدَجَاجَةٌ بَكْذَا وَكَذَا. قَالَ: وَمَا يُرِيدُ بِذَاكَ؟ قُلْتُ: كَيْ يَحْبِسَ^(٥) كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ إِلَى مَا يَشْتَهِي، فَإِذَا وُضِعَ الْخِوَانُ^(٦) خَوَى^(٧) تَخْوِيَةَ الظِّلِيمِ^(٨)، فَمَا لَهُ إِلَّا مَوْضِعٌ مُتَكَنٍّ فَيَجِدُ وَيَهْزُلُ، حَتَّى إِذَا رَأَاهُمْ قَدْ فَتَرُوا وَكَلَّوْا^(٩) أَكَلَ مَعَهُمْ أَكُلَ الْجَائِعِ الْمَقْرُورِ^(١٠) حَتَّى يُنْشِطَهُمْ بِأَكْلِهِ.

(١) الأزرار: جمع إزار، وهو ما يؤتز به على البطن.

(٢) أحتموا: امتنعوا عن الطعام، من الحماية.

(٣) إيهأ: معناه الكف، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا.

(٤) السكيت: الكثير السكوت والصمت.

(٥) يحبس: يهيم.

(٦) الخوان: فراش يؤكل عليه.

(٧) خوى تخوية: فرج ما بين عضديه وجنبه، أو جأ في بطنه عن فخذه في سجوده.

(٨) الظليم: ذكر النعام.

(٩) كلَّوا: وهنوا وضعفوا.

(١٠) المقرور: الذي أصابه القر، وهو البرد.

وكان يقال: إذا اجتمع للطعام أربع كمل: أن يكون حلالاً، وأن تكثر عليه الأيدي، وأن يُفتح باسم الله، ويُختتم بحمد الله.

وكان يُقال: سَمُوا إذا أكلتم ودُّنُوا وسمَّوُا^(١).

قال أپرويزُ لصاحبِ طعامه وشرابه: إني سلَّطْتُكما على المعيشة، وأشركْتُكما في الحياة، وجعلْتُكما أمينين على نفسي، وولَّيْتُكما من طعامي وشرابي ما التوسعة فيه مُروءة والتضييق فيه دناءة؛ فأجعلاه في فضله على ما سواه كفضلي على مَنْ سِوَايَ، وفي كثرته ككثرة مَنْ معي على مَنْ مع غيري. ولا يشهدنَّ طعامي الذي أكلُ عينُ تراه ولا نفسُ تحسُّه ولا يدُ تداوله خلا نفساً واحدة؛ وإنما أفردته بذلك لِتَسْتَحْكِمَ الحجة فيه على مَنْ أضاع، وتَنقَطَعَ الشبهة فيه عن غفلٍ، ولأجعلَ صاحبَ ذاك رهنأ بدمِ نفسه إن هو قَصَرَ في صنعه أو أوقع بغائلة^(٢).

الأصمعيّ قال حدَّثني ابراهيمُ بنُ صالح: أنه كان له جَآم^(٣) من حَبِّ رُمَانٍ مدقوقٍ يَسْفُ منه بينَ كلِّ لَوْنَيْنِ ملعقةٌ حتى يعرفَ اختلافَ الألوانِ.

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحرٍ من كتبه قال: كان أبو عبد الرحمن الثوريّ يُقَعِّدُ ابنه معه على خِوانه يوم الرأس، ثم يقول: إياكَ ونَهَمَ الصبيان وأخلاقِ النوائح، ودع^(٤) عنكَ خَبَطَ المَلَّاجين والفَعَلَةِ، ونَهَشَ الأعراب والمَهَنَةِ، وكُلْ من بين يديكَ؛ فإنَّ حظَّكَ الذي وَقَعَ وصار إليك. واعلم أنه إذا كان في الطعام شيء طريفٌ أو لُقْمَةٌ كريمةٌ أو بَضْعَةٌ شهية^(٥)، فإنما ذلك للشيخ

(١) دنوا: لکوا ما بين أيديكم وما دنا وقرب منكم، وسمتوا: أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة.

(٢) الغائلة: المصيبة.

(٣) الجَآم: إناء من فضة يتخذ للطعام والشراب.

(٤) كذا في العقد الفريد، وفي الاصل «وبهم السلطان». (٥) البضعة: القطعة من اللحم.

المعظم والصبي المدلل، ولستَ واحداً منهما. وأنت قد تأتي الدعوات، وتُجيب الولائم، وتدخلُ منازل الإخوان، وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشدَّ قرماً^(١) إليه منك، وإنما هورأس واحدٌ فلا عليك أن تتجافى عن بعضٍ وتُصيب بعضاً. وأنا بعدُ أكره لك الموالاة بين اللحم؛ فإن الله يُغضُّ أهل البيت اللّحمين^(٢).

وكان يقال: مُدْمِنُ اللحم كمدمن الخمر.

ورأى رجل رجلاً يأكل لحماً، فقال: لحمٌ يأكل لحماً، أف لهذا عملاً!.

وكان عمرُ يقول: إياكم وهذه المجازر، فإن لها ضرواً كضرواة الخمر^(٣).

يا بُني عودْ نفسك الأثرة^(٤) ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين^(٥)، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنساناً وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سباعاً. واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة^(٦).

قال بعض الحكماء: إذا كنتَ بطيناً فعد نفسك من الزمّني^(٧). وقال الأعشى:

[خفيف]

(١) القرم: اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم.

(٢) اللّحمين: الذين يكثرون من أكل اللحم.

(٣) الضرواة: الوم والإدمان.

(٤) الأثرة: المكرومة لأنها تؤثر أي تذكر.

(٥) الخضم: للذابة التي تأكل العشب، والبراذين: جمع برذون، وهو دابة أصغر من الخيل.

(٦) الكظة والبطنة: الامتلاء من الطعام والاسراف في تناوله.

(٧) الزمّني: المرضى الذين طال عليهم المرض.

والبِطْنَةُ مِمَّا تُسَفُّهُ الْأَحْلَامُ^(١)

واعلم أنَّ الشَّبْعَ داعيةَ البَشَمِ^(٢)، وأنَّ البَشْمَ داعيةَ السَّقَمِ، وأنَّ السَّقَمَ داعيةَ الموتِ، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتَةً لثِيْمَةً، وهو مع هذا قاتِلُ نفسه، وقاتِلُ نفسه أَلَمٌ من قاتِلِ غيره.

يا بني، والله ما أدَى حَقُّ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ذُو كِبْطَةٍ، ولا خَشَعُ اللَّهِ ذُو بَطْنَةٍ، والصَّوْمُ مَصَحَّةٌ، والوَجَبَاتُ^(٣) عِيشُ الصَّالِحِينَ.

أَيُّ بَنِي، لِأَمْرِ مَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْهِنْدِ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْأَعْرَابِ. فَلِلَّهِ دَرُّ الْحَارِثِ ابْنِ كَلْدَةَ^(٤) حَيْثُ يَزْعَمُ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأَزْمُ^(٥)، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْخَالَ الطَّعَامِ إِثْرَ الطَّعَامِ.

أَيُّ بَنِي، لِمَ صَفَّتْ أَذْهَانُ الْأَعْرَابِ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الرُّهْبَانِ، مَعَ طَوْلِ الْإِقَامَةِ فِي الصَّوَامِعِ حَتَّى لَمْ تَعْرِفِ النَّقْرُسُ^(٦) وَلَا وَجَعَ الْمَفَاصِلِ وَلَا الْأَوْرَامَ، إِلَّا لِقَلَّةِ الرِّزْقِ^(٧) وَخَفَّةِ الزَّادِ. وَكَيْفَ لَا تَرْغَبُ فِي تَدْبِيرِ يَجْمَعُ لَكَ صَحَّةَ الْبَدَنِ، وَذِكَاءَ الذَّهْنِ، وَصَلَاحَ الْمَعْيِ^(٨) وَكَثْرَةَ الْمَالِ، وَالْقُرْبَ مِنْ عِيشِ الْمَلَائِكَةِ!

(١) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة «بطن» والبيت:

«يا بني المنذر بن عبدان والبطنة مما تسفه الأحلاما»

(٢) البشم: التخمّة

(٣) الوجبات: جمع وجبة، وهي الأكلة في اليوم واللييلة.

(٤) الحارث بن كلدّة: طبيب العرب المشهور، وهو من بني ثقيف.

(٥) الأزم: عدم إدخال الطعام على الطعام.

(٦) النقرس: داء يأخذ في الرجل.

(٧) الرّزء: ما يصيبه الانسان من الطعام.

(٨) المعى: الأمعاء

أَيُّ بُنَيٍّ، لم صار الضَّبُّ أطول شيءَ ذَمَاءً^(١) إِلَّا لِأَنَّهُ يَتَبَلَّغُ بالنَّسِيمِ؛ وَلَمَّا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ «إِنَّ الصَّوْمَ وَجَاءَ»^(٢) إِلَّا لِجَعْلِهِ حِجَازاً^(٣) دُونَ الشَّهَوَاتِ. إِنْهُمْ تَأْدِيبُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْصِدْ بِهِ إِلَّا إِلَى مِثْلِكَ.

أَيُّ بَنِي، قَدْ بَلَغْتُ تَسْعِينَ عَاماً نَغَضُ^(٤) لِي سَنٍّ، وَلَا انْتَشَرَ^(٥) لِي عَصَبٌ وَلَا عَرَفْتُ ذَنِينَ أَنْفٍ^(٦)، وَلَا سَيْلَانَ عَيْنٍ، وَلَا سَلَسَ^(٧) بُولٌ؛ مَا لَذَلِكَ عَلَّةٌ إِلَّا التَّخْفِيفُ مِنَ الزَّادِ. فَإِنْ كُنْتَ تَحَبُّ الْحَيَاةَ فَهَذِهِ سَبِيلُ الْحَيَاةِ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَوْتَ فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ.

وَقَالَ أَبُو نَهْشَلٍ^(٨): كَانَتْ لِي ابْنَةٌ تَجْلِسُ مَعِيَ عَلَى الْمَائِدَةِ فَتُبْرِزُ كَفّاً كَأَنَّهَا طَلْعَةٌ^(٩)، فِي ذِرَاعٍ كَأَنَّهُ جُمَارَةٌ^(١٠)، فَلَا تَقَعُ عَيْنُهَا عَلَى أَكَلَةٍ نَفِيسَةٍ. إِلَّا خَصَّصْتَنِي بِهَا، فَزَوَّجْتُهَا وَصَرْتُ أُجْلِسُ مَعِيَ عَلَى الْمَائِدَةِ ابْنَةً لِي فَيُبْرِزُ كَفّاً كَأَنَّهَا كِرْنَافَةٌ^(١١)، فِي ذِرَاعٍ كَأَنَّهُ كَرْبَةٌ^(١٢)، فَوَاللَّهِ مَا إِنْ تَسْبِقُ عَيْنِي إِلَى لُقْمَةٍ طَيِّبَةٍ إِلَّا سَبَقَتْ يَدُهُ إِلَيْهَا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: غَلَبَتْ بَطْنَتِي فِطْنَتِي.

(١) الذَّمَاءُ: بَقِيَّةُ النَّفْسِ وَالْحَرَكَةُ، وَالْمُرَادُ طَوْلُ الْحَيَاةِ.

(٢) الْوَجَاءُ: رُضُّ عُرُوقِ الْبَيْضَتَيْنِ حَتَّى تَنْفَضِحَ فَيَكُونَ شَبِيهاً بِالْخِصَاءِ.

(٣) الْحِجَازُ: الْحَاجِزُ وَالْمَانِعُ.

(٤) نَغَضَ السَّنَّ: تَحَرَّكَ وَقَلَقَ فِي مَوْضِعِهِ.

(٥) انْتَشَرَ الْعَصَبُ: انْتَفَخَ.

(٦) ذَنِينَ الْأَنْفِ: سَيْلَانِ الْمَخَاطِ فِيهِ.

(٧) سَلَسَ بُولٌ: عَدَمُ اسْتِمْسَاكِهِ.

(٨) أَبُو نَهْشَلٍ: نَسَبُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ ابْنُ خَلْكَانَ (ج ١ ص ٤٥٦) لِأَبِي الْحَسَنِ.

(٩) الطَّلْعَةُ: مَنْ طَلَعَ النَّخْلَ.

(١٠) الْجُمَارَةُ: مِنَ الْجَمَارِ وَهُوَ شَحْمُ النَّخْلِ.

(١١) الْكِرْنَافَةُ: وَاحِدَةُ الْكِرْنَافِ، وَهُوَ أَصُولُ الْكَرْبِ الَّتِي تَبْقَى فِي جَذْعِ النَّخْلَةِ بَعْدَ قَطْعِ السَّعْفِ.

(١٢) الْكَرْبَةُ: مَا تَبْقَى فِي جَذْعِ النَّخْلَةِ بَعْدَ قَطْعِ السَّعْفِ.

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكماء: أكثروا الطعام، فوالله ما بطن^(١) قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطيناً.

وكان يقال: أقلل طعاماً تحمّد مناماً.

الأصمعيّ قال: كان يقال: ليس لشبعة خير من جوعة تحفزها^(٢). دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال: ما فيّ فضل؛ فقال عبد الملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل! فقال: يا أمير المؤمنين، عندي مستزاد، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استقبحها أمير المؤمنين.

وقال لشيخ: ما أحسن أكلك؟ قال: عملي منذ ستين سنة.

وقال الحسن: إنّ ابن آدم أسير الجوع، صريع الشيع.

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال: هل اتّخمتَ قط؟ قال لا؛ قال: وكيف ذاك؟ قال: لأننا إذا طبخنا أنضجنا، وإذا مضغنا دقّقنا، ولا نُكْظُ^(٣) المعدة ولا نُخلّيها.

وقال الأحنف: جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيّه.

(١) بطن: من البطنة وهي امتلاء البطن من الطعام.

(٢) تحفزها: أي تكمن الحافز لها.

(٣) الكظة: البطنة.

الأصمعيّ قال: بلغني أنّ أقواماً لبسوا المطّارِفَ^(١) العِتاق، والعمائم الرّفاق؛ وأوسعوا دوزهم، وضيقوا قبورهم؛ وأسمنوا دوابهم، وهزلوا دينهم؛ طعام أحدهم غصب، وخادمه سُخرة، يتكئ على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكِظّة قال: يا جارية هاتي حاطوماً^(٢)؛ ويلك! وهل تحطم إلا دينك! أين مساكينك! أين يتامك! أين ما أمرك الله به! أين أين!.
قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور في أربع: الطعام لا يؤكل إلاّ على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ سَقَطِ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِي سَعَةٍ وَعُوفِي فِي وَلَدِهِ وَوُلِدَ مِنْ لَدُنْهِ مِنَ الْحُمَقِ».
وقيل لأعرابي: أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأى؟ قال: نعم، أبخّص عَينيه^(٣)، وأسحى^(٤)، خدّيه، وأفكّ لَحْييه، وأرُمي بالدماغ إلى مَنْ هو أحوج مِنّي إليه. وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم: أنا من قبيلة تُبقي المَخَّ في الجماجم.
دِعْبِل قال: يا بُنَيَّ، لا تأكل أَلْيَةَ الشاة لأنها طَبَقُ الإِست وقريب من الجواعر^(٥).

قال بعض الشعراء: [طويل]

إذا لم أرى إلاّ لأكل أكلَةً فلا رَفَعَتْ يُمنَى يديّ طعامي
فما أكلَةً إن نِلْتُها بغنيمَةٍ ولا جَوْعَةً إن جُعْتُها بغرام^(٦)

(١) المطّارِف: جمع مطرف، وهو رداء من خز مربع له أعلام.

(٢) الحاطوم: الهاضوم، وهو كلّ دواء يهضم الطعام. (٣) بخّص عينه: أغارها.

(٤) أسحى: قشّر. (٥) الجواعر: جمع جاعرة وهي الدّبر.

(٦) الغرام: الشرّ والعذاب والهلاك.

عبد الملك بن عُمَيْر عن عمه عن الأصمعيّ قال: لا تخرج يا بُنَيَّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمَكَ^(١). يعني حتى تتغذّى. وقال هلال بن جُشَم^(٢):
[طويل]

وإنَّ قِرَابَ البطنِ يكفيكَ مَلُوءُهُ ويكفيكَ سَوَاءُ الأمورِ اجتنابُها
وقرأت في الآيين^(٣): أن رجلاً من خدم دار المملكة أوصى ابنه فقال:
إذا أكلتَ فضَمَّ شَفَتَيْكَ، ولا تَلَقَّتْ يَمِيناً وشمالاً. ولا تَتَّخِذَنَّ خِلَالَكَ قَصَباً^(٤).
ولا تَلْقَمَنَّ بسكينٍ أبداً، وإذا كان في يدك سكينٌ وأردتَ التقاماً فضَعْها على
مائدتك ثم التِّمِّمْ. ولا تجلس فوق مَنْ هو أسنُّ منك وأرفعُ منزلة. ولا تتخلَّلْ
بعود آس^(٥). ولا تمسح بشيَابِ بَدَنِكَ. ولا تُرِقْ ماء وأنت قائم. ولا تَحْفِرْ أرضاً
بأظفاركَ. ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتُلَعَنَ، ولا تسترح
على أُسْكُفَّةٍ^(٦) فَتُجْهَلَ، ولا تَسْتَنْجَ بِمَدْرٍ^(٧) فيورثكَ البواسير، ولا تَمْتَحِظَ حيث
يُسْمَعُ امتخاطك، ولا تَبْصُقَ في الأماكن المنظفة.

وأجلس معاوية على مائدته رجلاً يؤاكله، فأبصر في لقمته شعرة، فقال:
خُذِ الشعرة من لقمتك؛ فقال له الرجل: وإنك لتراعيَنِي مُرَاعَاةَ مَنْ يُبْصِرُ
الشعرة في لُقْمَتِي! والله لا أكلتُ معكَ أبداً ثم خرج الأعرابي وهو يقول:
[طويل]

(١) الحلم: العقل، وفَسَّرَ بالغذاء لأنَّ الشَّيْعَ قِوَامُ الْعَقْلِ.

(٢) هو هلال بن جشم بن عوف النخعي من قحطان: جدُّ جاهلي. بنوه بطن من النخع.

(٣) الآيين: كلمة فارسية عَرَّبَهَا الْعَرَبُ وَمَعْنَاهَا «القانون والعادة».

(٤) الخلال: ما يتخلَّلُ به المرء بعد الطعام لإزالة بقاياها.

(٥) الآس: نبات ذو ثمار كروية ورقة عطر خضرته دائمة، يسمَّى الرِّيحَان.

(٦) الأسكفة: عتبة الباب.

(٧) استنجى: بمعنى نظف وأزال، والمدر: التراب المتبلد.

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
وَكَانَ سَعِيدٌ بَنُ جُبَيْرٍ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ أَشْبِعْتَ وَأَرْوَيْتَ
فَهْنَتَنَا، وَأَكْثَرْتَ وَأَطْبْتَ فَرَدْنَا.

الجوع والصوم

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ الطَّعَامِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: الْجُوعُ أَعْلَمُ.
وَكَانَ يُقَالُ: نَعِمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ، مَا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ قَبْلَهُ.
قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ: يَا بَنِيَّ، كُلْ أَطْيَبَ الطَّعَامِ، وَنَمْ عَلَى أَوْطَأٍ^(١) الْفَرَّاشِ.
يَقُولُ: أَكْثَرَ الصِّيَامِ، وَأَطْلُ اللَّيْلِ الْقِيَامِ.

[بسيط]

أَشْتَقُ أَعْرَابِيَّ بِالْبَصْرَةِ إِلَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ:

أَقُولُ بِالْمِصْرِ لَمَّا سَاءَ نِي شَبْعِي أَلَا سَبِيلَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا جُوعٌ
أَلَا سَبِيلَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا عُرْسٌ جُوعٌ يُصَدِّعُ مِنْهُ الرَّأْسُ بُرْقُوعٌ^(٢)

[بسيط]

وَقَالَ آخَرُ:

وَعَادَةُ الْجُوعِ فَأَعْلَمُ عِصْمَةً وَغِنًى وَقَدْ يَزِيدُكَ جُوعاً عَادَةُ الشَّبْعِ
الْعُتْبِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: يَا أَخِي، إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ أَنْ
فَقَهَاءَكُمْ أَظْرَفُ مِنْ فَقَهَائِنَا، وَعَوَامَّكُمْ أَظْرَفُ مِنْ عَوَامَّنَا، وَمَجَانِينُكُمْ أَظْرَفُ مِنْ
مَجَانِينِنَا، قَالَ: وَمَا تَدْرِي لِمَ ذَاكَ؟ قُلْتُ لَا؛ قَالَ: مِنَ الْجُوعِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ
الْعُودَ إِنَّمَا صَفَا صَوْتُهُ لَخَلَوْ جُوفُهُ!.

(١) أَوْطَأُ الْفَرَّاشُ: أَيُّ الْفَرَّاشِ الَّذِي لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ بُعْدٌ وَسِمَاكَةٌ «الرَّقِيقُ مِنَ الْفَرَّاشِ».

(٢) عُرْسٌ: كَذَا بِالْأَصْلِ، وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ «عُرْتُ» بِمَعْنَى الْجُوعِ لِنِسَابِ الْمَقَامِ، وَالْبُرْقُوعُ: جُوعٌ شَدِيدٌ.

وقيل لبعض حكماء الروم: أي وقت الطعام فيه أطيب وأفضل؟ قال: أما لمن قَدَر فإذا جاع، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد.

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان، فقال: أما والله لئن أثمرموه لثمسكن منه بذناي عيش أغبر^(١).

وقيل لآخر: ألا تصوم البيض من شعبان! فقال: بين يديها ثلاثون كأنها القبايطي^(٢).

وقيل لمدني: بم تتسحر الليلة؟ فقال: باليأس من فطور القابلة.

الرياشي قال: قيل لأعرابي: اشرب، فقال: إني لا أشرب على ثميلة^(٣). وقال:

إذا لم يكن قبل النبذ ثريدة مُبَقَّلَةٌ صفراء شحم جميعها^(٤)
فإن نبذ الصُرف إن كان وحده على غير شيء أوجع الكبد جوعها^(٥)

قدم أعرابي على ابن عم له بالحضر، فأدركه شهر رمضان؛ فقل له: أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان؛ قال: وما شهر رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام؛ قال: أبالليل أم بالنهار؟ قالوا: لا، بل بالنهار؛ قال: أفيرضون بدلاً من الشهر؟ قالوا: لا؛ قال: فإن لم أصم فعلوا ماذا؟ قالوا: تُضرب وتُحبس؛ فصام أياماً فلم يصبر، فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بنو عمي وقد زرت مضرهم تهيأ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودي سلام عليكم فاذهبوا بسلام^(٦)

(١) الأغبر: القاسي الكال.

(٢) القبايطي: ثياب بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان.

(٣) الثميلة: البقية القليلة من الطعام والشراب في البطن.

(٤) الثريدة: نوع من الطعام يصنع من خبز ولبن أو مرق، والمَقْلَةُ التي فيها البقول.

(٥) الصُرف: الخالص. (٦) الجراب والمزود: ما يحفظ به الماء والطعام.

فبَادَرَتْ أرضاً ليس فيها مُسَيِّطِرٌ عَلَيَّ ولا مَنَاعٌ أَكَلِ طَعَامٍ
وأَدْرَكَ أَعْرَابِيًّا شَهْرَ رَمَضَانَ فلم يَصُمْ؛ فعَذَلَتْهُ^(١) امرأته في الصوم،
فزَجَرَهَا وأنشأ يقول:

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّوْمِ لَا دَرَّ دَرُّهَا وفي القَبْرِ صَوْمٌ يَا أُمِّمَ طَوِيلُ
دَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الحُسَيْنَ فَحَضَرَ وَأَصْحَابَهُ، فَأَكَلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ؛ فَقِيلَ
لَهُ: أَلَا تَأْكُلُ! فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، وَلَكِنْ تُحَفَّةُ الصَّائِمِ^(٢)؛ قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ:
الذُّهْنُ وَالْمَجْمَرُ^(٣).

أَخْبَارٌ مِنْ أَخْبَارِ الْأَكَلَةِ

الأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَحِبُّ أَنْ أَرْزُقَ ضِرْسًا طُحُونًا، وَمَعِدَةً
هَضُومًا، وَسُرْمًا نَثُورًا^(٤).

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ عُمَرَ
يُلْقِي إِلَيْهِ الصَّاعَ مِنَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُهُ حَتَّى حَشَفَهُ^(٥).

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:
هَمُّ الْكَرِيمِ كَرِيمُ الْفِعْلِ يَفْعَلُهُ وَهُمْ سَعِدَ بِمَا يُلْقِي إِلَى الْمَعِدَةِ
وَقِيلَ لِرَجُلٍ رُئِيَ سَمِينًا: مَا أَسْمَنُكَ؟ قَالَ: أَكَلِي الْحَارَّ، وَشَرِبِي
الْقَارَّ^(٦)، وَاتَّكَاثِي عَلَى شِمَالِي، وَأَكْلِي مِنْ غَيْرِ مَالِي.

(١) عذلتها: لامته.

(٢) تحفة الصائم: طعامه، وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي «التحفة طعام الصائم».

(٣) المجرم: الشيء الذي يوضع فيه الجمر استعداداً للشيء.

(٤) السُّرْمُ النُّثُورُ: الكثير القذف للغائط من المعى.

(٥) الحشف: أَرَدَأَ التمر.

(٦) القار: لعله يريد القَرَّ: أي البارد، والقار، الزَّفْتُ والقطران.

وقيل لآخر: ما أَسْمَنَكَ؟ قال: قِلَّةُ الْفِكْرَةِ، وَطُولُ الدَّعَةِ^(١)، وَالنُّومُ عَلَى الْكَظَّةِ^(٢).

قال الْحَجَّاجُ لِلْغَضْبَانِ بْنِ الْقَبْعَثَرِيِّ فِي حَبْسِهِ: مَا أَسْمَنَكَ؟ قال: الْقَيْدُ وَالدَّعَةُ^(٣)، وَمَنْ كَانَ فِي ضِيَاةِ الْأَمِيرِ سَمِنًا.

وقال آخرُ لرجل رآه سَمِينًا: أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً^(٤) مِنْ نَسَجِ أَضْرَاسِكَ. وقيل لآخر: إِنَّكَ لِحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيِّنُ الْبَشَرَةِ؛ فقال: أَكُلُ لُبَّابِ الْبُرِّ بِصَغَارِ الْمَعَزِ، وَأَدْهِنُ بِذَهْنِ الْبَنْفَسَجِ، وَالْبَسُ الْكَتَّانَ.

قيل لَمَيْسَرَةَ الْأَكُولِ وَأَنَا أَسْمَعُ: كَمْ تَأْكُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ؟ قال: مِنْ مَالِي أَوْ مِنْ مَالِ غَيْرِي؟ قالوا: مِنْ مَالِكَ؟ قال: دُونَانٍ^(٥)؛ قالوا: فَمِنْ مَالِ غَيْرِكَ؟ قال: أَخْبِزْ وَاطْرَحْ.

والعرب تقول: «الْعَاشِيَةُ تَهْجُجُ الْآيَةَ»^(٦). يريدون أَنَّ الَّذِي لَا يَشْتَهِي أَنْ يَأْكُلَ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَأْكُلُ هَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى الْأَكْلِ.

قال جرير:

وَبَنُو الْهَجِيمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ تُطُّ اللَّحَى مُتَشَابِهُوا الْأَلْوَانَ^(٧)
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانٌ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ

(١) الدَّعَةُ: الراحة.

(٢) الْكَظَّةُ: شَيْءٌ يَعتَرِي الْإِنْسَانَ عِنْدَ الشَّيْبِ وَالْإِمْتِلَاءِ.

(٣) فِي مَرْجُوذِ الذَّهَبِ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ ص ١٣٥ لِلْمَسْعُودِيِّ «الْقَيْدُ وَالرَّمْعَةُ».

(٤) الْقَطِيفَةُ: دَثَارٌ مَحْمَلٌ.

(٥) دُونَانٌ: كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا «رَغِيفَان».

(٦) الْعَاشِيَةُ: الَّتِي تَرَعَى بِالْعَشِيِّ مِنَ الْمَاشِيَةِ، وَالْآيَةُ: الَّتِي لَا تَرِيدُ الْعِشَاءَ أَيْ إِذَا رَأَتْ الْآيَةَ الْإِبِلَ الْعَوَاشِي تَبْعَتْهَا فَرَعَتْ مَعَهَا.

(٧) الثُّطُّ: جَمْعُ أَثْطٍ وَهُوَ قَلِيلُ شَعْرِ اللَّحْيَةِ.

مَتَّابُطِينَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعُرُ الْأَنْوَفِ لِرِيحِ كُلِّ دُخَانٍ^(١)
 قَعَدَ رَجُلٌ عَلَى مَائِدَةِ الْمُغِيرَةِ، وَكَانَ مِنْهُوْمًا، وَجَعَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ؛
 فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: نَاوِلُوهُ سِكِّينًا؛ فَقَالَ الرَّجُلُ: كُلُّ امْرَأَةٍ سِكِّينُهُ فِي رَأْسِهِ
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِيِّ: مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَتَدْعُونَ الثَّرِيدَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ اللَّحْمَ
 ظَاعِنٌ^(٢) وَالثَّرِيدُ بَاقٍ.
 وَقِيلَ لِأَخْرٍ: مَا تُسَمُّونَ الْمَرْقَ؟ قَالَ: السَّخِينِ؛ قَالَ: فَإِذَا بَرَدَ؟ قَالَ: لَا
 نَدَعُهُ يَبْرُدُ.

قَالَ أَبُو الْيَقْطَانِ^(٣): كَانَ هِلَالُ بْنُ أَسْعَرَ التَّمِيمِيِّ، مِنْ بَنِي دَارِمِ بْنِ
 مَازِنٍ، شَدِيدًا أَكُولًا؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَكَلَ جَمَلًا إِلَّا مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْهُ. وَأَكَلَ
 مَرَّةً فَصِيلًا^(٤)، وَأَكَلَتْ امْرَأَتُهُ فَصِيلًا، فَلَمَّا ضَاجَعَهَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا؛ فَقَالَتْ:
 كَيْفَ تَصِلُ إِلَيَّ وَبَيْنَنَا بَعِيرَانِ!.

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: دَعَا عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ هِلَالَ بْنَ أَسْعَرَ إِلَى وَلِيمَةٍ، فَأَكَلَ مَعَ
 النَّاسِ حَتَّى فَرَّغُوا، ثُمَّ أَكَلَ ثَلَاثَ جِفَانٍ تُصْنَعُ كُلُّ جَفْنَةٍ لِعَشْرَةِ أَنْفُسٍ؛ فَقَالَ
 لَهُ: شَبِثْتَ؟ قَالَ لَا؛ فَأَتَوْهُ بِكُلِّ خَبِزٍ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَشَبَعْ، فَبَعَثُوا إِلَى الْجِيرَانِ؛
 فَلَمَّا اخْتَلَفَتْ أَلْوَانُ الْخَبِزِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَضَرَّ بِهِمْ فَأَمْسَكَ؛ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ فِي
 تَمْرِ شَهْرِيزٍ^(٥) بَلْبِنٍ؟ فَأَتَوْهُ بِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ قَوَاصِرَ^(٦)؛ فَقَالُوا لَهُ: أَشْبَعْتَ؟ قَالَ: لَا؛

(١) صُعُرُ الْأَنْوَفِ: مِيلُهَا، وَالصُّعُرُ: الْمِيلُ.

(٢) الظَّاعِنُ: الرَّاحِلُ.

(٣) أَبُو الْيَقْطَانِ هُوَ عَامِرُ بْنُ حَفْصٍ. عَالِمٌ بِالْأَنْسَابِ يُلَقَّبُ بِحُجَيْمٍ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا «أَخْبَارُ تَمِيمٍ»
 وَ«كِتَابُ النَّسَبِ الْكَبِيرِ».

(٤) الْفَصِيلُ: وَلَدُ الْبَعِيرِ.

(٥) شَهْرِيزُ: اسْمُ مَوْضِعٍ، وَتَمْرُ شَهْرِيزٍ: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ يَنْسَبُ إِلَيْهِ.

(٦) الْقَوَاصِرُ: جَمْعُ قَوْصَرَةٍ: هُوَ وَعَاءٌ: وَهُوَ وَعَاءٌ لِلتَّمْرِ مِنْ قَصَبٍ.

قالوا: فهل لك في السويق؟ قال: نعم؛ فأتوه بجرابٍ ضخمٍ مملوء؛ فقال: هل عندكم نبيذ؟ قالوا: نعم؛ قال: أعندكم تورٌّ^(١) تغتسلون فيه من الجنابة؟ فأتني به فغسله وصب السويق وصب عليه النبيذ، فما زال يفعل ذلك حتى فني.

الشمرذل وكيل آل عمرو بن العاص قال: قدم سليمان بن عبد الملك الطائف وقد عرفت شجاعته، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنة بستاناً لعمر بن عمرو؛ قال: فجال في البستان ساعة ثم قال: ناهيك بمالكم هذا مالاً لولا جرار فيه! فقلت: يا أمير المؤمنين، إنها ليست بجرارٍ ولكنها جرب الزيب؛ فجاء حتى ألقى صدره على غصن، ثم قال: ويلك يا شمرذل! أما عندك شيء تطعمني؟ قلت: بلى والله! إن عندي لجدياً تغدو عليه بقرة وتروح أخرى؛ قال: أعجل به؛ فأتيته به كأنه عكة^(٢)، وتشمّر فأكل ولم يدع ابنه ولا عمر حتى أبقى فخذاً. فقال: يا أبا حفص هلّم؛ قال: إني صائم؛ ثم قال: ويلك يا شمرذل! أما عندك شيء؟ فقلت: بلى والله! دجاجات ست كأنهن رثلان^(٣) النعام، فأتيته بهن، فكان يأخذ رجل الدجاجة حتى يعري عظمها ثم يلقيها فيه^(٤) حتى أتى عليهن. ثم قال: ويلك! أما عندك شيء؟ فقلت: بلى والله! إن عندي لحريرة كقراضة الذهب^(٥)، فقال: أعجل بها؛ فأتيته بعس^(٦) يغيب فيه الرأس، فجعل يتلقمها^(٧) بيده ويشرب، فلما فرغ تجشأ كأنه صاح في

(١) التور: إناء من نحاس أو حجر.

(٢) العكة: وعاء السمن وهي أصغر من القبة.

(٣) رثلان: جمع رال، وهو ولد النعام.

(٤) التكملة من العقد (ج ٢ ص ٣٣٢).

(٥) الحرية: ضرب من الطعام يطبخ بلبن: أو دسم والقراضة ما سقط بالقرص.

(٦) العس: القدح الكبير.

(٧) يتلقمها: يأكلها بنهم وسرعة.

جُبَّ^(١)؛ ثم قال: يا غلام، أفرغت من غدائنا؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: نَيْفٌ وثمانونَ قِدرًا؛ قال: فَأَتْنِي بِهَا قِدرًا قِدرًا؛ فَأَتَاهَا بِهَا وَبِقَنَاقٍ^(٢) عَلَيْهِ رُقَاقٌ؛ فَأَكْثَرُ مَا أَكَلَ مِنْ قِدرٍ ثَلَاثَ لُقْمٍ وَأَقْلُ مَا أَكَلَ لُقْمَةً، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَلَقَى عَلَى فِرَاشِهِ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ وَوَضِعَتِ الْخَوَانَاتُ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مَعَ النَّاسِ.

الْخَطَّابِيُّ عَنِ الدَّيْرَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لِأَعْرِفُ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ سُلَيْمَانُ؛ قَالَ: لَمَّا اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانُ^(٣) قَالَ لِي: لَا تَقْطَعْ عَنِّي الطَّافِكَ الَّتِي كُنْتُ تُلْطِفُنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ أُسْتَخْلَفَ؛ فَأَتَيْتُهُ بِزَنْبِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ وَالْآخَرَتَيْنِ؛ فَقَالَ: لَقَمْنِيهِ، فَجَعَلْتُ أَقْشِرُ الْبَيْضَةَ وَأَقْرِنُهَا بِالْتِينَةِ حَتَّى أَكَلَ الزَنْبِيلَيْنِ.

العَنْيَنِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ جَرَادِقَ أَصْبَهَانِيَّةٍ^(٤) وَجُنبًا قَبْلَ غَدَائِهِ.

وَعَنْ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ: عَدَدْتُ لِلْحِجَاجِ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ لُقْمَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ رَغِيفٌ مِنْ خَبْزٍ^(٥) الْمَاءِ فِيهِ مِلْءٌ كَفَّهُ سَمَكٌ طَرِيٌّ.

وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ابْنُ أَكُولٍ؛ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ^(٦): مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلْقَامَةُ؟ قَالَ^(٧): اعْتَأَى؛ قَالَ: مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ عِلَّةً.

(١) الجُبِّ: البَثْر.

(٢) القَنَاق: إِنَاءٌ مِنْ عُسْبِ النَّخْلِ يُوَضَعُ فِيهِ الطَّعَامُ.

(٣) هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ أَكُولًا «رَاجِعَ مَرْوَجِ الذَّهَبِ لِلْمَسْعُودِيِّ الْجُزْءِ الثَّالِثِ ص ١٦١».

(٤) الْجَرَادِقُ: فَارْسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ، وَهِيَ بِمَعْنَى الْأَرْغِفَةِ مَفْرُودَهَا جَرْدَقٌ، وَأَصْبَهَانِيَّةٌ: نِسْبَةٌ إِلَى أَصْبَهَانَ مَدِينَةِ بَفَارِسَ.

(٥) كَذَا بِالْأَصْلِ.

(٦) التَّكْمِلَةُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ لِلْجَاهِظِ (ص ١٦٥ ط أوروپا).

(٧) التَّلْقَامَةُ: الْعَظِيمُ اللَّقْمِ.

أكل أبو الأسود الدؤلي وأقعد معه أعرابيا فرأى له لُقْمًا مُنْكَرًا؛ فقال له .
ما اسمُكَ؟ قال: لُقْمَانُ؛ قال: صدق أهْلُكَ، إنك لُقْمَانُ.

وُلِدَ لَابْنُ أَبِي لَيْلَى غُلَامٌ فَعَمِلَ الْأَخْبَصَةَ لِلْجِيرَانِ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَامَ مُسَاوِرُ
الْوَرَّاقِ^(١) فَقَالَ:

مَنْ لَا يَدْسُمُ بِالثَّرِيدِ سِبَالَنَا بعد الثَّرِيدِ فَلَا هَنَاءَ الْفَارِسُ^(٢)
وَقَالَ الْعُجَيْفُ^(٣) فِي أُمِّهِ:

يَا لَيْتَمَا أَمَّنَا شَبَّالَتْ نَعَامَتُهَا إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ إِمَّا إِلَى نَارِ^(٤)
لَيْسَتْ بِشَبْعَى وَإِنْ أَسَكَّتْهَا هَجْرًا وَلَا بِرِيًّا وَلَوْ حَلَّتْ بِذِي قَارِ^(٥)
تَلَهُمُ الْوَسَقَ مَشْدُودًا أَشْظُتُهُ كَأَنَّمَا وَجْهَهَا قَدْ طُلِيَ بِالْقَارِ^(٦)
خَرْقَاءُ فِي الْخَيْرِ لَا تُهْدَى لَوِجْهَتِهِ وَهِيَ صَنَاعُ الْأَذَى فِي الْأَهْلِ وَالْجَارِ^(٧)

رَأَى أَبُو الْحَارِثِ جُمَيْرُ سَلَّةٍ بَيْنَ يَدَيْ رَجُلٍ مِنَ الْمُلُوكِ، فَقَالَ لَهُ:
جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَيُّ شَيْءٍ فِي تِلْكَ السَّلَّةِ؟ فَقَالَ: بَطْرُ أَمِّكَ، قَالَ: فَأَعْضِنِي^(٨)
بِهِ.

(١) مساور الوراق: هو مساور بن سوار بن عبد الحميد، من أهل الكوفة، كان ورّاقاً ينسخ الكتب، روى الحديث له أخبار وأشعار كثيرة.

(٢) السبال: جمع سبله وهي مجتمع الشاربين ومقدم اللحية.

(٣) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة «ط أوروبا ص ٨١٠» إلى شخص راسمه سعد، ونسب في شرح شواهد المغني «ص ٦٧ ط مصر» إلى سعد بن قربة ابن سيار، ويلقب بالنحيت الحدرى.

(٤) شالت: رفعت.

(٥) هجر: مدينة في البحرين مشهورة بالتمر، وذوقار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

(٦) الوسق: الحمل، والأشظة: جمع شظاظ وهو خشبة عفاء تدخل في عروة الجوالق، والقار: القطران.

(٧) الخرقاء: الحمقاء الجاهلة، وصناع الأذى: أي التي تصنعه.

(٨) أعضني به: أي اجعلني أعضه، من العض.

قيل للحارثي: لم لا تُؤْكِلُ الناس؟ فقال: لو لم أترك مؤاكلتهم إلا
لنُزِيعي عن الأسواري لتركها، ما ظنكم برجل نهش بضعة لحم بقرٍ فانقلع
ضرسه وهو لا يدري. وكان إذا أكل ذهب عقله وجَحَظَتْ^(١) عيناه وسُكِرَ
وسِدِرَ^(٢) وتَرَبَّدَ^(٣) وجهه وغضب ولم يسمع ولم يبصر، فلما رأته وما يعتريه
ويعتري الطعام منه صرت لا آذن له إلا ونحن نأكل الجوز والتمر والباقي^(٤)؛
ولم يفجأني قط وأنا أكلُ تمرًا إلا استَفَّه^(٥) سَفًّا وَزَدَا^(٦) به زُدوًا، ولا وجده
كنيزًا^(٧) إلا وتناول القطعة منه كجُمُجَمَةِ الثور كَدَمَهَا^(٨) كَدَمًا، ونهشها طولًا
وعرضًا، ورفعا وخفضًا، حتى يَأْثِي عليها؛ ثم لا يقع عَضُّه إلا على الأنصافِ
والأثلث؛ ولا رمى بنوانٍ قط، ولا نزع قِمَعًا^(٩)، ولا نفى عنه قِشْرًا، ولا فتشه
مخافة السوس والدود.

[وافر]

وقال بعض الشعراء:

تَبَيْتُ تَدْهِيهِ الْقَرَّانَ حَوْلِي كأنك عند رأسي عُقْرُبَانُ^(١)
فلو أطعمتني حَمَلًا سَمِينًا شكرتك والطعام له مكان

[طويل]

وقال بعض الأعراب:

وإن طعاماً ضم كفي وكفها لعمرُك عندي في الحياة مبارك

(١) جَحَظَتْ عيناه: عظمت ونأت مقلناه.

(٢) سِدِرَ الرجل: تحير.

(٣) تَرَبَّدَ وجهه: تغير وتجهم.

(٤) الباقي: نبات.

(٥) استَفَّه: أى ازدردة بنهم بكلتا كفيه.

(٦) زَدَاه: رمى به.

(٧) الكنيز: التمر يجعل في قواصر للشتاء.

(٨) كَدَمَهَا كَدَمًا: عضها بأدنى فيه.

(٩) القمع: ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها.

(١٠) تدهده: تدحرج، والقران: القارورة.

فمن أجلها أَسْتَوْعَبُ الزَادَ كُلَّهُ ومن أجلها أَهْوِي يَدِي فَأَدَارِكُ

وقال آخر: [متقارب]

عَرِيضُ الْبَطَانِ جَدِيدُ الْخَوَانِ قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْتَعِ^(١)

فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكِرْيَاسِهِ وَنِصْفُ لِمَاكُلِهِ أَجْمَعِ^(٢)

الأصمعيّ قال: قيل لأعرابيٍّ: ما يُعجبك من هذا القَنْدِ^(٣)؟ قال: يُعجبني خَضُّهُ وَبَرُّهُ. قال الأصمعيّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

قال خالد بن صفوان يوماً لجاريته: يا جارية، أطعمينا جبناً، فإنه يُشهي الطعامَ وَيَهيجُ الْمَعِدَةَ، وهو يُعَدُّ من حمض العرب. قالت: ما عَدَدْنَا منه شيء. قال: لأَعْلَمِكِ إنه والله، ما عَلِمْتُ، لِيَقْدَحَ في الأسنانِ وَيَسْتَوِلِيَ على البطنِ، وأنه من طعام أهل الذمّة.

كان يقال: إذا كَثُرَتِ الْمُقَدِّرةُ، ذَهَبَتِ الشَّهْوَةُ.

وقال بعض الظرفاء: [طويل]

زَرَعْنَا فَلَمَّا سَلَّمَ اللَّهُ زَرَعَنَا وَأَوْفَى عَلَيْهِ مِنْجَلٌ بِحَصَادِ

بُلَيْنَا بِكُوفِيٍّ حَلِيفِ مِجَاعَةٍ أَضَرَّ عَلَيْنَا مِنْ دَبْيٍّ وَجَرَادِ^(٤)

عن نافع عن ابن عمر قال: «قال النبي ﷺ: مَنْ دَخَلَ على غير دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقاً وَخَرَجَ مُغَيَّراً، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَجَاءَ مَعَ

(١) البطان: حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة، ولعله يريد به عظم بطنه، والمراث: مكان الروث.

(٢) الكرياس: الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض.

(٣) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.

(٤) الدبى: الجراد قبل أن يطير.

الرسول **إِنَّا** ذَلِكْ لَهُ إِذْنٌ». وعن مجاهد: أن ابن عمر كان إذا دُعي إلى طعام وهو صائم يجيب، وكان يهيء اللقمة بيده ثم يقول: كلوا باسم الله فإنني صائم. وعن أسماء بنت رُفيدة قالت: دخلنا على النبي ﷺ، فأُتي بطعام فعرض علينا فقلنا: لا نشتهي، فقال: «لَا تَجْمَعَنَّ كَذِباً وَجوعاً».

دعا رجل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى الطعام، فقال: تأتيتك على ألا تتكلف ما ليس عندك، ولا تدخر عنا ما عندك. وكان يقول: شر الإخوان من تُكلف له^(١).

دعا رجل رجلاً إلى الغداء ثم قال له: هذه بكر زيارة ولم نستعد، فلعل تقصيراً فيما أحب بلوغه؛ فقال الآخر: حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢): أتاني الزبير بن دحمان يوماً فسأله أن يقيم عندي، فقال: قد أرسل إلي الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلف عنه؛ فقلت له: [طويل]

أقم يا أبا العوام ويحك شرب
ونله مع اللاهين يوماً ونطرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيرُه
فخذ به شكرٍ وأترك الفضل يغضب
وقال بعض المحدثين: [خفيف]

نحن قوم متى دُعينا أجبنا
ومتى نُس يدعنا التطفيل^(٣)
ونقل علنا دُعينا فغبنا
وأنا فلم يجدنا الرسول

(١) تُكلف له: من التكلفة، وهي النفقة استعداد لضيافته.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، المغني المشهور والشاعر والأديب.

(٣) التطفيل: من التطفل أي الحشيرة.

كان طَفِيلَ العرائس الذي يُنسب اليه الطُفَيْلِيُّونَ يُوصي أصحابه فيقول لأحدهم: إذا دخلتَ عُرْساً فلا تتلفَتْ تَلَفَتَ المُريب، وتخيّرِ المجالس، وأجذ ثيابك، واعمل على أنها العقدة التي تَسْتَغَل^(١). وإن كان العرس كثير الزحام فمُرْ وائنه^(٢). ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظنّ هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء. وإن كان البوّاب غليظاً وقاحاً^(٣) فابدأ به ومُرّه وانتهه من غير أن تُعَنَّفَ عليه، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال. عرض رجل على ربة الغداء؛ فقال: إن أقسمتَ عليّ وإلاّ فدعني.

[سريع]

ومن أشعار الطُفَيْلِيِّينَ:

دعوتُ نفسي حين لم تدعني فالحمدُ لي لا لك في الدَّعوة
وقلتُ دا أحسنُ من موعِدٍ إخلافه يدعوني إلى جَفْوَةٍ^(٤)
وقال آخر:

[طويل]

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفٌ فأودى بما تُقرى الضيوف الضيافُ^(٥)
وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

[بسيط]

نعم الصديقُ صديقٌ لا يكلفني ذبح الدجاج ولا شَيَّ الفَراريج
يرضى بلونين من كَشْكٍ ومن عدس وإن تشهى فزيتونٌ بطسُوج^(٦)

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيلياً، فإذا كانت وليمةٌ سقوا الناس إليها، فربما بسط معهم البُسْطَ وخدم. ف قيل له في ذلك

(١) العقدة: الحائط الكثير النخل، واستغلال العقدة: استثمارها.

(٢) مُروانة: أمرٌ من أمر ونهى.

(٣) وقاح: أي الوقح.

(٤) الإخلاف: عدم الوفاء بالوعد.

(٥) الضيفن: الطفيلي.

(٦) الكشك: معروف، يصنع من لبنٍ وقمح، والبطسوج: مقدار من الوزن مقداره حبتان من الذائق، والدائق من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق.

فقال: إني أبادر بردَ الماء، وصفو القدور، ونشاطَ الخباز، وخلاء المكان، وغفلة الذبان، وجفاف المنديل.

وقيل لبعض الطنيليين: كم أثنان في آثنين قال: أربعة أرغفة.

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المقدام^(١) أبي كريمة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أيما مسلم ضافه قوم فأصبح الضيف محروماً كان له على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله».

روى ابن العجلان عن أبيه قال: قال أبو هريرة: إذا نزلت برجل ولم يفرّك فقاتله. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الخير أسرع إلى مطعم الطعام من الشفرة في سنام^(٢) البعير».

داود قال: قلت للحسن: إنك تُنفق من هذه الأطعمة وتكثر، قال: ليس في الطعام سرف. وقال الثوري: ليس في الطعام ولا في النساء سرف.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من السنة أن يمشي الرجل مع ضيفه إلى باب الدار».

عن عبد الرحمن بن عباس قال: رأيت ابن عباس في وليمة فأكل وألقى للخباز درهماً.

الأصمعي قال: سئل أقرى أهل الإمامة للضيف: كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأننا لا نتكلف ما ليس عندنا.

(١) المقدام أبي كريمة: هو المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد أبو كريمة الكندي، صحابي، قدم من اليمن ومات بحمص.

(٢) الشفرة: السكين العظيمة العريضة، والسنام: أعلى البعير ولحمه من أطيب اللحم.

عن بعض السُّنَّاك قال: قد أعياني أن أنزلَ على رجلٍ يَعْلَمُ أنني لستُ أكل من رزقه شيئاً.

عن عَوْن بن عبد الله قال: ضَلَّ رجلٌ صائماً في عامِ سنةٍ^(١)، فابْتُلِيَ برجلٍ عند فطره وقد أتى بِقُرْصَيْنِ فألقى إليه أحدهما، ثم قال: ما هذا بِمُشْبِعِهِ ولا بِمُشْبِعِي، ولأنَّ يَشْبَعُ واحدٌ خيرٌ من أن يجوع اثنان، وألقى إليه الآخر. فلما أَوَّى إلى فراشه أتاه آت فقال: سَلْ؛ فقال: أسألُ المَغْفِرَةَ؛ قال: قد فُيِّلَ ذلك بك؛ قال: فإني أسألُ أن يُغَاثَ النَّاسُ.

عن الحسن: أنَّ رجلاً جَهَدَ الجوعَ، ففِطَنَ له رجلٌ من الأعيان، فلَمَّا أَمْسَى أتى به رَحْلَهُ^(٢)، فقال لامرأته: هل لك أن نَطْوِيَ ليلتنا هذه لضيئفنا؟ قالت: نعم قال: فإذا قَدَمَتِ الطعامَ فهاذِني إلى السراج كأنك تُصلِحينه فأطفئيه، ففعلتُ وجاءتُ بشريدةٍ كأنها قِطَاةٌ^(٣) فوضعتها بين أيديهما، ثم دَنَتُ إلى السراج كأنها تُصلِحه فأطفأته، فجعل الأنصاري يضع يده في القصعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطْلِعَ على ذلك رسولُ الله ﷺ؛ فلما أصبح الأنصاري صَلَّى مع الرسول ﷺ الفجر، فلما سَلَّمَ أقبل على الأنصاري وقال: «أنت صاحبُ الكلام الليلة؛ ففزع الأنصاري وقال: أيُّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال: كذا وكذا: قوله لامرأته؛ قال كان ذاك يا رسول الله؛ قال: فوالله لقد عَجِبَ الله من صُنْعِكما الليلة».

الأصمعيّ قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا قَدِمَ عليه بَرِيدٌ قال: هل رأيت في الناس العُرْسَات؟ يعني الخُصْبَ للمسلمين.

(١) سنة: جدبٍ وقحْل.

(٢) الرحل: المنزل.

(٣) القِطَاة: طائرٌ يشبه الحمامَ أغبر اللون.

وقيل لأعرابي كان في مجلسٍ : فيم كنتم؟ قال : كنا في قِدر تفور، وكأس تدور، وغناء يَصور^(١)، وحديث لا يخور^(٢).

بلغني أن محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بحلب على الهيثم بن يزيد التَّنُوخي، فبعث إلى ضيف له من عُذرة فقال : حَدَّثَ أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس؛ قال : نعم، رأيتُ أموراً مُعْجِبةً : منها أني رأيت قرية عاصم بن بكر الهلالي، فإذا أنا بدُورٍ متباعدة، وإذا أخصاص^(٣) مُنْظَمٌ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناس كثيرٌ مُقبلون ومُدبرون وعليهم ثياب حَكُوا بها ألوانَ الزَّهر، فقلت لنفسي : هذا أحد العيدين الأضحى أو الفِطر؛ ثم رجع إليّ ما عَزَبَ^(٤) عني من عقلي، فقلت : خرجت من أهلي في عَقَبٍ صَفَرٍ وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقف ومُتَعَجِّبٌ أتاني رجل فأخذ بيدي فأدخلني داراً قَوْرَاءَ^(٥) وأدخلني بيتاً قد نُجِدَ^(٦) في وجهه فُرْش قد مُهِّدَت وعليها شَابٌ ينال فروعُ شعره كَتِفِيهِ، والناس حوله سِمَاطَانِ^(٧)؛ فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله، فقلت وأنا مائلٌ بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فَجَذَبَ رجلٌ بيدي وقال : اجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت : ومن هو؟ قال : عَرُوسٌ؛ قلت؛ وَأَتَكُلُّ أُمَاهُ! رَبُّ عَرُوسٍ رأيتُ بالبادية أهونُ على أصحابه من هَنٍ أُمِّهِ؛ فلم أَلْبَثُ إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ^(٨) مدوراتٌ من

(١) يَصور : يميل طرباً.

(٢) يخور : يضعف.

(٣) الأخصاص : جمع خُصٍّ، وهو البيت من قصب.

(٤) عَزَبَ : بعد وضاع.

(٥) القَوْرَاءُ : الواسعة.

(٦) نُجِدَ : أي مهَّد بالفرش.

(٧) سِمَاطَان : صَفَان.

(٨) هَنَات مدورات : أشياء ومدورات، وهُنَّ كلمة كناية ومعناها شيء.

خشب وقُضبان، أمّا ما خَفَّ فُيَحْمَلُ حملاً، وأمّا ما ثَقُلَ فُيَدَخَّرَجُ، فوُضِعَتْ
 أمامنا وتحلّق القوم حلَقاً حلَقاً، ثم أُتِينَا بِخَرَقٍ بَيْضٍ فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا،
 فظننتها ثياباً وهممت عندها أن أسأل القوم خِرَقاً أَقْطَعُ مِنْهَا قَمِيصاً، وذلك أني
 رأيت نَسْجاً مُتَلَاكِحاً^(١) لا تبين له سَدَى^(٢) ولا لُحْمَةً؛ فلما بَسَطَ القومُ أَيْدِيَهُمْ
 إذا هو يَتَمَرَّقُ سريعاً وإذا هو فيما زعموا صِنْفَ من الخبز لا أعرفه. ثم أُتِينَا
 بطعامٍ كثيرٍ من حلْوٍ وحامضٍ وحارٍّ وباردٍ، فأكثرْتُ منه وأنا لا أعرف ما في
 عَقْبِهِ مِنَ التُّخْمِ والبَشْمِ^(٣). ثم أُتِينَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي عِساسٍ^(٤)، فلما نظرت
 إليه قلت: لا حاجة لي فيه، أخاف أن يقتلني. وكان في جانبي رجل ناصحٌ
 لي - أحسن الله جزاءه - كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا
 أعرابي، إنك قد أكثرْتَ مِنَ الطَّعامِ، وإن شربتَ الماء انتفخَ بطنُك - فلما ذكر
 البطن تذكُرْتُ شيئاً كان أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي: قالوا: لا تزال حياً
 ما دام شديداً (يعني البطن) فإذا اختلف فأوص - فلم أزل أَدَاوِي به ولا أَمَلُ
 من شربه، فتداخِلني - نالك الخير - صَلَفٌ^(٥) لا أعرفه من نفسي، وبكاء لا
 أعرف سببه ولا عهدَ لي بمثله، واقتدارٌ عليّ أمر أظن معه أني لو أردت نيلَ
 السَّقْفِ لبلَغْتُهُ ولو ساورتُ^(٦) الأسدَ لقتلته، وجعلتُ أَلْتَفْتُ إلى الرجلِ الناصحِ
 لي فتحدَّثني نفسي بِهَتَمِ أَسْنَانِهِ^(٧) وهَشَمِ أَنْفِهِ، وأهَمَّ أحياناً بأن أقول له: يابن

(١) المتلاحك: المتداخل بعضه ببعض، والمتلاحم.

(٢) السدى: ضد اللحم، وهي الفرجة.

(٣) البشم: التخمّة من الأكل.

(٤) عساس: جمع عسي، وهو الزق.

(٥) الصلف: مجاوزة قدر الظرف والإدعاء فوق ذلك تكبراً.

(٦) ساورت الأسد: غالبته من المساورة.

(٧) هتم أسنانه: قلعها، وهتم السن: تحرك وقلق.

الزانية؛ فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة: أحدهم قد علّق في عنقه إِجْعَة فارسية مُشَنَّجَة^(١) الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِّحَتْ^(٢) بالخيوط شَبْحاً منكراً، وقد ألبست قطعة فَرَو كأنهم يخافون عليها القُرّ. ثم بدر الثاني فاستخرج من كُمه هَنَة سوداء كَفَيْشَلَة الحمار فوضع طَرَفها في فيه فضرط فيها فاستتمّ بها أمرهم، ثم حَسَبَ^(٣) على حِجْرَة فيها فاستخرج منها صوتاً ملائماً مشاكلاً بعضه بعضاً كأنه - علم الله - ينطق. ثم بدر الثالث عليه قميص وَسِخ وقد غرق شعره بالذَّهْن ومعه مرأتان فجعل يَمْرِي^(٤) إحداهما على الأخرى مَرِيّاً. ثم بدر الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصير وخُفَّان أَجْذَمَان^(٥) لا ساقين لهما، فجعل يَقْفِز كأنه يَثْب على ظهور العقارب، ثم التبط بالأرض، فقلت: معتوه وربّ الكعبة! ثم ما بَرِح مكانه حتى كان أَغْبَطَ^(٦) القوم عندي، ورأيت الناس يحذوفونه بالدارهم حَذْفاً منكراً. ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من لهُوكم، فبعثوا بهم إليهن. وبقيت الأصوات تدور في آذاننا. وكان معنا في البيت شاب لا أَبَه له، فعَلَّت الأصوات له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينها في صدرها فيها خويطات أربعة، فاستخرج من جنبها عوداً فوضعه على أذنه، ثم زَمَ الخيوط الظاهرة، فلما أَحْكَمَهَا وَعَرَّكَ آذَانَهَا حَرَّكَهَا بِمَجَسَّة^(٧) في يده، فنطقَ وربّ الكعبة! وإذا هي أَحْسَنُ قِيْنَة^(٨) رأيتها قطُّ وغنى عليها

(١) التَشَنُّج: التَقَبُّض. (٢) شُبِّحَتْ: شَدَّتْ.

(٣) حَسَبَ: يريد حَرَّكَ أصابعه على ثِقوت هذه الهنة.

(٤) يَمْرِي: يمسح.

(٥) الأَجْذَم: المَقْطُوع.

(٦) أَغْبَطَ القوم: أَحَبَّهُمْ وَأَطْرَفَهُمْ.

(٧) المَجَسَّة: ما تَحَرَّكَ به أوتار العود.

(٨) القِيْنَة: المَغْنِيَة.

(٩) اسْتَحَفَّهُ: أطربه إلى درجة نسي معها نفسه.

فاستخفني^(١) في مجلسي حتى قمتُ فجلستُ بين يديه، فقلت: بأبي أنت وأمي! ما هذه الدابة؟^(٢) فلستُ أعرفها للأعراب وما خلقتُ إلا حديثاً! فقال: يا أعرابي. هذا البربط^(٣) الذي سمعتُ به؛ فقلت: بأبي أنت وأمي! فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: زير؛ قلت: فما الذي يليه؟ قال: مثنى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المثلث؛ قلت: فالرابع؟ قال: البم؛ قلت: آمنتُ بالله أولاً وبالبعث ثانياً.

وقال الخريمي:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رجليه
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ويخصب عندي والمحل جديب
ولكنما وجه الكريم خصيب

[طويل]

وقال أرطاة بن سهية^(٤):

وإني لقوام إلى الضيف موهناً
دعا فأجابته كلاب كثيرة
إذا أغدفت الستر البخيل المواكل^(٥)
على ثقة مني بما أنا فاعل
وما دون ضيفي من تلاد تحوزة
لي النفس إلا أن تصان الحلائل^(٦)

[طويل]

وقال آخر^(٧):

إذا نزل الأضياف كان عذوراً
على الأهل حتى تستقل مراحله^(٨)

(١) الدابة: الآلة العجماء.

(٢) البربط: العود.

(٣) أرطاة بن سهية: هو من بني مرة بن عوف بن سعد يكتنأ أبا الوليد، عاش أيام الدولة الاموية عبد الملك بن مروان. وله معه حديث.

(٤) أغدفت الستر: أغلقه دونه، والمواكل: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره متكللاً عليه.

(٥) التلاد: المال الموروث، وتحوزة: تملكه.

(٦) الشعر: لزينة بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وقيل: إنه لغيرها.

(٧) العذور: السيء الخلق والقليل الصبر، والمراحل: القدور، جمع مرجل.

يقول: يُسَوِّءُ خُلُقَهُ حَتَّى يُطْعِمَ أَضْيَافَهُ، لِإِعْجَالِهِ إِيَّاهُمْ وَلِخَوْفِ تَقْصِيرِ
يَكُونُ مِنْهُمْ.

[طويل]

وَقَالَ دِغْبِلُ:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِمَةِ الْعَبْدِ

[طويل]

وَقَالَ آخَرُ^(١):

لِحَافِي لِحَافُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقَنَّعُ^(٢)
أَحَدُهُ، إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقَرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ^(٣)

[طويل]

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْعُذَافِرِ:

لَعَمْرُكَ مَا الْأَرْزَاقُ يَوْمَ اكْتِيَالِهَا بِأَكْثَرِ خَيْرٍ مِنْ خَوَانِ عُذَافِرِ^(٤)
وَلَوْ ضَافَهُ الدَّجَالُ يَلْتَمِسُ الْقَرَى وَحَلَّ عَلَى خَبَّازِهِ بِالْعَسَاكِرِ^(٥)
بِعِدَّةٍ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ كُلَّهُمْ لِأَشْبَعَهُمْ يَوْمًا غَدَاءُ الْعُذَافِرِ^(٦)

[كامل]

وَقَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(٧):

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِنْدُرُ
مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

(١) ذكر أبو الفرج هذا البيت ضمن أبياتٍ منسوبة إلى قيس بن عاصم المنقري «انظر الأغاني ج ١٢ ص ١٥٠ ط بولاق».

(٢) الغزال المقنّع: كناية عن امرأته.

(٣) القرى: الضيافة، ويهجع: يرقد وينام.

(٤) العذافر: هو العذافر بن يزيد التيمي، أحد أجواد العرب، وداره على نسخة بلعم، والعذافر: صفة من صفات الأسد.

(٥) الدجال: الذي يخرج في آخر الزمان ومعه حشدٌ عظيم.

(٦) يأجوج ومأجوج: قومٌ ذكروا في القرآن الكريم وهم حشدٌ عظيم العدد.

(٧) مسكين الدارمي هو ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم. لقب مسكين لأنه قال:

وَسَمِيتُ مَسْكِينًا وَكَانَتْ لِحَاجَةً وَإِنِّي لِمَسْكِينٍ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ

صاف رجلاً من كلب أبا الرّمكاء الكلبيّ، ومع الرجل فضلة من حنطة، فراحَت مِعْزَى أبي الرّمكاء، فحلبَ وشرب، ثم حلب وسقى ابنه، ثم حلب وسقى امرأته؛ فقال الرجل: ألا تسقون ضيفكم؟ فقال أبو الرّمكاء: ما فيها فضل؛ فاستخرج الرجل ما في عِكمِه^(١) من طعام وقال: هل من رَحَى؟ فأسرعوا بها نحوه، فطحن وعجن وأوقد خبزته وأخرجها ففَضَّها، فإذا رسول أبي الرّمكاء يقول: يقول لك أبو الرّمكاء: لا عهد لنا بالخبز؛ فقال الرجل: ما فيها فضل، ثم أكل وازتحل، وقال:

[طويل]

وبات أبو الرّمكاء لم يسقِ ضيفه من المَحْضِ ما يطوي عليه فيرقُدُ^(٢) فقامت إلى حنانة فوق أختها ونارٍ وباتت وهي توري وتوقدُ رسائل تشكي الجوع والحيُّ سَهْدُ وقال أبو الرّمكاء بالخبز عهده قديمٌ له حولٌ كريبٌ مَطَرْدُ^(٣) فقلت ألا لا فضل فيها لياخلِ ولا مَطْمَعٌ حتى يلوح لنا الغدُ فبات أبو الرّمكاء من فرط ريحها يئنّ كما أن السليم المُسَهَّدُ^(٤)

ذكر أعرابي قوماً فقال: ألغوا من الصلاة الأذان، مخافة أن تسمعه الأذان، فيهلّ عليهم الضيفان.

وقال بعضهم في ذلك:

[وافر]

أقاموا الدَّيْدَبَانَ على يَفَاعٍ وقالوا لا تَنَمُ للدَّيْدَبَانِ^(٥) فإن أبصرت شخصاً من بعيدٍ فصَفَّقْ بالبنان على البنان

(١) العِكم: ما يسط من الثياب ويجعل فيه المتاع.

(٢) المحض: اللبن الخالص، يطوي: من الطوي وهو الجوع، أي يسدّ به جوعه.

(٣) الكريب: المكروب الذي اشتدَّ غمّه.

(٤) السليم: اللديغ، وسَمِيَ سليماً تيمناً بالسلامة وهو من الأضداد.

(٥) الدَّيْدَبَان: الرقيب، والحارس، واليفاع: المرتفع من الأرض.

تراهم خشية الأضياف خرساً يُصلُّون الصلاة بلا أذان

وقال زياد الأعجم: [طويل]

وتكعم كلب الحي من خشية القرى وقدرك كالعذراء من دونها ستر^(١)

وقال آخر: [طويل]

وإني لأجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يضري بنا فيعود^(٢)

وقال آخر: [كامل]

أعددت للضيفان كلباً ضارياً عندي وفضل هراوة من أرزن^(٣)

ومعاذراً كذباً وجهاً باسراً متشكياً عَضَّ الزمان الألزن^(٤)

رأى رجل الحطيئة ويده عصا؛ فقال: ما هذه؟ قال: عَجْراء^(٥) من سلم،

قال: إني ضيف، قال: للضيفان أعددتها.

وقال آخر: [بسيط]

وأبغض الضيف ما بي جُلُّ مأكله ألا تنفخه حولي إذا قعدا

ما زال ينفخ جنبه وحبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولد^(٦)

وقال حميد الأرقط^(٧) يذكر ضيفاً: [طويل]

إذا ما أتانا وراؤ المصير مُسرماً تأوب ناري أصفر العقل قافل^(٨)

(١) تكعم الكلب: تشد فاه لئلا ينبح فينبه الطارقين، ومعنى الشطر الثاني أن قدرك محبوب عن الناس كما تحجب العذراء.

(٢) يضري بنا: يولع بنا ويعتاد علينا. (٣) الأرزن: شجر صلب تتخذ منه العصي.

(٤) الألزن: الشديد الكلب. (٥) العجرا: من العصي ما فيها عقْد.

(٦) الحبوة: كناية عن الجسم، والحبوة: ما يُحتبى به من ثوب أو نحوه.

(٧) حميد الأرقط: هو حميد بن ثور، أحد رجّاز العرب المشهورين سمي بالأرقط لآثار كانت في وجهه «راجع اللسان مادة رقط».

(٨) الهرمل: الذي نفذ زاده، وتأوب: جاء أول الليل، وأصفر العقل: والقافل: اليابس الجلد وقيل: اليابس اليد.

فقلتُ لعبيديّ أعجلاً بعشائه فقال وقد ألقى المراسي للقرى فقلتُ لعَمري ما لهذا طَرَقْتنا تُجَهِّز كَفَّاهُ فيحْدُرُ حَلْقُه أَتانا ولم يَعِدْهُ سَحْبَانُ وائلٍ فما زال منه اللَّقْمُ حتى كأنه

وخيرُ عشاء الضيف ما هو عاجلُ
أبْنُ لي ما ألحَّجَّاجُ بالناس فاعل^(١)
فكُلْ ودَعْ الأخبارَ ما أنت آكلُ
إلى الزَّورِ ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ^(٢)
بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ^(٣)
من العيِّ لَمَّا أن تَكَلَّمَ باقلُ^(٤)

وقال أيضاً في نحو ذلك:

[بسيط]

ومُرملين على الأقتاب برهمُ
مقدمين أنوفاً في عصائبهمُ
يُسْطَرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا
باتوا وجَلَّتْنا الصهباءُ بينهمُ
فأصبحوا والنَّوى عالي مُعَرِّسِهمُ

حقائبُ وعُباءُ فيه بُعْرينُ^(٥)
هُجْناءُ، ألا جُدِعَتْ تلك العرائنُ^(٦)
وكلُّ ما سَطَروا لِلقَمِ تمكينُ
كأنَّ أظفارهم فيها سكاكينُ^(٧)
وليس كُلُّ النوى تُلقِي المساكينُ^(٨)

وقال أيضاً في نحو ذلك:

[طويل]

-
- (١) ألقى المراسي للقرى: أي نهياً لتناول الطعام.
(٢) تحدر: تسرع وتنزل، والزور: أعلى الصدر.
(٣) سحبان وائل: جاهلي مشهور بالخطابة والفصاحة.
(٤) العي: الحصر، وباقل: جاهلي مشهور بالعي.
(٥) كذا بالأصل، والمرملين: الذين نفد زادهم جمع.
(٦) العرائن: الأنوف.
(٧) الجلّة: قفّة التمر من سعف النخل وليفه، ولذلك وصفها بالصّهب. والصهبه: اللون الذي يميل إلى حمرة أو شقرة.
(٨) التعريس: موضع النزول آخر الليل للراحة، والمعنى أنّه قدّم لهم النوى بكثرة فأكلوا قسماً وأدخروا آخر للحاجة.

وعاوَ عَوَى والليل مُستَحِلْسُ النَّدى وقد ضَجَعْتُ لِلْعَوْرِ تَالِيَةُ النِّجْمِ^(١)
 فَسَلَّمَ تَسْلِيمَ الصَّدِيقِ وَلَمْ يَكُنْ صَدِيقاً لَنَا إِلَّا لِيَأْنَسَ بِاللَّقَمِ
 فَقُلْتُ لَهُ وَالنَّارُ تَأْخُذُ صَدْرَهُ لَقَمْتُ لِسَمْتٍ أَوْ سَرَيْتُ عَلَى عِلْمِ^(٢)
 وقال بعض الرُّجَّازِ:

بَرَّحَ بِالْعَيْنَيْنِ خَطَّابُ الْكُثْبِ^(٣) يقول إِنِّي خَاطِبُ وَقَدْ كَذَبَ
 وَإِنَّمَا يَطْلُبُ عُسّاً مِنْ حَلَبِ^(٤)

وقال آخر:

إِنِّي لَمِثْلُكُمْ مِنْ سَوْءِ فَعْلُكُمْ إِنْ زَرْتُكُمْ أَبَدًا إِلَّا مَعِيَ زَادِي
 وقال حَمَّادُ عَجْرَدَ:

حُرَيْثُ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَبْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمِعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
 تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً
 عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ زِيَادُ لَغِيلَانَ بْنِ خَرْشَةَ^(٥): أَجَبَ أَنْ تُحَدِّثَنِي عَنِ
 الْعَرَبِ وَجُهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا^(٦)، لِنُحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النُّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا؛
 فَقَالَ غِيلَانُ: حَدِّثَنِي عَمِّي قَالَ: تَوَالَتْ عَلَى الْعَبْرِ سِنُونَ تَسْعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

(١) مستحلس الندى: أي هو متراكب يعلو بعضه بعضاً لكثرة وضجعت للغور: مالت للمغيب، وتالية النجم: إحدى تالية النجوم وهي آخرها.

(٢) السمّت: السير على الطريق بالظن أو الحدس.

(٣) برّح بالعينين: أجهدها، والخطاب: كثير التصرف في الخطبة، والكُثْب: جمع كُثْبَة وهي القليل من الماء واللبن، يعني أَنَّ الرجل يجيء بعلّة الخطبة وإنّما يريد القرى.

(٤) العُسّ: وعاء اللبن، والزّق.

(٥) هو غيلان بن خرشة الضبي راجع اللسان مادة «غول».

(٦) ضنك العيش: شدته وقسوته.

حَطَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ^(١)، فخرجتُ على بَكْرٍ^(٢) لي في العرب. فمكثتُ سبعةً لا أَطْعَمُ شَيْئاً إلا ما ينالُ منه بعيري أو من حَشَرَاتِ الأرض، حتى دَفَعْتُ في اليوم السابع إلى حواءٍ عظيمٍ^(٣)، فإذا بَيْتٌ جُحَشٍ^(٤) عن الحيّ، فملتُ إليه فخرجتُ إليّ امرأةٌ طُوالةٌ حُسّانةٌ^(٥)؛ فقالت: من؟ قلت: طارق ليلٍ يلتمس القِرَى؛ فقالت: لو كان عندنا شيءٌ لآثرناك به، والدّالُّ على الخير كفاعله، جسّ^(٦) هذه البيوتُ ثم أنظرُ إلى أعظمِها، فإن يك في شيءٍ منها خيرٌ ففيه؛ ففعلتُ حتى دَفَعْتُ إليه، فرحّب بي صاحبه وقال: من؟ قلت: طارق ليلٍ يلتمس القِرَى؛ فقال: يا فلانُ، فأجابه، فقال: هل عندك طعامٌ؟ فقال لا؛ فوالله ما وَقَرَّ^(٧) في أذني شيءٌ كان أشدَّ منه. قال: فهل عندك شرابٌ؟ قال لا، ثم تأوّه فقال: بلي! قد بَقِينَا في ضَرْعِ الفلانة^(٨) شيئاً لطارقٍ إن طَرَقَ، قال: فأت به، فأتى العَطَنُ فابتعثها^(٩). فحدّثني عمي أنه شهد فتح أصبِهَانِ وتُسْتَرٍ ومُهَرَجَانَ وكُوَرِ الأهوازِ وفارسَ وجاهَهُ عند السلطان وكثرة ماله وولده، قال: فما سمعتُ شيئاً قطُّ كان أشدَّ من شَخْبٍ^(١٠) تيك الناقة في تلك العُلبَةِ؛ حتى إذا ملأها وفاضت من جوانبها وارتفعت عليها شمكرة^(١١) كُجَمَةِ الشيخ^(١٢)، أقبل بها

(١) حطمت كل شيء: أفنته وبذّته.

(٢) البكر: الفتى من الإبل.

(٣) الحواء: مجتمع البيوت.

(٤) جحش: نحى وأبعد عن البيوت.

(٥) جسّ: تعرّف أحوالها..

(٦) الوقر: الثقل في الأذن، أي إنه لم يشعر بكلام أنقل منه وأمر.

(٧) الفلانة: كناية عن غير آدميين لأنها معرفة، وإذا لم تكن معرفة فهي كناية عن الآدميين.

(٨) العطن: المأوى والمراح الذي تجعل فيه الإبل.

(٩) الشخب: الصوت الذي يحدث عن حلب الضرع واستخراج اللبن.

(١٠) الشمكرة: الرغوة التي تعلو اللبن عند الحلب.

(١١) الجمة: مجتمع شعر الرأس..

يَهْوِي تحوي، فَعَثَرُ يعود أو حجر، فسقطت العُلبَة من يده، فحدّثني أنه أُصيب بأبيه وأمه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلبَة. فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهراً سيفه فبعث الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها سَناماً ودفع إليه مُدِيَّةً وقال: يا عبد الله اصْطَلِ واحْتَمِلْ^(١). قال: فجعلت أهوي بالبَضْعَة إلى النار فإذا بلغت إناها^(٢) أكلتها، ثم مسحتُ ما في يدي من إهالتها^(٣) على جلدي وقد كان قَحْل^(٤) على عظمي حتى كأنه شَنٌّ^(٥). ثم شَرِبْتُ شَرْبَة ماءٍ وَخَرَزْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ فما أفقتُ إلى السَّحَر. وقطع زيادُ الحديث وقال: لا عليك ألا تخبرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به؟ قلت: أبو عليٍّ عامرُ بن الطَّفِيل.

قال بعض الشعراء يهجو قوماً: [كامل]
وتراهم قبل الغداء لضيْفِهِم يَتَخَلَّلُون صُبابَةً لِلزَّادِ^(٦)
وقال آخر^(٧): [مجزوء الكامل المرفل]
إِسْتَبَقِي وَدَّ أَبِي الْمُقَا تِل حِينَ تَأْكُل مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّانٍ كَسْرٌ رَغِيفِهِ أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
فتراه من خوفِ النَّزِيرِ لَ بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ

(١) اصطَلِ واحتمل: أي اشوي اللحم.

(٢) إناها: نضجها.

(٣) إهالتها: من أثرها الذي تركته عند تناولها.

(٤) قَحْل: ييس.

(٥) الشَنُّ: القرية الصغيرة البالية، وشَنُّ الثوب: يلي.

(٦) يتخلَّلون: أي يستعملون السَّوَاكَ لتنظيف أسنانهم؛ والصبابة: البقية القليلة الزَّاد، أي أنهم يستعملون السَّوَاكَ لإفهام الضيف أن طعامهم. أوشك على النَّفاد وأن ليس لديهم إلا القليل منهم.

(٧) في نهاية الأرب «ج ٣ ص ٣١٨ ط أولى» نسب هذا الشعر لدعبل الخزاعي.

فإذا مررت ببابه فأحفظ رغيْفَكَ من غلامه

وقال آخر^(١):

[بسيط]

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا لا والرغيْفِ، فذاك البرُّ من قَسَمِهِ^(٢)
 قد كان يُعْجِبُنِي لو أَنَّ غَيْرَتَهُ على جِراذِقِهِ كانت على حُرْمِهِ^(٣)
 إِنْ رَمَتْ قَتْلَتَهُ فافْتُكْ بِخُبْزَتِهِ فَإِنَّ مَوْقِعَهَا من لحمه ودمه

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دُلْفٍ: كيف كان طعامه؟ قال: كان على

مائدته رغيْفان بينهما نُقْرَةٌ جَوْزِيَّةٌ؛ وقال:

[وافر]

أَبُو دُلْفٍ يُضَيِّعُ أَلْفَ أَلْفٍ وَيَضْرِبُ بِالْحُسَامِ عَلَى أَلْرَغِيْفِ
 أَبُو دُلْفٍ لِمَطْبَخِهِ قَتَارٌ وَلَكِنْ دُونَهُ ضَرْبُ السِّیُوفِ^(٤)

وقال أَبُو الشَّمَقْمَقِ^(٥):

[وافر]

رَأَيْتُ الْخُبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخُبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ
 وَمَا رَوْحَتُنَا لِتَذُبَّ عَنَّا وَلَكِنْ خِفَتْ مَرَزْنَةُ الذُّبَابِ

وقال دِعْبِلُ:

[خفيف]

إِنَّ مَنْ ضَنَّ بِالْكَنِيفِ عَلَى الْأُضْيِ فِ بَغِيرِ الْكَنِيفِ كَيْفَ يَجُودُ!^(٦)
 مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِحُشٍّ قَبْلَ هَذَا لِبَابِهِ إِقْلِيدُ^(٧)

(١) هو أبو تَمَام الطائي «انظر ديوانه. باب الهجاء قافية الميم».

(٢) أَلَيْتَهُ: قَسَمِهِ.

(٣) الجِراذِقُ والجِراذِقُ: الرغيْفُ باللغة الفارسية.

(٤) القَتَارُ: الدخان.

(٥) أَبُو الشَّمَقْمَقِ: هو مروان بن محمد. شاعر هَجَاء من أهل البصرة. خراساني الأصل من موالي

بني أمية. له أخبار مع شعراء عصره كبشار وابي نواس.

(٦) الكنيف: الساتر الذي يقضي فيه الإنسان حاجته.

الحش: بيت الخلاء، والإقْلِيد: المفتاح.

إن يكن في الكنيف شيءٌ تخبّا ه فعندي إن شئت فيه مزيدٌ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء^(١).

قال أبو محمد: شوى لجعفر بن سليمان الهاشمي دجاج ففقد فخذ من دجاجة، فأمر فنودي في داره: من هذا الذي تعاطى فعقر^(٢) والله لا أخبز في هذا الثور شهراً أو يُردّ! فقال أبنته الأكبر: أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا!.

قال بعض الشعراء^(٣): [سريع]

يا تبارك البيت على الضيف وهارباً منه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبز له فارجع فكن ضيفاً على الضيف

وقال أبو نؤاس^(٤): [مجزوء الرمل]

خبز إسماعيل كلوش ي إذا ما شقّ يرفاً^(٥)
عجباً من أثر الصند عة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هذا أحقّ الأمة كفا
فإذا قابل بالنصف ف من الجردق نصفاً^(٦)

(١) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعراء، وهي أن دعبلاً كان ضيفاً لرجل، فقام لحاجته فوجده باب الكنيف مرتجاً فلم يتهياً فتحه حتى أعجله الأمر.

(٢) عقر: أي جرح وعض، كناية عن أكل الفخذ.

(٣) قال هذا الشعر رجل من الإمامة نزل على مروان بن أبي حفصة الشاعر ضيفاً، فأخلى مروان له المنزل وهرب مخافة أن يلزمه قراه في تلك الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه الشعر «انظر المستطرف للأبشيهي (ج ١ ص ٢٠٦).

(٤) قال الشعر في إسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره، طارمة. «بيت من خشب كالقبة، معرب» واصططح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نؤاس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم.

(٥) الوشي: : نوع من الثياب معروف، ويرفا: من رفا الثوب، أي أصلحه، والرفاء: الالتحام.

(٦) الجردق: الرغيف «معرب عن الفارسية».

مثل ما جاء من آلَند حور ما غادر حرفاً
أحكم الصنعة حتى لا يُرى موضعُ إشفَى^(١)
وله في الماء أيضاً عملٌ أبدعَ ظرفاً
مزجُه العذبَ بماءِ الـ يشرب كي يزدادَ ضعفاً
فهو لا يشربُ منه مثل ما يشرب صِرْفاً^(٢)

عن عبد العزيز بن عمران قال: نزلتُ بيت ابنِ هُرْمَة فقلت: آنحروا لنا
جُزوراً؛ فقلت: والله ما هي عندنا؛ فبقرة، قالت لا؛ قلت: فشاة، قالت لا؛
قلت: فدجاجة، قالت لا؛ فأين قول أبيك: [منسرح]
لأمتع العودَ بالفِصال ولا أبتاعُ إلا قريبةً الأجل^(٣) .
قالت: ذاك أفناها. فبلغ ابنُ هُرْمَة ما قالت، قال: أشهدُ أنها ابنتي،
وأشهدُ أن داري لها دون الذكور من أولادي.

قال ابن أبي فَننٍ^(٤): [منسرح]
لا أشتُم الضيفَ ولكنني أدعوله بالقُرب من طوقٍ^(٥)
بقُرب مَنْ إن زاره زائرٌ مات إلى الخبز من الشوقِ
دخل على ابنِ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه قَرَارِيجُ، فغطَّى
الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه في جيبه وقال للداخل عليه: كن في الحجرة
الأخرى حتى أفرغَ من بخوري.

(١) الإشفَى: المخرز..

(٢) الصرف: الخالص الصريح من الخمر وغيره.

(٣) العود: الحديثات النتاج من الطباء والإبل والخيول، والفصال: جمع فصيل، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه، يريد أنه لا يمتع العود بأولادها بل يذبحها لضيفه.

(٤) ابن أبي فَننٍ: هو أحمد بن صالح بن أبي فَننٍ، شاعرٌ معاصرٌ للمنصور العباسي.

(٥) طوق: اسم علم.

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه قال: دخل رجل على رجل قد تغذى مع قوم ولم تُرفع المائدة قال لهم: كُلُوا وأجهزوا على الجرحى. يريد: اِكُلُوا ما كُسِرَ ونيل منه ولا تعرّضوا إلى الصحيح.

قال: وقال لقوم يؤاكلونه: يزعمون أن خبزي صغار! أيّ ابن زانية يأكل من هذا رغيفين! قال: ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث: تغذيت اليوم؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغذيت لغذيتك بطعام طيب. وإن قال لا، قال: لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح. فلا يكون له على الوجهين لا قليل ولا كثير.

وحكي عن أبي نواس أنه قال: قلت لرجلٍ من أهل خراسان: لِمَ تأكل وحدك؟ قال: ليس عليّ في هذا الموضع سؤال؛ إنما السؤال على من أكل مع الجماعة، لأن ذاك تكلف وأكلي وحدي هو الأكل الأصلي.

وكنّا عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر^(١)، فأتته من البصرة هدايا، وكان فيها زقاق دوشاب^(٢)، فقسمها بيننا، فكلّنا أخذ ما أعطي، غير الجزامي، فأنكرنا ذلك وقلنا: إنما يجزّع الجزامي من الإعطاء وهو عدوّه، فأما الأخذ فهو ضالّته وأمنيته؛ فإنه لو أعطي أفاعي سجستان، وثعابين مصر، وجّرارات^(٣) الأهواز لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعاً عليها؛ فسألناه عن سبب ذلك، فتعسّر قليلاً ثم باح بسرّه وقال: وَضِيعَتُهُ^(٤) أضعاف ربحه، وأخذّه من أسباب الإدبار؛ قلت: أول وضائعه احتمال ثقل السكر؛ قال: هذا لم يخطر

(١) كسكر: كورة من كور بغداد وقصبتها واسط وهي مشهورة بالفرايح الكسكرية.

(٢) الدوشاب: نبيذ التمر «معرب».

(٣) جّرارات الأهواز: عقاربها القتالة.

(٤) وضيعته: خسارته وغرمه.

ببالي قط، ولكن أول ذاك كراء الحَمَال^(١)، فإذا صار إلى المنزل صار سبياً لطلب العَصيدة والارزّة والاستنفود^(٢)، فإن بعته فراراً من هذا البلاء صيرتموني شهرة^(٣)، وإن أنا حبسته ذهب في العَصائد وأشباهها، وجذب ذلك شراء السمن، ثم جذب السمن غيره، وصار هذا الدوشاب علينا أضر من العيال؛ وإن أنا جعلته نبیذاً احتجت إلى كراء القُدور وإلى شراء الحَب^(٤) وإلى شراء الماء وإلى كراء من يُوقد تحته؛ فإن وليت ذلك الخادم اسودّ ثوبها وغرمتنا ثمن الأشنان^(٥) والصابون، وازدادت في الطعم على قدر الزيادة في العمل؛ فإن فسَد ذهبت النفقة باطلاً ولم يُستخلف^(٦) منها عوضاً بوجه من الوجوه، لأن خلّ الداذي^(٧) يخضب اللحم ويغير الطعم ويسود المرقّة ولا يصلح إلا للاصطباغ. وإن سليم - وأعوذ بالله - وجاد وصفا لم نجد بُداً من شربه ولم تطب أنفسنا بتركه؛ فإن قعدت في البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك سُلّاف^(٨) الفارسيّ المُعسل، والدجاج المُسمّن، وجداء كَسَكِر^(٩) وفاكهة الجبل والنقل الهشّ والرّيحان الغضّ، عند من لا يغيض^(١٠) ماله، ولا تنقطع مادّته، وعند من لا يبالي على أي قُطريه^(١١) سقط مع فوّت الحديث المؤنس والسّماع الحسن؛ وعلى أني إن جلستُ في البيت أشربه لم يكن بُدّ من واحد، وذلك

(١) كراء الحَمَال: أجرته.

(٢) الاستنفود: كلمة فارسية.

(٣) الشهرة: ظهور الشيء في شناعة.

(٤) الحَب: الجرة.

(٥) الأشنان: الحمض الذي تغسل به الأيدي.

(٦) نستخلف: أي يكون خلفاً لها؛ نستتج.

(٧) الداذي: شراب الفُسّاد، وهو الخمر، «فارسيّ معرّب».

(٨) السُلّاف: ما سأل من عصير العنب قبل أن يعصر، وتسمى الخمر سلافاً.

(٩) كَسَكِر، تقدّم تعريفها «ص ٢٥٠» من هذا الجزء وهي مشهورة بالفرايح.

(١٠) يغيض ماله: ينقصي.

(١١) القطر: الناحية.

الواحد لا بُدَّ له من لحمٍ بدرهم، ونَقْلٍ بَطْسُوج^(١)، وريحانٍ بِقِيرَاطٍ^(٢)، ومن أَبْزَارٍ لِلْقِدْرِ وَحَطَبٍ لِلْقُودِ؛ وهذا كله غُرْمٌ وشَوْمٌ وَحِرْمَانٌ وَحُرْفَةٌ^(٣)، وخروج من العادة الحسنة. فإن كان النديم غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالاً مني، وإن كان موافقاً فقد فتح الله على ما لي به باباً من التَّلَفِ، لأنه حينئذ يسير في مالي كَسِيرِي في مال غيري ممَّن هو فوقِي. فإذا عَلِمَ الصديقُ أن عندي دَاذِيّاً^(٤)، أو نبِيذاً دَقَّ على البابِ دَقَّ المَدَلِّ، فإن حَجَبْنَاهُ قَبْلَاءَ، وإن أدخلناه فشقَاءَ. وإن بدا لي في استحسان حديثِ الناس كما يستحسنه مني مَنْ أكون عنده، فقد شاركتُ المُسْرِفينَ، وفارقتُ إخواني الصالحينَ، وصِرْتُ من إخوان الشياطينَ؛ والله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ يقول: ﴿إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٥)؛ فإذا صِرْتُ كذلك فقد ذهب كسبي من مالٍ غيري، وصار غيري يكتسب مني؛ وأنا لو ابتليتُ بأحدهما لم أقم به فكيف إذا ابتليتُ بأن أُعْطِيَ أولاً آخِذُ، وبأن أُوْكَلَّ ولا أَكُلَّ! أعوذ بالله من الخَذْلَانِ بعد العِصْمَةِ، ومن الخَوَرِ بعد الكَوَرِ^(٦)؛ ولو كان هذا في الحداثة كان أهون. هذا الدُّوْشَابُ دَسِيسٌ من الحُرْفَةِ، وكَيْدٌ من الشَّيْطَانِ، وخُدْعَةٌ من الحَسُودِ، وهو الحلاوة التي تُغْغَبُ المرارة. ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملَّنِي فهو يحتال لي الحِيلَ!

وحكي عن الحارثي أنه قال: الوَحْدَةُ خيرٌ من جِليْسِ السَّوِّءِ، وجِليْسُ السَّوِّءِ أخيرٌ من أَكْيَلِ السَّوِّءِ؛ لأن كلَّ أَكْيَلٍ جِليْسٌ وليس كلَّ جِليْسٍ أَكْيَلٌ؛ فإن

(١) الطسوج: ربع الدانق من الدرهم.

(٢) القيراط: نصف الدانق من الدرهم.

(٣) الحُرْفَةُ: الحرمان.

(٤) الداذي: الخمر.

(٥) سورة الإسراء الآية ٢٧.

(٦) الخور: النقصان، والكور: الزيادة.

كان لا بدّ من المؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر عليّ بالمخ، ولا ينتهز بيضة^(١) البقيلة؛ ولا يلتقم كبد الدجاج، ولا يبادر إلى دماغ السلاء^(٢)، ولا يختطف كُلية الجدي، ولا يزدرق فائصة الكركي^(٣)، ولا يتترع شاكلة^(٤) الحمل، ولا يتلع سرّة السمك، ولا يعرض لعيون الرءوس، ولا يستولى على صدور الدّراج^(٥)، ولا يسابق إلى أسقاط الفِراخ، ولا يتناول إلا ما بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره، ولا يمتحن الإخوان بالأمور الثمينة، ولا ينتهك أستاذ الناس بأن يشتهي ما عسى ألا يكون موجوداً؛ فكيف تصلح الدنيا ويطيب العيش بمن إذا رأى جزورية^(٦) التقط الأكباد والأسنمة^(٧)، وإذا عين بقرية استولى على العراق^(٨) والقطنة^(٩)، وإن عين بطن سمكة اخترق كل شيء فيه، وإن أتوا بجنب شواء اكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سنّ لضعفه، ولا يرقّ على حدّث لحدة شهوته، ولا ينظر للعيال، ولا يُبالي كيف دارت الحال. وأشدّ من كل ما وصفنا أنّ الطباخ ربّما أتى باللون الظريف الطريف، والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص صغير الحجم، فيقدّمه حاراً

(١) في الأصل: البيضة المقلية، وفي كتاب البخلاء للجاحظ بيضة البقيلة، وقد أوردها المحبّي في كتابه «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه فقال: «بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطعمة ولا نستحسن المبادرة إليها».

(٢) السلاء: طائر أغبر طويل الرجلين.

(٣) الكركي: طائر يقرب من الإوز أبتز الذنب رمادي اللون في خذه لمعات سود يأوي إلى الماء أحياناً.

(٤) الشاكلة: الخاصرة.

(٥) الدّراج: طائر أصغر من الحجل ملوّن الرّيش.

(٦) الجزورية: الذبيحة، أو ضرب من الطعام ينسب إلى الجزور.

(٧) الأسنمة: جمع سنم وهو أعلى البعير.

(٨) العراق: ما دون السرة من الحشا معترضاً بالبطن.

(٩) القطنة: مثل الرّمانة تكون على الكرش، وهي ذات الأطباق.

مُمْتِنِعًا، وربما كان من جوهرِ بَطِيءِ الْفُتُورِ، وأصحابنا في سهولِ اِزْدِرَادِ الْحَارِّ عَلَيْهِمْ فِي طِبَائِعِ النَّعَامِ، وَأَنَا فِي شِدَّةِ الْحَارِّ عَلَيَّ فِي طِبَاعِ السَّبَاعِ، فَإِنْ نَظَرْتُ^(١) إِلَى أَنْ يُمَكِّنَ أَتَوًا عَلَى آخِرِهِ، وَإِنْ أَنَا بَادَرْتُ مَخَافَةَ الْفُوتِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَشَارِكَهُمْ فِي بَعْضِهِ لَمْ آمَنْ ضَرَرَهُ؛ وَالْحَارُّ بِمَا قَتَلَ وَرَبَّمَا أَعْقَمَ وَرَبَّمَا أَبَالَ الدَّمِ. قَالَ: وَغَوَيْتُ عَلَى تَرْكِهِ إِطْعَامَ النَّاسِ مَعَهُ وَهُوَ يَتَخَذُ فَيُكْثِرُ، فَقَالَ: أَنْتُمْ لِهَذَا أَتْرَكُ مِنْي، فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَكْثَرُ مَالًا وَأَعْدُدُ عُدَّةً، فَلَيْسَ بَيْنَ حَالِي وَحَالِكُمْ مِنَ التَّفَاوُتِ أَنْ أُطْعِمَ أَبَدًا وَتَأْكُلُوا أَبَدًا، فَإِذَا أَتَيْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مِنَ الْبَذْلِ عَلَى قَدَرِ احْتِمَالِكُمْ، عَلِمْتُ أَنَّكُمْ الْخَيْرَ أَرَدْتُمْ، وَإِلَى تَزْيِينِي ذَهَبْتُمْ، وَإِلَّا فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تَحْلُبُونَ حَلَبًا لَكُمْ شَطْرُهُ^(٢).

قَالَ: كَانَ أَبُو ثُمَامَةَ أَفْطَرَ نَاسًا وَفَتَحَ بَابَهُ فَكَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، وَكُلَّكُمْ وَاجِبُ الْحَقِّ، وَلَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَعُمَّكُمْ بِالْبِرِّ كُنْتُمْ فِيهِ سَوَاءً وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُكُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْضٍ؛ كَذَلِكَ أَنْتُمْ إِذَا عَجَزْنَا أَوْ بَدَأْنَا، فَلَيْسَ بَعْضُكُمْ أَحَقُّ بِالْحَرَمَانِ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضٍ، وَمَتَى قَرَبْتُ بَعْضَكُمْ وَفَتَحْتُ بَابِي لَهُمْ وَبَاعَدْتُ الْآخَرِينَ، لَمْ يَكُنْ فِي إِدْخَالِ الْبَعْضِ عَذْرًا، وَلَا فِي مَنَعَ الْآخَرِينَ حُجَّةً؛ فَانْصَرَفُوا وَلَمْ يَعُودُوا.

قَالَ: وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمُؤَمَّلِ يَقُولُ: قَاتَلَ اللَّهُ رَجُلًا كُنَّا نَوَاجِلُهُمْ، مَا رَأَيْتُ قُصْعَةً رُفِعَتْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ إِلَّا وَفِيهَا فَضْلٌ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ إِحْضَارَ

(١) نظرت: أي انتظرت.

(٢) شطره: نصفه.

الجَدَى إنما هو شيء من آيين^(١) الموائد الرّفيعة، وإنما جعل كالقافية وكالخاتمة والعلامة لليسر والفراغ، ولم يُحضّر للتفريق والتخريب، وأن أهله لو أرادوا به سوءاً لَقَدَّموه لتقع الحِدة به؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمَيِّز^(٢) حين رآه لا يُمسّ: هذا المدفوع عنه.

ولقد كانوا يَتَحَامُونَ بيضة البقيلة^(٣)، ويدعُها كل واحدٍ لصاحبه، وأنت اليوم إذا أردت أن تُمَتِّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السُّلَاءِ^(٤) لم تقْدِر على ذلك.

وكان يقول: الآدام أعداءُ الخبز، وأعداها له المالح؛ فلولاً أن الله أعان عليها بالماء وطلبَ آكله له لأتى على الحرث والنَّسل.

وكان يقول: ما بال الرجل إذا قال: أسقني ماءً أتاه بقلة على قدر الرِّيِّ^(٥) أو أصغر، وإذا قال: أطعمني شيئاً أو هات لفلان طعاماً، أتاه من الخبز بما يَفْضُلُ عن الجماعة، والطعامُ والشَّرابُ أخوان. أما إنه لولا رُخص الماء وغلاء الخبز لما كَلَبُوا^(٦) على الخبز وزَّهَدوا في الماء؛ والناس أشدَّ شيء تعظيماً للمأكول إذا كثر ثمنه وكان قليلاً في منبته وعُنصره. هذا الجزر الصافي والباقلَاء الأخضر أطيب من كُمَثْرَى خُرَّاسَانَ والمَوْز البُستاني، وهذا

(١) آيين: العادة.

(٢) في الأصل والبخلاء للجاحظ: جمين، وورد في القاموس وشرحه في مادة «ج م ن» «أبو الحارث جمين، كقبيط المديني، وهو صاحب النوادر والمزاح، والصواب بالرِّي المعجمة في آخره، أنشد أبو بكر بن مقسم:

إن أبا الحارث جميذاً قد أوتي الحكمة والميزا

(٣) بيضة البقيلة: هي من عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة إليها.

(٤) السُّلَاء: ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين.

(٥) الرِّي: الشراب الذي يرتوي منه الإنسان.

(٦) كلبوا: يقال: تكالبوا على الشيء: أي تزاحموا.

الباذنجان أطيب من الكمأة، ولكنهم لقصر همهم وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن.

وكان يقول: لو شرب الناس الماء على طعامهم لما آتخموا. وذلك أن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء شيئاً، لأنه ربما كان شعبان وهو لا يدري. وفي قول الناس: ماء دجلة أمراً^(١) من ماء الفرات، وماء مهران^(٢) أمراً من ماء نهر بلخ^(٣)؛ وفي قول العرب: هذا ماء نيمير يصلح عليه المال دليل على أن الماء يمرى؛ حتى قالوا: إن الماء الذي يكون عليه النفاطات^(٤) أمراً من الماء الذي تكون عليه القيّارات^(٥). فعليكم بشرب الماء على الغداء فإن ذلك أمراً^(٦).

قال وكان الثوري يقول لعياله: لا تلقوا نوى التمر والرطب وتعودوا ابتلاعه، فإن النوى يعقد الشحم في البطن، ويُدْفِئ الكليتين بذلك الشحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصفايا^(٧) وجميع ما يعتلف النوى. والله ما حملتم أنفسكم على قضم الشعير واعتلاف القت^(٨) لوجدتموها سريعة القبول، وقد يأكل الناس القت قذاحاً^(٩)، والشعير فريكاً^(١٠)، ونوى البسر الأخضر^(١١)، ونوى

(١) أمراً: أسهل وأسوغ.

(٢) مهران: نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن.

(٣) نهر بلخ: هو نهر جينحون في فارس.

(٤) النفاطات: من النفط، وهو معروف.

(٥) القيّارات: من القار، وهو الزفت والقطران.

(٦) ما بين الأقواس زيادة عن البخلاء.

(٧) الصفايا: جمع صفى، والصفى: الناقة الغزيرة اللبن وتطلق كذلك على الشاة.

(٨) القت: حب بري يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقة وطبخه.

(٩) قذاحاً: رطباً قبل أن يجفف.

(١٠) الفريك: الذي لم يصفر وينضج.

(١١) البسر: أوله طلع ثم خلال ثم بلع ثم بسر ثم رطب.

العَجْوَةُ^(١)؛ وإنما بَقِيَتْ عليكم الآن عَقَبَةٌ؛ أنا أقدر أن أبتلع النوى وأغلّفه الشَّاءَ، ولكن أقول هذا بالنظر لكم.

وكان يقول لهم: كلوا الباقلاء بقشوره، فإن الباقلاء يقول: من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن لم يأكلني بقشوري فأنا أكله؛ فما حاجتكم إلى أن تصيروا طعاماً لطعامكم، وأكلأ لما جُعِلَ أكلاً لكم.

قال: وَحَمَّ هو وعبأله فلم يقدرُوا على أكل الخبز، فربح أقواتهم في تلك الأيام؛ ففَرِح وقال: لو كان في منزل سوق الأهواز ونَطَاة^(٢) خَيْر رجوتُ أن أستفضِّل في كلِّ سنة مائة دينار.

قال: ودعا موسى بنُ جَنَاح جماعةً من جيرانه لِيَفْطَرُوا عنده في [شهر رمضان]^(٣)، فلما وُضِعَت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم: لا تَعْجَلُوا، فإنَّ العَجَلَةَ من عمل الشيطان. ثم وقف وقفةً ثم قال: وكيف لا تَعْجَلُونَ واللَّهِ تعالى يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٤). اسمعوا ما أقول لكم، فإن فيه حسن المؤاكلة وانبتعد من الأثرة، والعاقبة الرشيدة، والسيرة المحمودة: إذا مدَّ أحدكم يده لِيَسْتَقِي ماءً فأمسكوا أيديكم حتى يَفْرُغ، فإنكم تجمعون عليه خصالاً: منها أنكم تَنْغَصُّون عليه في شربه، ومنها أنه إذا أراد اللِّحَاق بكم فَلَعَلَّه يَتَسَرَّع إلى لُقْمَةٍ حارَّة فيموت، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرْص وعلى عِظَم اللُّقْم. ولهذا قال بعضهم وقد قيل له: لِمَ تَبْدَأُ بأكل اللحم؟ قال: لأنَّ اللَّحْمَ طاعَنٌ والثريد مَقِيمٌ. وأنا وإن كان الطعام طعامي فإني كذلك أفعل؛

(١) العجوة: ضربٌ من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة.

(٢) يريد بسوق الأهواز: كورها وهي كثيرة الحمى ووجوه أهلها مصفرة مغبرة ونطاة خيبر: قصبتها، وهي مشهورة بالحمى أيضاً.

(٣) ما بين القوسين زيادة عن كتاب البخلاء للجاحظ.

(٤) سورة الإسراء الآية ١١.

فإذا رأيتم فعلي يخالف قولي فلا طاعة لي عليكم. وقال بعضهم: فربما نسي بعضنا فمدَّ يده وصاحبه يشرب، فيقول له: يدك يا ناسي، ولولا شيء لقلت لك: يا متغافل.

قال: فأتانا بأرز^(١) أحذنا أن يعدَّ حباتها لعدّها، لتفرّقها، وقلّتها، وهي مقدار نصف سُكَّرَجَة^(٢)؛ فوقعَتْ في فمي قطعة، وكنتُ إلى جنبه، فسمع صوتاً حين مضغّتها، فقال: اجرش يا أبا كعب.

قال: وكنا نسمع باللثيم الراضع، وهو الذي يرضع الحلب فلا يحلبه في الإناء لئلا يُسمع صوت الحلب - وقال بعضهم: لئلا يضيع من اللبن شيء - ثم رأيت أبا سعيد المدائني قد صنع أعظم من ذلك: ارتضع من دَنّ خلّا حتى فني ولم يخرج منه شيء.

قال: وكان الكِنْدِي لا يزال يقول للساكن من سُكَّاننا - [وربما قال]^(٣) للجار - إنَّ في داري امرأة بها حبلٌ، والوَحْمَى^(٤) ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة، فإذا طبختم فردوا شهوتها بغرفة أو بلعقة فإن النفس يردّها اليسير، وإن لم تفعل ذلك وأسقطت فعليك عُرَّة^(٥): عبدٌ أو أمة.

وقال بعضهم: نزلنا داراً بالكِرَاء للكِنْدِي على شروط، فكان في شرطه

(١) الأرز: من الأرز.

(٢) السُّكَّرَجَة: الصفحة.

(٣) ما بين القوسين تكملة عن كتاب البخلاء للمجاهظ.

(٤) الوحى: هي المرأة في أوائل الحمل.

(٥) العُرَّة: البياض في وجه الفرس، والمراد بالغُرَّة هنا: العبد الأبيض أو الأمة البيضاء.

على السَّكَّانَ أن يكون له رَوْثُ الدَّابَّةِ، وَبَعْرُ الشَّاةِ، وَنَشْوَارٌ^(١) الْعُلُوقَةُ؛ وَأَلَّا يُخْرِجُوا عَظْمًا وَلَا يُخْرِجُوا كُنَاسَةً، وَأَن يكون له نَوَى التَّمْرِ، وَقَشُورُ الرَّمَانِ، وَالْغُرْفَةُ مِنْ كُلِّ قَدْرٍ تُطَبِّخُ لِلْحُبْلَى فِي بَيْتِهِ؛ وَكَانَ فِي ذَلِكَ يَنْتَزِلُ^(٢) عَلَيْهِمْ، فَكَانُوا لَطِيبِهِ وَإِفْرَاطِ بَخْلِهِ يَحْتَمِلُونَ ذَلِكَ.

وقال دِعْبِلُ: أَقَمْنَا يَوْمًا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ، فَأَطْلَنَّا الْحَدِيثَ حَتَّى اضْطَرَّ الْجُوعُ إِلَى أَنْ دَعَا بَغْدَائِهِ، فَأَتَانِي بِصُحْفَةٍ عُدْمَلِيَّةٍ^(٣) فِيهَا مَرَقٌ لَحْمٍ دِيلٍ عَاسٍ^(٤) هَرِمٍ لَيْسَ قَبْلُهَا وَلَا بَعْدُهَا غَيْرُهَا، لَا تُحَزُّ^(٥) فِيهِ السَّكِينُ، وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِ الْأَضْرَاسُ، فَأَطَّلَعَ فِي الْقِصْعَةِ وَقَلَّبَ بَصَرَهُ فِيهَا، فَأَخَذَ قِطْعَةً خَبِزٍ يَابِسٍ فَقَلَّبَ بِهَا جَمِيعَ مَا فِي الصَّفْحَةِ فَفَقَدَ الرَّأْسَ، فَبَقِيَ مُطَرِّقًا سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْغَلَامِ وَقَالَ: أَيْنَ الرَّأْسُ؟ قَالَ: رَمِيتُ بِهِ؛ قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَأْكُلُهُ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ^(٦)! قَالَ: وَلَآيَ شَيْءٍ ظَنَنْتُ ذَلِكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُمُقَّتٌ^(٧) مِنْ يَرْمِي بِرِجْلِهِ فَيَكْفُفُ مِنْ يَرْمِي بِرَأْسِهِ! وَالرَّأْسُ رَئِيسٌ، وَفِيهِ الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ، وَمِنْهُ يَصِيحُ الدِّيكُ، وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أَرِيدُ، وَفِيهِ عُرْفُهُ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ، وَفِيهِ عَيْنُهُ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فَيَقَالُ: شَرَابُ كَعِينِ الدِّيكِ^(٨) وَدِمَاغُهُ عَجَبٌ لَوْجَعِ الْكُلِّيَّةِ، وَلَنْ تَرَى عَظْمًا قَطُّ أَهْشَ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ؛ فَإِنْ كَانَ مِنْ نُبْلٍ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُهُ فَإِنَّ عِنْدَنَا مِنْ يَأْكُلُهُ. أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ طَرَفِ الْجَنَاحِ وَمِنْ السَّاقِ

(١) النشوار: ما يبقى من علف الدابة.

(٢) ينتزل عليهم: أي ينزل عليهم ويطرقهم.

(٣) العُدْمَلِيَّة: القديمة.

(٤) العاسي: الذي أسنَّ حَتَّى جَفَّتْ وَصَلَبَ.

(٥) تحز: من الحز وهو القطع.

(٦) ما بين القوسين زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤).

(٧) أمقت: أبغض.

(٨) دليل على الصفاء.

ومن العنق! . انظر أين هو. قال: لا والله لا أدري أين هو، رميتُ به؛ قال:
لكني أدري أنك رميت به في بطنك، والله حَسْبُكَ.

وحُكي عن رجل أنه قال: مررت ببعض طُرُقَات الكوفة، فإذا رجل
يُخَاصِمُ جاراً له فقلت: ما بالكما تختصمان؟ فقال أحدهما^(١): لا والله إلا أن
صديقاً لي زارني فأشتهى عليّ رأساً، فاشتريته وتغدينا به وأخذت عظامه
فوضعتها على باب داري أتَجَمَّلُ بها^(٢) عند جيراني، فجاء هذا فأخذها وتركها
على باب داره يُوهم أنه اشتراه.

قال: وتناول رجل من بين يدي أميرٍ من الأمراء بيضةً وهو معه، فقال:
خذها فإنها بيضة العُقر^(٣) ولم يأذن له بعد ذلك.

قال: وقُدِّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغفة على عدد الرؤوس ورغيفٌ زائد
يوضع على الصِّحَاف، فلما أنفد القوم خبزهم التفت إلى رجلٍ إلى جانبه
فقال: اكسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقه بينهم، فتغافل، فأعاد عليه، فقال: يُبْتَلَى على
يد غيري.

قال المدائني: كان للمُغيرة بن عبد الله الثَّقَفِيّ وهو على الكوفة جَدِيّ
يوضع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه وهو ولا غيره، فقدم أعرابيُّ يوماً فأكل
لحمه وتعرَّق^(٤) عظامه؛ فقال، يا هذا، أتطالب هذا البائسَ بِذَحْلٍ^(٥)؟! هل
نطحتك أمه! قال: وأبيك إنك لشقيق عليه! هل أرضعتك أمه! .

(١) ما بين القوسين زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥).

(٢) اتَّجَمَّلُ بها: أفتخر وأتباهى.

(٣) بيضة العقر: بيضة يبيضها الذك مرةً وتحدّه ثم لا يعود ويضرب مثلاً لمن يصنع الصنعة ثم لا يعاودها.

(٤) تعرَّق عظامه: أخذ ما عليها من لحم «تمشمش بها».

(٥) الذَّحْل: الثَّار.

قال المدائني: كان لزياد بن عبد الله الحارثي جدي لا يَمَسُّه أحد، فعشَى في شهر رمضان قوماً فيهم أشعب، فعَرَضَ أشعب يوماً للجدي من بين القوم، فقال زياد حين رُفِعت المائدة: أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلي بهم؟ قالوا: لا؛ قال: فَلْيُصَلِّ بهم أشعب؛ قال أشعب: أَوْ غير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: لا آكل لحم جدي أبداً.

قال: وكان المغيرة بن عبد الله الثَّقَفِي يأكل وأصحابه تمرّاً فانطفأ السراج، وكانوا يُلقَوْنَ النَّوَى فِي طَسْتٍ، فَسَمِعَ صَوْتَ نَوَاتِينَ؛ فقال: من ذا يلعب بالكعبتين؟^(١).

[طويل]

قال الأعشى^(٢):

تبيتون في المشتى مِلَاءً بطونكم وجاراتكم سَغْبٌ يَتَنَ خَمَائِصاً^(٣)

وقال آخر^(٤)

[بسيط]

وضيف عمرو وعمرو ساهران معاً فذاك من كِظَّةٍ والضيف من جوع^(٥)

وقال آخر

[بسيط]

وجيرة لا تَرَى في الناسِ مثْلَهُمْ إذا يكون لهم عِيدٌ وإِفْطَارُ
إن يُوقِدُوا يوسعوناً من دُخَانِهِمْ وليس يبلُغُنَا ما تُنْضِج النار

وقال سَمَاعَةُ بن أَشُول:

[طويل]

نزلنا بِسَهْمٍ والسماءُ تَلْفُنَا لَحَى اللّهُ سَهْمًا ما أدقُّ والأَمَا^(٦)

(١) الكعبتين: الكعبة والكعب: العظم الذي تلعب به الصبيان.

(٢) الأعشى: هو ميمون بن قيس، قال هذا الشعر: يهجو علقمه بن علاثة.

(٣) السغب: الجوع، والخمائص: الجوعى.

(٤) هو بشار بن برد كما في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ ط أولى).

(٥) الكِظَّة: التخمة وامتلاء البطن.

(٦) سهم: اسم قبيلة، والسماء تَلْفُنَا: كناية عن الليل.

فلما رأينا أنه عاتم القرى
فقمنا وحمّلنا على الأين والوجى
يدق خراطيم القنان كأنما
فجئنا وقد باض الكرى في عيوننا
تناخ إليه هجمة واتكئة
كأن بأحققها إذا ما تنغمت
فبات رفيقي بعد ما ساء ظنه
ولو أنها لم يدفع العيس زُمها
وقال حميد الأرقط:

وَمُسْتَبِحٍ بَعْدَ الْهَدْوِ وَقَدْ جَرَتْ
لَهُ حَرْجَفُ نَكْبَاءٍ وَاللَّيْلُ عَاتِمٌ
رَفَعَتْ لَهُ مَخْلُوطَةً فَاهْتَدَى بِهَا
يَشِبُّ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَا حِمٌ^(١)
فَأَطْعَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَكَأَنَّمَا
تَنَازَعَهُ فِي أَخْذَعَيْهِ الْمَحَاجِمُ^(٢)

(١) عاتم القرى: بطيء الضيافة، وليلة الهضب: ليلة المطر، وكنى بالمطر عن الخير والكرم، وكردم: اسم علم.

(٢) الأين: الحين، والوجى: من الوج، وهو السرعة. الجلال: الجمل الضخم، والميزجم: المضطرم العدو.

(٣) الختم: الخزف بأنواعه.

(٤) المعرقين: ذوي الأصول الكريمة.

(٥) الهجمة: من الإبل: أولها الأربعون إلى ما زادت، والواتكئة: والجواء: الواسع من الأدوية، والحوّل المجرم: العام الكامل.

(٦) أحق: جمع حق، وهو الخصر، المزاد: جمع مزادة وهي الراوية والقربة التي يستقى فيها، والمعصم: رباط القربة.

(٧) الأنساء: جمع نساء، وهو عرق من الورك إلى الكعب.

(٨) الحرجف: الريح الباردة.

(٩) المخلوطة: كناية عن النار التي ترفع على شيء ليهتدى بضوئها.

(١٠) الأخدع: عرق في العنق، يتنفخ عند الغضب.

- كَزَمَهُانَ يَفْطُو المَشْيَ لَوْ جُعِلَتْ لَهُ
حَرِيصٌ عَلَى التَّسْلِيمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ
وَقَالَ الْأَعَشَى^(١):
- إِذَا حَلَلْتُ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
وَقَالَ آخِرُ^(٢):
- أَيَابَنَةُ عَبْدَ اللَّهِ وَابْنَةُ مَالِكٍ
إِذَا مَا عَمِلَتْ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
بَعِيداً قَصِيصاً أَوْ قَرِيباً فَإِنِّي
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ المَرْءُ زَاداً وَجَارُهُ
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ
وَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مَحْكَانَ السَّعْدِيِّ^(٣)
- فَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا
أَدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأُمَّهُمْ
وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ:
- رَعَايَا الحِمَى لَمْ يَلْتَفَتْ وَهُوَ قَائِمٌ^(٤)
فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَمَّا غَدَا وَهُوَ عَائِمٌ^(٥)
[وَأَفَر]
- عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الكَلَابَا^(٦)
[طَوِيل]
- وَيَابَنَةُ ذِي البُرْدَيْنِ وَالفَرَسِ الْوَرْدِ^(٧)
أَكِيلاً فَإِنِّي غَيْرُ أَكَلِهِ وَحَدِي
أَخَافُ مَذْمَأَ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
خَفِيفُ المَعْنَى بِأَدْيِ الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ^(٨)
يُلاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
[بَسِيط]
- غَدَّيْ بَنِيكَ فَلَنْ تُلْفِيَهُمْ حَقَبَا^(٩)
وَقَدْ هَجَعْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا^(١٠)
[سَرِيع]

(١) الزمهان: الحران، ويفطو: يسوق سوقاً شديداً.

(٢) العائم: السائح.

(٣) هو أعشى بني تغلب كما في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ - ١٩٤).

(٤) الأطواء: من الطوى وهو الجوع.

(٥) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله.

(٦) ذو البردين: عامر بن أحيمر بن بهدلة، والفرس الورد.

(٧) يسيع: يستمرى، المعنى: يعني الأمعاء، والخصاصة: الفقر.

(٨) مرّة بن محكان السعدي: هو من سعد بن زيد مناة بن تميم. من بطن يقال بنو زبيع. قتله

صاحب شرط مصعب بن الزبير. ولا عقب له..

(٩) الحقب: السنين.

(١٠) أفرق: ألامس أو أقارب.

زرتُ المرأً في بيته مرّةً له حياةٌ وله خيرٌ^(١)
يكره أن يُتَخَمَ إخوانه إن أذى التُّخْمَةَ محذور
ويشْتَهِي أن يُؤْجَرُوا عنده بالصوم والصائمُ مأجور

وقال بعض المُحدِّثين:

[وافر]

أبُونُوحِ نزلتُ عليه يوماً وجاء بلحمٍ لا شيءٍ سمينٍ
فلما أن رفعتُ يدي سفاني فكان كمن سقى الظمآن آلاً
فغدّاني برائحة الطعام فقدّمه على طبق الكلام
مداماً بعد ذاك بلا مدام وكنتُ كمن تغدّى في المنام^(٢)

وقال عُروَةُ بنُ الوَرْدِ^(٣):

[كامل]

إنّي أمروؤُ عافي إنائيَ شُرْكَهُ أنتَ امرؤُ عافي إنائيَ واحدٌ^(٤)
أتهزأُ منّي أن سَمِنْتَ وأن ترى بجسمي مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهدٌ^(٥)
أقسّمُ جسمي في جِسْمٍ كثيرةٍ وأحسو قَرَّاحَ الماءِ والماءُ باردٌ^(٦)

باب القدور والجفان

ذكر الفرزدق عَقَبَةَ بنَ جَبَّارِ المِنْقَرِي وقِدْرَهُ فقال

[بسيط]

(١) الخير: الكرم.

(٢) الآل: السَّراب.

(٣) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم.

(٤) عافي إنائي شركة: أي يأتيني من يشركني فيه، وأملأ إنائي حتى يفيض.

(٥) الحقّ جاهد: أي الحق متعب.

(٦) أحسو: أشرب، والماء القراح: الذي لا يشوبه شيء.

لو أن قِدرًا بكت من طولِ مَحَبْسِها على الحفوفِ بكت قِدرُ ابنِ جَبّا^(١)
ما مَسَّها دَسَمٌ مُذْ فُضَّ معدِنُها ولا رأت بعد نارِ القَيْنِ من نارِ^(٢)

وقال:

كأنَّ تَطْلُعَ التَّرْغِيبِ فيها عَذَارٍ يَطْلُعْنَ إلى عَذَارِ^(٣)

[متقارب]

وقال الكُمَيْت:

كأنَّ الغَطَامِطَ من غَلِيْها أَرَا جِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا^(٤)

[طويل]

وقال آخر^(٥):

وقَدِرْ كَجَوْفِ اللَّيْلِ أَحْمَشْتُ غَلِيْها ترى الفَيْلَ فيها طافياً لم يُفْصَلِ^(٦)

[طويل]

وقال ابن الزَّيْبِرِ يمدح أسماءَ بن خارجة:

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوانِه مقطَّعةً أعضاؤه ومَفاصِلُهُ^(٧)

[طويل]

وقال الرَّقَاشِيَّ:

(١) الحفوف: قلة الدسم، وابن جبار، هو عقبة بن جبار مولى لبني حدان بن قريع.

(٢) القَيْن: الحداد الذي يصنع القدور وغيرها.

(٣) التَّغْيِب: السَّنام المقطع شطائب مستطيلة، والعَذَارِي: جمع عذراء.

(٤) الغَطَامِط: صوت الغليان، وتغطمطمت القدر: اشتدَّ غليانها وأسلم وغفار: اسمان لقبيلتين.

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء كما في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ ط أوروبا).

(٦) أحمش القدر: أشبع وقودها.

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٣٥، ٤٢ ط بولاق).

(٨) البازل: ما طلع به من الإبل. والبختي من الإبل نسبة إلى بخت.

لنا من عطاء دَهْمَاءِ جَوْنَةٍ تناولُ بعد الأقربين الأَقاصِيَا^(١)
 جعلتُ الآلَا والرَّجَامَ وطُخْفَةً لها فاستَقَلَّتْ فوقهنَّ الأَثافِيَا^(٢)
 مؤدِيَةً عَنَّا حقوقَ محمدٍ إذا ما أتانا يابسَ الجنبِ طاوِيَا
 أتى ابنُ يسيرٍ كي يُنَفِّسَ كَرْبَهُ إذا لم يَرُحْ وافى مع الصبحِ غادِيَا

فأجابه ابن يسير:

[طويل]

وثرَمَاءِ ثَلَمَاءِ النّواحي ولا يرى بها أحدٌ عَيِيًّا سوى ذاك بادِيَا^(٣)
 إذا أنقاضَ منها بعضُها لم تَجِدْ لها رَءُوبًا لما قد كان منها مُدَانِيَا^(٤)
 وإن حاولوا أن يَشْعَبُوها فإنها على الشَّعبِ لا تَزداد إلا تَدَاعِيَا^(٥)
 مَعْوَذَةُ الإِرْجَالِ لم تُوفِ مَرْقَبًا ولم تَمْتَطِ الجَوْنُ الثَّلاثِ الأَثافِيَا^(٦)
 ولا اجْتَرَعَتْ من نحو مكة شُقَّةً إلينا ولا جازت بها العيسُ واديَا^(٧)
 ولكنّها في أصلها مَوْصِلِيَّةٌ مجاورَةٌ فيضًا من البحر جاريَا
 أتنّا تَزَجَّيْها المجاذيفُ نحونا وتُعَقِّبُ فيما بين ذاك المَزَادِيَا^(٨)

(١) الدهماء: القدر، والجونة: السوداء.

(٢) الآلَا: جبل عرفات، والرجام: جبل طويل أحمر نزل به جيش أبي بكر الصديق رضي الله عنه يريدون عُمان يوم رَدّة، وطخفة: اسم جبل والأثافي حجارة القدر، والشاعر يبالغ هنا في عظم القدر.

(٣) الثرماء: من كسرت ثنيتها، شبه بها القدر التي تكسرت أطرافها لكثرة الاستعمال والثلماء: المكسورة النواحي.

(٤) انقاض: انشق، والرءوب: من رأب الشيء أي جمعه ولحمه.

(٥) يشعبوها: يجمعوها، وشعب الشيء فرقة وجمعه وهو من الأضداد، والتداعي: التفريق.

(٦) المعوذة: الممنوعة، والإرجال: مصدر أرجله إذا جعله يمشي ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها، والجون الثلاث: حجارة الأثافي السود من الدخان.

(٧) اجتزعت: قطعت، والعيس: الإبل.

(٨) تزجّيها: تدفعها، والمزادي: جمع مزادة وهي الحفيرة يرمي بها الصبيان النوى.

تَهِيلُ عَلَيْهَا الرِّيحُ تُرْبًا وَسَافِيَا^(١)
 قَدُورُ رَقَاشٍ إِنْ تَأْمَلَ دَانِيَا
 فَقَالُوا إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَوَارِيَا^(٢)
 تَكُونُ بَنَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ كَمَا هِيََا
 وَشُكُوَاهُمْ أَدَخَلَتْهُمْ فِي عِيَالِيَا
 أَلَا أَبْشُرُوا هَذَا الْيَسِيرِيُّ جَائِيَا

[طويل]

مُرْكَبَةِ الْأَذَانِ أَمْ عِيَالِ^(٣)
 وَتُنْزِلُهَا عَفْوًا بَغِيرِ جَعَالِ^(٤)
 لِأَخْرَجَتْ مَا فِيهَا بَعْدَ خِلَالِ^(٥)
 رَبِيعِ الْيَتَامَى عَامَ كُلِّ هُزَالِ^(٦)

[طويل]

وَقَدَّرَ الرَّقَاشِيَيْنِ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ^(٧)
 لِأَخْرَجَتْ مَا فِيهَا عَلَى طَرْفِ الظُّفْرِ
 ثَلَاثَ كَحْظِ الثَّاءِ مِنْ نَقْطِ الْجَبْرِ^(٨)

يَقُولُ لِمَنْ هَذِي الْقَدُورُ الَّتِي أَرَى
 فَقَالُوا وَلَنْ يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ
 فَقُلْتُ مَتَى بِاللَّحْمِ عَهْدُ قَدُورِكُمْ
 مِنْ أَضْحَى إِلَى أَضْحَى وَإِلَّا فَإِنَّهَا
 فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْجَهْدُ لِي فِي وَجُوهِهِمْ
 يُنَادِي بِبَعْضٍ بَعْضُهُمْ عِنْدَ طَلْعَتِي
 وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ:

وَذَهْمَاءُ تُفْهِمُهَا رَقَاشٌ إِذَا شَتَّتْ
 يَغْصُ بِحَيَزُومِ الْبَعُوضَةِ صَدْرُهَا
 لَوْجَتُهَا مَلَأَى عَيْطًا مُجَزَّلًا
 هِيَ الْقَدْرُ قَدَّرُ الشَّيْخِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

وَقَالَ أَيْضًا:

رَأَيْتُ قَدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى
 وَلَوْجَتُهَا مَلَأَى عَيْطًا مُجَزَّلًا
 يُثَبِّتُهَا لِلْمُعْتَفَى بِفَنَائِهِمْ

(١) السافي: التراب الذي تسفوه الرياح.

(٢) العواري: الأمانات، أي أن قدورهم يمكن أن تكون مستعارة.

(٣) الذهماء: القدر السوداء، وتثفيها: تجعل لها أثافي، ورقاش: قبيلة.

(٤) الحيزوم: وسط الصدر، والجعال: خرقه تنزل بها القدر.

(٥) الغبيط: اللحم الطري. والمجزل: المقطع.

(٦) ربيع اليتامى عام كل هزال: أي ملجأهم في أعوام القحل.

(٧) الصلّى: النار.

(٨) ثلاث كحظ الثاء: كناية عن أثافي القدر.

تَرْوُحَ عَلَى حَيِّ الرَّبَابِ وَدَارِمٍ وَسَعِدٍ وَتَعْرُوهَا قَرَاضِبَةُ الْفِزْرِ^(١)
وَلِلْحَيِّ عَمَرُو نَفْحَةً مِنْ سِجَالِهَا وَتَغْلِبُ وَالْبَيْضُ اللَّهَامِيمِ مِنْ بَكْرِ^(٢)
إِذَا مَا يُنَادَى بِالرَّحِيلِ سَعَى بِهَا أَمَامَهُمُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ^(٣)

وقال أبو عبيدة: كان لعبد الله بن جُدعان جَفْنَةٌ يأكل منها القائم والراكب. وذكر غيره أنه وقع فيها صبيٌّ فغرق.

[وقال الأشعر^(٤): متقارب]

وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلْحَمُ الْحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ^(٥)
وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالطَّارِقُونَ بِأَنَّكَ لِلضَّيْفِ جَوْعٌ وَقُرٌّ^(٦)

سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمَيْزاً عن طعام رجلٍ، فقال: أما مائذته فمقنة^(٧) وأما صحافه فمنقورة من حَبِّ الخَشَخَاشِ، وبين الرغبة والرغيف نقرة جوزة^(٨)، وبين اللون واللون فترة نبي^(٩). قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فيأكل معه أحد؟ قال: نعم، الذُّباب. قال: فلهذا ثوبك مخرق ولا يَكْسُوكَ وأنت معه وبفئائه؟! قال أبو الحارث: جُعِلْتُ فِدَاكَ، والله لو مَلَكَ بيتاً من بَغْدَادَ إلى الكوفة مملوءاً إبراً، في كل إبرة

(١) القراضية: اللصوص والفقراء.

(٢) اللهاميم: الشيوخ والسادة.

(٣) الحولي: ابن العام، والذر: صغار النمل تجتمع على بقايا الطعام.

(٤) هو الأشعر الرقبان الشاعر. واسمه عمرو بن حارثة أسدي جاهلي، قال هذا الشعر يخاطب به رجلاً اسمه رضوان «انظر اللسان مادة مسخ».

(٥) المليخ: الذي لا طعم له، ولحم الحوار: لحم ولد الناقة حين ينزل من بطن أمه.

(٦) الطارقون: الذين ينزلون البيوت ليلاً للضيافة، والقر: البرد.

(٧) المقنة: لعلها، مقناة، أي لا تراها الشمس.

(٨) نقرة جوزة: كناية عن صعوبة الحصول عليه.

(٩) فترة نبي: أي خمسمائة سنة.

خيط، ثم جاءه جبريل وميكائيل معهما يعقوبُ يَضْمَنان^(١) عنه إِبْرَ يَخِيطُ بها قميصَ يوسف الذي قَدْ من دُبُر^(٢)، ما أعطاهم.

[بسيط]

وقال بعضهم

ولو عليك اتكالي في الغداء إذاً لكنتُ أولَ مدفونٍ من الجوع

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق^(٣) متطببه: صِف لي صفةً آخُذُ بها في نفسي ولا أَعْدُوها، قال تياذوق: لا تَتَزَوَّج من النساءِ إِلَّا شَابَةً، ولا تَأْكُل من اللحمِ إِلَّا فَيْتِيًا، ولا تَأْكُله حتى يُنْعَم طَبْخه، ولا تَشْرَبَنَّ دواءً إِلَّا من عِلَّةٍ، ولا تَأْكُل من الفاكهةِ إِلَّا نَضِيجَهَا، ولا تَأْكُل طعاماً إِلَّا أَجَذْتَ مَضْغَه، وكُلْ ما أَحْبَبْتَ من الطعامِ واشْرَبْ عليه، وإذا شَرِبْتَ فلا تَأْكُل عليه شيئاً، ولا تَحْبِسِ الغَائِطَ والْبَوْلَ، وإذا أَكَلْتَ بالنهارِ فَنَمْ، وإذا أَكَلْتَ بالليلِ فتمشَّ ولو مائةَ خُطوةٍ.

رَوَى عبد العزيز بن عِمْران عن الحُلَيْسِ بن حَيَّان الأشْجَعِيِّ قال حَدَّثَنِي أَبِي عن شيوخٍ من أَشْجَعٍ قال: سألنا يَهُودَ خَيْبَرَ: بِمِ صَحَّحْتُمْ بخير؟ قالوا: بِشَرْبِ الخمرِ، وأَكَلِ الفُومِ، وسَكُونِ اليَفَاعِ^(٤)، وتَجَنَّبِ بطونِ الأودِيَةِ، والخروجِ من خيبر عند طُلُوعِ الفجرِ وسقوطه.

قال الحجاج للحَكَمِ بن المُنْذِرِ بن الجَارُودِ: أَخْبِرْنِي عن صفاء لَوْنِكَ وَغِلَظِ قَصْرَتِكَ^(٥)، أَشْرَبُ اللبنِ فهو منه؟ قال: لا؛ قال: ولم؟ قال: لَأَنَّهُ مُتَنَتَّةٌ

(١) يضمنان: يعهدان ويتكفلان.

(٢) دبر: خلف.

(٣) تياذوق: طبيب مشهور في صدر الدولة الإسلامية اختصَّ بالحجاج.

(٤) اليفاع: المرتفع.

(٥) القصرة: أصلُ العنق إذا غلظ.

مَنْفَخَةٌ. قال: فما شراؤك؟ قال: نبيذ الدَّقْلِ^(١) في الصيف ونبيذ العسل في الشتاء.

قال عبد الملك لأعرابي: إنك حَسَنُ الكِدْنَةِ^(٢). قال: إني أدْفِيءُ رَجُلِي في الشتاء، وأُغْفِلُ غاشيةَ الغَمِّ^(٣)، وأَكُلُ عند الشهوة.

عن علي رضي الله عنه أنه قال: مَنْ ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء. ومن أكل كل يوم سبع تمرات عَجْوَةٌ قتلت كل داء في بطنه. ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير في بدنه شيئاً يكرهه. واللحم يُنَبِّتُ اللحم. والثريد طعام العرب. ولحم البَقَرِ داء^(٤)، ولبنها شفاء، وسمنها دواء. والشحم يُخْرِجُ مثله من داء. ولم يَسْتَشْفِ الناس بشيء أفضل من الرطب. والسّمك يُذِيبُ الجسد، وقراءة القرآن^(٥) والسواك يُذهب البلغم. ومن أراد البقاء - ولا بقاء - فليأكل الغداء، وليقلل غشيان النساء، ويخفف الرداء، وليلبس الجذاء. قيل: وما خفة الرداء في البقاء؟ قال: قلة الدين.

قيل لرجل: إنك لَحَسَنُ السَّخْنَةِ^(٦)؟ فقال: أكل لباب البر بصغار المعز، وأدهن بحام^(٧) البنفسج، وألبس الكتان.

(١) نبيذ الدَّقْل: نبيذ مصنوع من الدقل، وهو من أردأ التمر، وضرب من النخل صغير الجرم كبير النوى.

(٢) الكدنة: غلط الجسم وكثرة اللحم.

(٣) أغفل غاشية الغم: تحاشى كل ما يجلب الغم والهم.

(٤) الداء: المرض.

(٥) هكذا بالأصل، ولعله يتطّلب بالقرآن الذي فيه شفاء للناس.

(٦) السحنة: الهيئة.

(٧) حام البنفسج: المراد به دهن البنفسج وهو زيتة الذي يستخرج منه.

ويقال: ثلاثة أشياء تُورث الهُزالَ: شربُ الماءِ على الرِّيقِ، والنومُ على غيرِ وِطَاءٍ^(١)، وكثرةُ الكلامِ برفعِ الصوتِ.

ويقال: أربعُ خِصالٍ يَهْدِمُن العُمَرَ وربما قَتَلُنَ: دخولُ الحَمَامِ على بَطْنَةٍ، والمجماعةُ على الامتلاءِ، وأكلُ القَدِيدِ^(٢) الجافِّ، وشربُ الماءِ الباردِ على الرِّيقِ؛ وقيل: ومجماعةُ العجوزِ.

وفي الحديث: «ثلاثةُ أشياء تُورث النُّسيانَ أكلُ التُّفَاحِ الحامِضِ وسُؤُرِ الفأرةِ^(٣) وَتَبْدُ القملةِ^(٤)». وفي حديث آخر والحِجامةُ في النُّقرةِ^(٥) والبَوْلُ في الماءِ الراكِدِ.

ويقال: أربعةُ أشياء تُقَصِدُ إلى العقلِ بالإفسادِ: الإكثارُ من البصلِ، والباقلَاءُ، والجِماعُ، والخُمَارُ.

وقال النَّظامُ: ثلاثةُ أشياء تُخْلِقُ^(٦) العقلَ وتُفْسِدُ الذَّهْنَ: طولُ النَّظَرِ في المِرْآةِ، والاستغرابُ في الضَّحْكِ، ودوامُ النَّظَرِ إلى البحرِ.
وكان يقال: عِشَاءُ اللَّيْلِ يُورِثُ العِشَاءَ^(٧).

ويروى في الحديث: «تَرَكَ العِشَاءَ مَهْرَمَةً». والعربُ تقول: تَرَكَ العِشَاءَ يذهبُ بلحمِ الأَلْيَتَيْنِ.

(١) الوِطَاءُ: الفراشُ.

(٢) القَدِيدُ الجافُّ: اللَّحْمُ المَقْدَّدُ.

(٣) الفأرةُ.

(٤) القملةُ.

(٥) النُّقرةُ.

(٦) تَخْلُقُ.

(٧) العِشَاءُ.

باب الحِمِيَّة

قال الحارث بن كَلْدَةَ طبيب العرب: الدواء هو الأَزم. يعني الحِمِيَّة.
قال آخر: الحِمِيَّة إحدى العِلَّتَيْنِ.
وقيل لجالينوس: إنك تُقِلُّ من الطَّعام؛ قال: غرضي من الطَّعام أن
أَكُلَ لأَحيًا، وغرض غيري من الطَّعام أن يَحْيَا لِيَأْكُلَ.
وقال العَمِّي^(١): مَنْ احتَمَى فهو على يَقِينٍ من المكروه، وفي شكٍّ مما
يَأْمُلُ من العافية.
وكان يقال: ليس الطَّبيب من حَمَى المَلِكَ ومنَعَه الشهوات، إنما
الطَّبيب من خلَّاه وما يُريدُ وساسَ بدنَه^(٢).
وقال بعض الشعراء:
[طويل]
وَرُبَّتْ حَزْمٌ كَانَ لِلْسُّقْمِ عِلَّةٌ وَعِلَّةٌ بُرءُ الدَّاءِ خَبِطُ الْمُغْفَلِ^(٣)
ويقال: الحِمِيَّة للصَّحِيحِ ضارَّةٌ كما أنها للعليلِ نافعة.
وفي الحديث: أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى صُهْبِيًّا يَأْكُلُ تَمْرًا وبه رَمَدٌ، فقال
له: «أَتَأْكُلُ التمرَ وبك رَمَدٌ؟ فقال: يا رسولَ الله، إنما أَمْضُغُ بِهِذه»^(٤).
إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسول الله
ﷺ «لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ».

(١) العَمِّي: هو عُقْبَةُ بن مَكْرَم، أبو عبد الملك البصري الحافظ مات سنة أربعين ومائتين.

(٢) ساسَ بدنَه: أي تحكَّم في شهواته.

(٣) المعنى أن العِلَّةَ قد تأتي من العمل على تجنُّبها، وقد تبرأ عن غير قصد.

(٤) يريد أنه يَمْضُغُ بناحية العين التي لا رمد فيها.

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِيّ: حَدَّثَنَا بعض أصحابنا يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «من آسَقَل^(١) بدائه فلا يتداوَيْنَ، فَإِنَّهُ رَبُّ يُوْرث الداءَ».

وكانت الحكماء تقول: إياك وشرب الدواء ما حَمَلَتْ صِحَّتَكَ داءك. وقالوا: مَثَلُ شُرْبِ الدواء مثل الصابون للشوب يُنْقِيهِ، ولكنه يُخْلِقُهُ ويُبْلِيهِ.

عن يزيد بن الأصم قال: لَقِيتُ طيِّبَ كسرى شيخاً كبيراً قد أوثق حاجبيه بِخَرْقَةٍ، وسألته عن دواء المَشْيِ^(٢)؛ قال: سهمٌ يُرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب.

قال أَبُقْرَاطُ: الدواء من فوق، والدواء من تحت، والدواء لا فوق ولا تحت. وفسره المفسر فقال: من كان داؤه في بطنه فوق سُرَّتِهِ سَقِيَ الدواء، ومن كان داؤه تحت سُرَّتِهِ حُقِنَ، ومن لم يكن به داء لا من فوق ولا من تحت لم يُسَقَ الدواء، فإن الدواء إذا لم يجد داءً يَعْمَلُ فيه وجد الصَّحَّةُ فَعَمِلَ فيها.

قال أبو اليَقْظَانِ: كان عبد العزى بن عبد المطلب^(٣) يشتكي عينه وهو مطرِقٌ أبداً؛ وكان يقول: ما يَعْنِي بَأْسٌ، ولكن كان أخيه الحارث إذا اشتكت عينه يقول: اكْحَلُوا عَيْنَ عبد العزى معي فَيَأْمُرُ من يَكْحَلُنِي معه لِيَرْضِيَهُ بذلك فَأَمْرَضَ عيني.

قال ابن أحمَر^(٤) حين شُفِيَ بطنُه: [طويل]

(١) استقل: استهان واعتبر أن داءه بسيطاً.

(٢) المشي: جريان المعدة، والإسهال.

(٣) عبد العزى: أبو لهب.

(٤) ابن أحمَر: هو عمرو بن أحمد بن فَرَّاص بن معد بن أعصر الباهلي، وكان أعور، رماه رجل بسهم فذهبت عينه وعمر تسعين سنة وسقي بطنه فمات «راجع الشعر والشعراء ٢٣» دار الكتب

شَرِبْتُ الشُّكَاعِيَّ وَالتَّدَدْتُ أَلِدَّةً وَأَقْبَلْتُ أَفْوَاهَ الْعُرُوقِ الْمَكَاوِيَا^(١)
شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا وَمَا كَانَ ضَارِنَا إِذَا اللَّهُ حَمَّ الْمَرْءَ أَنْ لَا تَدَاوَيْنَا
وفي الحديث: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ
وَأَسْتَقْبِلُوا أَنْوَاعَ الْبَلَايَا بِالِدَعَاءِ».

الْحَدَّثُ وَالْحُقْنَةُ وَالتُّخْمَةُ

عَنْ وَهْبٍ قَالَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: إِنْ طَوَّلَ الْجُلُوسُ عَلَى الْخَلَاءِ يَرْفَعُ
الْحَرَارَةَ إِلَى الرَّأْسِ، وَيُورِثُ الْبَاسُورَ وَتَيَّجَعُ^(٢) لَهُ الْكَبِدُ؛ فَاجْلِسْ هُوَيْنِي وَقُمْ
هُوَيْنِي. فَكُتِبَتْ حِكْمَتُهُ عَلَى بَابِ الْحُشِّ^(٣).

وَكَانَ يُقَالُ: إِذَا خَرَجَ الطَّعَامُ قَبْلَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ، وَإِذَا بَقِيَ
أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَهُوَ مَرَضٌ.

وَكَانَ أَبُو دُفَافَةَ الْبَاهِلِيُّ اشْتَكَى، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِالْحُقْنَةِ فَاِمْتَنَعَ؛
فَأَنْشَأَ أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ:

لَقَدْ سَرَّنِي - وَاللَّهُ وَقَّاكَ شَرَّهَا - نِفَارُكَ مِنْهَا إِذْ أَتَاكَ يَقُودُهَا
كَفَى سَوْءَةً أَلَّا تَزَالَ مُجَبِّياً عَلَى شَكْوَةٍ وَفَرَاءٍ فِي اسْتِكَ عُودُهَا^(٤)

وَأَشَارُوا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْحُقْنَةِ فَتَفَحَّشَهَا؛ فَقَالُوا: إِنَّمَا يَتَوَلَّاهَا
مِنْكَ الطَّيِّبُ؛ فَقَالَ: أَنَا بِالصَّاحِبِ أَنْسُ.

(١) الشُّكَاعِي: مِنْ دَقِّ النَّبَاتِ، وَهِيَ دَقِيقَةُ الْعِيدَانِ صَغِيرَةِ خَضِرَاءٍ يَتَدَاوَى بِهَا النَّاسُ وَالتَّدَدْتُ
أَلِدَّةً: مِنْ قَوْلِهِمْ التَّدَّ الرَّجُلُ إِذَا ابْتَلَعَ اللَّدُودَ وَهُوَ مَا سَقَى فِي أَحَدِ شَقَيْهِ الْفَمَ، جَمْعُهُ أَلِدَّةٌ،
وَأَقْبَلُ الْمَكَاوَةَ الدَّاءُ: جَعَلَهَا قِبَالَتَهُ.

(٢) الْبَاسُورُ: مَرَضٌ مَعْرُوفٌ، وَتَيَّجَعُ: مِنْ وَجَعٍ يَوْجَعُ بِقَلْبِ الْوَاوِيَاءِ، إِذَا مَرَضَ وَتَأَلَّمَ.

(٣) الْحُشُّ: الْبِسْتَانُ، وَيَكْنَى بِهِ عَنْ بَيْتِ الْخَلَاءِ.

(٤) مُجَبِّياً: مُنْكَبّاً عَلَى وَجْهِهِ، وَالشَّكْوَةُ: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ وَوَفْرَاءُ: مَلَأَى.

قال المَدَائِنِي: سأل الحَجَّاجُ جلساءه: ما أذهبُ الأشياءَ للإعياء؟ فقال بعضهم: أَكَلُ التَّمْرِ، وقال بعضهم: الحمام، وقال بعضهم: التَّمْرِخُ^(١).

وقال فيروز: أذهبُ الأشياءَ للإعياء قَضَاءُ الحاجة.

وحدَّثني بعضُ الأطبَّاء أن رجلاً شَرِبَ خَبَثَ الحديدِ المعجونَ فَبَقِيَ في جوفه، فاشتدَّ عليه وجعُه؛ فَسَحَقَتْ له قِطْعَةٌ من المغناطيس وسُقِيَ إِيَّاه، فتعلَّق بالخَبَثِ وخرج مع الغائط.

قال: وقال تياذوق طبيب الحَجَّاج للحَجَّاج: إن اللحم على اللحم يقتل السَّبَاع في البرِّيَّة. ثم قال لي جعفر: قالت جارية لنا: كان لي طَبِيٌّ فَمَرَّ بعجينٍ قد هُمِّيَّ لِلْخُشْكَانِ^(٢)، فأكل منه فَحَفَسَ - وَالْحَفَسُ: الحَبْطُ وانتفاخُ البطن - فسُلِخَ فُوجِدَ قد شَرِقَ بالدم. وقال يونس (طبيب لنا): هكذا يُصاب الإنسان إذا بَشِمَ^(٣).

الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ، وَأَكُلُ بَذْجاً^(٤)، وَشَرِبُ مُعَسَّلاً^(٥)، ونام في الشمس، فَلَقِيَ اللهَ شَبْعَانَ رِيَّانَ دَقَّانَ.

وقال آخر من الأعراب: اللَّهُمَّ اجْعَلِ التُّخْمَةَ دائِي ودَاءَ عِيَالِي.

قال ابن شَبَابَةَ مولى بني أسد: من بال ولم يَضْرِبْ كُتِبَتْ أَسْتَه من الكاظمين الغيظ.

(١) التمرخ: التدهين.

(٢) الخشكان: الخبز الجاف، أو هو ضربٌ من الحلوى (فارسيّة).

(٣) البشم: التخمّة.

(٤) البذخ: الحَمَل.

(٥) المعسل: شراب مصنوع من العسل.

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكل يقيء إذا أكل: لا تفعل، فإن المعدة تَضْفِرُ^(١) إلى القيء كما تَضْفِرُ الدَّابَّةُ إلى العَلَفِ، فلا يُنْضَجُ الطعامُ.

وأخذ مُزَبَّدٌ شارباً فاستنكه^(٢)، فأتى به الوالي فاستنكهوه، فقالوا نكهته لا تنبئ عنه، قال مزبد: إن لم أقيء نبيذاً فمن يضمن لي عشاءً.

رُئي الجمال يأكل فليل له: ما تأكل؟ قال: قيء كلب في قحف^(٣) خنزير.

النَّكْهَةُ

سُئِلَ تياذوق عن البخر^(٤) فقال: دواؤه الزبيب يُعجن بسَعْتَرٍ ثم يُؤكل أسبوعين أو ثلاثة. فَجُرَّبَ فذَهَبَ.

وتقول الروم في الكرفس^(٥): إنه يُطَيَّبُ الفم ويُذهب البخر؛ ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السَّرارَ^(٦).

قالت الأطباء: الجَزَرُ المشوي والخبز المَقْلُو بالزيت أو بالسمن إذا مُضِغَ رُومي بئفله قاطعٌ لرائحة البصل من الفم. والفوم إن أكله أكل فاحب أن يقطع رائحته مضغ ورق الزيتون الطري وتمضمض^(٧) بعده بالخل.

(١) تَضْفِرُ: تشب.

(٢) استنكه: شمَّت رائحة فمه.

(٣) القحف: جمجمة الرأس.

(٤) البخر: رائحة الفم الكريهة.

(٥) السَعْتَرُ: نبت طيب الرائحة «الصعبر».

(٦) الكرفس: نوع معروف من البقول.

(٧) السَّرار: المسارة، أي الكلام الذي يهمس في الأذن.

(٨) الثفل: ما سفل من كلِّ وهو خثارته.

(٩) تمضمض: جعل الخل في فمه وحركه دون أن يدخله جوفه.

والسُّعْدُ^(١) قاطع لرائحة النبيذ من الفم . وَحَبُّ الْأُتْرُجِ^(٢) مَطِيبٌ لِلنَّكْهَةِ .
وَالْبَحْرُ لَا يَكَادُ يَكُونُ فِي الْمَلَّاحِينَ لِأَكْلِهِمُ الْمَلَّاحَ^(٣) .

وَقَرَأَتْ فِي الْآيِينَ^(٤) : أَنْ رَئِيسَ الْحَرَمِ أَمْرَ جَوَارِي الْمَلِكِ أَلَّا يَأْكُلْنَ الثُّومَ
وَالْبَصَلَ وَالْكِرَاثَ وَاللُّفَّاحَ^(٥) وَالْحِمْمَصَ الرَّطْبَ وَالْمَشْمَشَ ؛ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَحْرَ .

باب المياه والأشربة

قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : مَعْرِفَةُ خِفَّةِ الْمَاءِ بَأَنْ يَكُونَ سَرِيعَ الْغَلْيَانِ وَيَكُونَ سَرِيعَ
الْبَرْدِ . وَأَحْمَدُ الْمِيَاهُ مَا كَانَ قِبَالَ الْمَشْرِقِ وَمَجْرَاهُ مَجْرَى الشَّمَالِ وَمَرُورُهُ عَلَى
الطِينِ الْأَحْمَرِ وَعَلَى الرَّمْلِ . قَالُوا : وَمِمَّا يُصَفِّي مِنَ الْمَاءِ الْكَدْرَ فَيَصْفُو سَرِيعاً
أَنْ يُلْقَى فِيهِ قِطْعٌ مِنْ خَشَبِ السَّاجِ^(٦) أَوْ قِطْعٌ مِنْ آجُرٍ جَدِيدٍ .

قال بعض المُحَدِّثِينَ : [مخلع البسيط]

يَمْنَعُ أُمَّهُ بِالشَّمَالِ وَمَاؤُهَا الْبَارِدُ الزَّلَالُ
يَصِيحُ فِيهَا وَقَايَتُونَا يَجْرِي بِهِ الثَّلْجُ فِي مِثَالِ^(٧)

-
- (١) السُّعْدُ : نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة .
(٢) الأُتْرُج : شجر وثمر من جنس اللَّيْمُونِ تسمية العامة (الكَبَاد) .
(٣) المَلَّاحُ : ضربٌ من نبات الحمض ، أو حمضة مثل القَلَامِ فيه حمرة .
(٤) الآيِينَ : كتاب العادة والقانون ، كلمة فارسية .
(٥) اللُّفَّاحُ : نبات يقطيني أصفر شبيه بالباذنجان .
(٦) السَّاجُ : شجرٌ يعظم جداً لا ينبت إلا ببلاد الهند ، خشبة أسود رزين لا تكاد الأرض تُبْلِيهِ .
(٧) كذا بالأصل ، ولم نعر على هذين البيتين ولم نوقف إلى تصويبهما .

وقال صاحب الفلاحة: من أراد أن يَعَذَّبَ له الماء الرُّعَاقُ^(١) جعله في قَدْرٍ جديدة من خَزَفٍ وغطَّى فاهها بأسحال^(٢) ثم أوقد تحتها حتى تَغلي ويحصل فيها نصفُ ذلك الماء ثم صفّاه وتركه، فإنه يَجِدُهُ شَرُوباً^(٣).

وقالوا: ماء دِجْلَةٍ يَقْطَعُ شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيل الخيل ونشاطها، ومن لم يأكل الدسم عليه انحَلَّ عَظْمُهُ وَيَسَّ جِلْدُهُ، وهو مع هذا أَهْضَمٌ للطعام من غيره من المياه وأسرعها برداً.

قال: والنَّيْلُ يستَقْبِلُ الشَّمَالُ وينضُبُ في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها. وزيادة أوله وآخره معها؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه؛ قال الشاعر

أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هَجْرَاناً وَمَقْلِيَةً إِذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ^(٤)
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى أَلْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ^(٥)
وَالسَّقَنْقُورِ^(٦) أَيْضاً لَا يَخْرُجُ إِلَّا مِنْهُ.

ورَوَى فِي الْحَدِيثِ عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاجِمٍ أَنَّهُ قَالَ قَذَفَ الْفُرَاتُ فِي

(١) الرُّعَاق: المَرَّ الغليظ.

(٢) الأسحال: جمع سَحْلٍ وهو الخرقَة البيضاء.

(٣) الشُّروب: الصالح للشرب مع بعض كراهة.

(٤) مقليّة: من القلى وهو البغض.

(٥) البواقيل: كِبْرَان يشرب بها أهل مصر.

(٦) السَّقَنْقُور: صنف يتوالد من السَّمَكِ والتمساح، فلا يشاكل السمك لأنَّ له يدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأنَّ ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرّس، وذكره ابن البيطار، فقال: هو شديد الشبه بالورك، يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو ممّا يسعى في البرّ ويدخل الماء.

الْمَدَّ رُمَانَةً كَأَنَّهَا البعير البارك، وتحدّث أهل الكتاب أنها من الجنة.

وقال ابن ماسويه: ينبغي للماء الغليظ الذي ليس يعذب أن يطبخ حتى يذهب منه نصفه، ثم يطرح فيه السويق أو الطين الأحمر فإنه يلطفه ويذهب غائلته^(١) ويعذبه ويمنع كدره.

قالت الأطباء: الفقاع^(٢) المتخذ من دقيق الشعير نافع من الجذام^(٣). والجلاب^(٤) قاطع لكثرة دم الحيض، والسكنجين^(٥) نافع من الذبحة إذا كانت من حرارة، يشرب ويتغرغر به.

باب اللّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء: لحم الماعز يورث الهم، ويحرك السوداء^(٦)، ويورث النسيان، ويخبل الأولاد^(٧)، ويفسد الدم؛ وهو ضار لمن سكن البلاد الباردة. وأحمد اللّحمان ما خصي من المعز. والضأن نافع من المرة السوداء، إلا أن الممرورين الذين يضرعون، إذا أكلوا لحم الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يضرعوا في غير أوان الصرع. وأوان الصرع الأهله وأنصاف الشهور.

(١) الجنة: أي أنها من ثمار الجنة.

(٢) غائلته: آذاه.

(٣) الفقاع: شرابٌ يُتخذ من الشعير، سمي بذلك لما يعلوه من الزبد.

(٤) الجذام: داءٌ يسبب تآكل أعضاء الجسم وسقوطها.

(٥) الجلاب: العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد.

(٦) السكنجين: شرابٌ من خلٍ وعسل، ويراد به كلُّ حلوٍ وحامضٍ معاً.

(٧) السوداء: خلطٌ من أخلاط البدن.

(٨) يخبل الأولاد: يفسد عقولهم.

قال الشاعر^(١): [وافر]

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائِنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ^(٢)
قَالُوا: وَاللَّحْمَ أَقَلَّ الطَّعَامِ نَجْوًا^(٣). وَلَحْمَ الدَّجَاجِ الْهَرِمِ شَرُّ اللَّحْمَانِ
وَأَغْلَظُهَا.

وَالْبَيْضُ إِنْ سُلِقَ بِالخَلِّ ثُمَّ أَكِلَ بِالسُّمَاقِ^(٤) وَحَبُّ الرِّمَانِ الْمُفْلَقُ وَالْمِلْحُ
وَالْمُرِّيَّ عَقْلَ الطَّبِيعَةِ.

وَالزَّبْدُ إِنْ طُلِيَ عَلَى مَنَابِتِ أَسْنَانِ الطِّفْلِ كَانَ مُعِينًا عَلَى نَبَاتِهَا وَطُلُوعِهَا،
وَالْمَخُ وَالذَّمَاغُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ.

مَضَارُّ الْأَطْعَمَةِ وَمَنَافِعُهَا

الْكَمَاءُ^(١) وَالْقَطْرُ^(٢) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ
يَذْكُرُونَ الْكَمَاءَ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ جُدْرِي^(٣) الْأَرْضِ، فَقَالَ: «الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ^(٤)
وَمَاوِهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ».

- (١) هُوَ غِيلَانُ بْنُ عَقِبةِ الْعَدَوِيِّ الْمَعْرُوفُ بِذِي الرِّمَةِ.
- (٢) نَعِجُونَ: ثَقُلَ أَكْلُ لَحْمِ الضَّائِنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَطُلَاهِمُ: أَعْنَاقُهُمْ، أَيُّ أَنَّ أَكْلَ اللَّحْمِ أَثْقَلَ عَلَيْهِمْ فَمَالُوا إِلَى النَّوْمِ.
- (٣) الْحَجْوُ: الْغَائِطُ.
- (٤) السُّمَاقُ: نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ.
- (٥) الْمُرِّي: يَعْمَلُ عَمَلُ الْمِلْحِ إِلَّا أَنَّهُ أَقْوَى مِنْهُ.
- (٦) الْكَمَاءُ: مِنَ الْكَمَةِ وَهُوَ نَبَاتٌ مُسْتَدِيرَةٌ كَالْقَلْقَاسِ يَوْجَدُ فِي الرَّبِيعِ تَحْتَ الْأَرْضِ مَرَّةً ذَكَرَهُ مِنْ قَبْلُ.
- (٧) الْقَطْرُ: ضَرْبٌ مِنَ الْكَمَاءِ قَتَالٌ.
- (٨) جُدْرِي الْأَرْضِ: شَبَّهَتْ الْكَمَاءَ بِمَرَضِ الْجُدْرِيِّ لِأَنَّهَا تَظْهَرُ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ بَاطِنِ الْجِلْدِ.
- (٩) الْمَنُّ: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ رِزْقًا لَهُمْ.

الأصمعي عن بعض مشايخه قال: ثلاثة أشياء رُبما صرعت أهل البيت عن آخرهم: الجراد، ولحوم الإبل، والفُطْر.
وتقول الأطباء: إِنَّ أَرْدَأَ الفُطْرِ ما نَبَت تحت ظلال الشجر، وأردأه كُلُّ ما كان في ظلّ شجر الزيتون فَإِنَّه قتال.
قالوا: والكُمَثْرِي إذا طُبِخ مع الفُطْر أَذهب ضرره.
قالوا: والفُطْر يُورث الذَّبْحَةَ^(١).
قديم أعرايُّ المِصْرَ فأكل فُطْرًا، فأصابته ذُبْحَةٌ، ف قيل له: إن الطيب بعث أن يُحَلَب في فيك، فقال: ما زلت أسمع باللثيم الرّاضِع^(٢) ولا والله لا أكونه؛ قالوا: فتموت إذا؛ قال: وإن متُّ.
وتقول الأطباء: إن أكل أَكِلَ الفُطْرَ فأضرَّ به، سُقِي الكُرْنَبُ^(٣) المعصورَ وسُقِي من خُرءِ الدُّجَاج وزنَ درهمين مع خَلٍّ وعسلٍ مطبوخ وقِيء به.
قالوا: والكمأة تُورث وجع القولنج^(٤) والسَّكْتَةَ والفَالِجَ ووجع المَعِدَةِ.
قالوا: والذباب لا يَقْرَب قَدْرًا فيه كمأة.
ومن أراد اتخاذه الكمأة اليابسة جعلها في الطين الحرَّ يوماً وليلة ثم غسلها واستعملها.

بلغني عن فتى من أهل الكتاب أنه قال: كنا في طريق مكّة بالخزيمية^(٥)، فأتانا أعرايُّ بكمأة في كِسَاءٍ قَدَر ما أطاق، فقلنا: بِكُمْ الكمأة؟

(١) الذَّبْحَةُ: داء يأخذ في الحلق وربما قتل.

(٢) اللثيم الراضع: هو الذي يرضع الحلب فلا يحلبه في الإناء لئلا يسمع صوت الحلب، أو لئلا يضيع شيء منه.

(٣) الكرنب: نبات يشبه ورقه ورق الملفوف، أو هو الملفوف.

(٤) القولنج: مرضٌ معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح.

(٥) الخزيمية: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجر.

قال: بدرهمين، فاشتريناها منه ودفعنا الثمن إليه، فلما نهض قال له بعضنا: «في است المغبون عود»؛ قال: بل عودان، وضرب الأرض برجله، فإذا نحن على الكمأة.

قال بعض الشعراء: [رجز]
جَنَيْتُهَا تَمَلًّا كَفَّ الْجَانِي سُدَّاءَ مِمَّا قَدْ سَقَى السَّوَانِي^(١)
كَأَنَّهَا مَدْمُونَةٌ بِالْبَانِ^(٢)
وهذه صفة أجود الكمأة وأقلها أذى.

البصل والثوم

دخل داخل على نصر بن سيار وحوله بنون له صغار، فقال: هل تدرون ما ولدي هؤلاء؟ هؤلاء بنو البصل؛ وكان يأكله نيئاً ومشوياً ومطبوخاً. والأطباء تقول في البصل: إنه يشهي إلى الطعام إن أكل مشوياً أو نيئاً، ويشهي إلى الجماع. وإن دق وشُمَّ عطس وشهي الطعام. وإن اكتحل بمائه مع العسل جلا البصر. وإن وُضع مع الملح والسذاب^(٣) على عضة الكلب الذي ليس بـكَلْبٍ نفع. والإكثار منه يفسد العقل. والمسلوقة منه يُدِرُّ البول والدمعة.

العصافير إن أُكِلَتْ بالزنجبيل والبصل هيّجت شهوة الجماع وأكثرت المني.

(١) مثل يضرب لمن غبن.

(٢) السواني: جمع سانية وهو ما يُسقى عليه الزرع والحيوان.

(٣) البان: شجرٌ يسمو ويطول، شديد الخضرة، منه يستخرج دهن البان.

(٤) السذاب: بقل يفرع فروعاً تطلع من ساق له قصيرة تشعب عليه شُعَبٌ مثل الأغصان، ورده.

أصفر، يستعمل في الطب.

عن طارق بن شهاب قال: بعث سليمان النبي عليه السلام بعض عفاريتة وبعث معه رجلاً وقال: رُدَّهْ إِلَيَّ وانظرْ إلى صنيعه. فمرَّ على أهل بيتٍ يكون فضحك، ودخل إلى السوق ونظر إلى الناس فرفع رأسه إلى السماء وهَزَّهْ، ونظر إلى الثوم وهو يُكَالُ كَيْلاً والفُلْفُل وهو يُوزَنُ وزناً، فضحك. فلما رُدَّهْ إلى سليمان عليه السلام وأخبره بما جرى منه، قال: لِمَ ضَحِكْتَ من أهل البيت؟ وَلِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرتَ إلى السوق؟ وَلِمَ ضَحِكْتَ من الثوم والفُلْفُل؟ قال: أَمَا أَهْلُ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ مَيْتَهُمُ الْجَنَّةَ وَهُمْ يَكُونُ عَلَيْهِ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى النَّاسِ فِي السُّوقِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ، وَالنَّاسُ يُمْلُونَ وَالْمَلَائِكَةُ سِرَاعاً يَكْتُبُونَ، فَهَزَزْتُ رَأْسِي؛ وَنَظَرْتُ إِلَى الثُّومِ وَهُوَ شِفَاءٌ يُكَالُ كَيْلاً، وَإِلَى الْفُلْفُلِ وَهُوَ دَاءٌ يوزن وزناً. وعن وَهْبٍ^(١): أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مِمَّ كُنْتُ تَضْحَكُ؟ قَالَ إِنِّي مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَشْتَرِي خُفَيْنِ وَيَقُولُ لِصَاحِبِهِمَا: شَرِّطِي عَلَيْكَ أَنَّ أَلْبَسَهُمَا عَشْرَ سَنِينَ لَا يَتَخَرَّقَانِ^(٢)؛ فَعَجِبْتُ كَيْفَ شَرِّطَ أَمْلَهُ وَنَسِيَ أَجَلَهُ. وَمَرَرْتُ بِعَجُوزٍ دُھْرِيَّةٍ^(٣) تَتَكَهَّنُ وَتُخَبِّرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي سَخَّرَ لَكَ الرِّيحَ وَأَذَلَّ لَكَ الْجَنَّ وَعَبَدَ الشَّيَاطِينَ إِنِّي لَأَعْلَمُ فِي بَيْتِهَا تَحْتَ فِرَاشِهَا مَطْمُورَةٌ^(٤) فِيهَا قَنَاطِيرُ مِنْ ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي مَا تَحْتَهَا، وَقَدْ مَاتَ هَزْلاً^(٥) وَجُوعاً وَحَاجَةً. وَمَرَرْتُ بِأُخْرَى دُھْرِيَّةٍ تَتَطَبَّبُ وَكَانَ بِهَا مَرَّةً دَاءً، فَأَكَلْتُ الْبَصَلَ فَصَادَفْتُ مِنْهُ بُرْءاً، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَسَمَ دَاءَهَا وَشَفَاهَا، فَهِيَ تَصِفُّهُ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَقَدْ كَانَتْ فِي ظَهْرِهَا رِيحٌ حُبِسَتْ مِنْذُ زَمَانٍ

(١) وَهْبٌ: هُوَ وَهْبُ بْنُ مَتْبَهٍ مَرَّ ذَكَرَهُ.

(٢) يَتَخَرَّقَانِ: مِنْ تَخَرَّقَ الثَّوبُ أَيِ تَمَزَّقَ وَبَلِيَ.

(٣) الدُّهْرِيَّةُ: الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَطَالَ عَمْرُهَا.

(٤) الْمَطْمُورَةُ: الْحَفِيرَةُ تَحْتَ الْأَرْضِ.

(٥) الْهَزْلُ: الضَّعْفُ.

فَأَكَلْتُ الثُّومَ أَحَدًا وَعَشْرِينَ يَوْمًا فَشُفِيتَ مِنْهُ؛ فَعَجِبْتُ لَهَا كَيْفَ تَدْعُ أَنْ تَصِفَهُ
وَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يَسْتَقِي مِنْهُ فِي قُلَّةٍ لَهُ وَمَعَهُ بَغْلَةٌ، فَلَمَّا سَقَى
الْبَغْلَةَ مَلَأَ الْقُلَّةَ وَرَبَطَ الْبَغْلَةَ بِأُذُنِ الْقُلَّةِ وَذَهَبَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَتَفَرَّتِ الْبَغْلَةُ
وَكَسَرَتْ الْقُلَّةَ؛ فَجَعَلَ يَلْعَنُ الشَّيْطَانَ، وَبَرَأَ عَقْلَهُ وَنَسِيَ فِعْلَهُ. وَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَاجْتَهَدُوا وَنَصَبُوا^(١) وَابْتَهِلُوا، فَلَمَّا أَظَلَّتِ الرَّحْمَةُ مَلَّةً رَجُلٌ مِنْهُمْ
فَقَامَ، وَجَاءَ آخِرُ لَمْ يَنْصَبْ مَعَهُمْ فَجَلَسَ مَجْلِسَهُ، فَزَلَّتِ الرَّحْمَةُ فَدَخَلَ فِيهَا
مَعَهُمْ وَحُرِّمَهَا الْأَوَّلُ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ سَعَادَةِ هَذَا وَشَقَاوَةِ هَذَا.

وَتَقُولُ الْأَطِبَّاءُ: إِنَّ الثُّومَ إِذَا شُوِيَ بِالنَّارِ وَوُضِعَ عَلَى الضَّرْسِ الْمَأْكُولِ
وَذُلِكْتُ بِهِ الْأَسْنَانُ الَّتِي يَعْزِضُ فِيهَا الْوَجَعُ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالرَّيْحِ، أَذْهَبَ مَا فِيهَا
بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْوَجَعِ.

قَالَ: وَهُوَ يَنْفَعُ مِنَ الْعَطَشِ الْحَادِثِ مِنَ الْبَلْغَمِ، وَيَقُومُ مَقَامَ التَّرْيَاقِ فِي
لَسَعِ الْهُوَامِّ، وَالْأَمْرَاضِ الْبَارِدَةِ.

وَتَقُولُ الرُّومُ فِي الثُّومِ: إِنَّهُ دَوَاءٌ لِمَنْ أَصَابَهُ وَجَعُ السَّقْيِ^(٢) فِي بَطْنِهِ.
وَإِنْ أَكَلَهُ مَنْ ظَهَرَ فِيهِ حَرَّةٌ^(٣) مِنْ شَرَى^(٤) أَوْ غَيْرِهِ أَبْرَاهُ. وَإِنْ دُقَّ الثُّومُ يَابِسًا
فَأُغْلِيَ بِسَمْنٍ وَلَبَنٍ ثُمَّ جَعَلَهُ مَنْ يَشْتَكِي ضِرْسَهُ فِي فِيهِ سُخْنًا فَأَمْسَكَهُ سَاعَةً،
ذَهَبَ وَجَعُ ضِرْسِهِ؛ وَهُوَ نَافِعٌ لِمَنْ اجْتَوَى^(٥).

(١) نَصَبُوا: مِنَ النَّصَبِ، وَهُوَ التَّعَبُ.

(٢) السَّقْيُ: مَاءٌ أَصْفَرُ يَقَعُ فِي الْبَطْنِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الطَّبِّ بِالْإِسْتِسْقَاءِ أَوْ الصَّفَارِ.

(٣) الْحَرَّةُ: الْأَلَمُ أَوْ الْحِكَاكُ.

(٤) الشَّرَى: بَشُورٌ حُمْرَاءُ تَظْهَرُ فِي الْجِلْدِ مَثِيرَةً لِلْحِكَاكِ.

(٥) اجْتَوَى: مِنَ الْجَوَى، وَهُوَ دَاءُ السَّلِّ، أَوْ دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الصَّدْرِ، أَوْ كُلُّ دَاءٍ يَأْخُذُ فِي الْبَاطِنِ وَلَا
يَسْتَمِرُّ مَعَهُ طَعَامٌ.

الكَرَاث

قالت الأطباء: الْكَرَاث النَّبْطِيّ إِذَا أُدْمِنَ كَانَتْ فِيهِ أَحْلَامٌ رَدِيئَةٌ، وَوَلَدَ بُخَاراً فِي الرَّأْسِ رَدِيئاً. وَإِنْ صُبَّ فِي مَائِهِ خَلٌّ وَدُقَاقُ كُنْدَرٍ^(١) وَاسْتُعِطَ^(٢) بِهِ سَكَنَ الصَّدَاعُ. وَإِنْ سُلِقَ أَوْ طُحِنَ وَأُكِلَ أَوْ ضُمِّدَ بِهِ الْبَوَاسِيرُ الْعَارِضَةُ مِنَ الرُّطُوبَةِ نَفَعَ مِنْهَا.

وماء الكَرَاث إِذَا خُلِطَ بِمِثْلِهِ مِنَ أَلْبَانِ النَّسَاءِ وَدُهْنِ الْوَرْدِ وَالْكُنْدَرِ وَكُحِّلَ بِهِ عَيْنٌ مِنْ أَصَابَتِهِ غَشَاوَةٌ فِي عَيْنِهِ فَلَمْ يُنْصَرْ لَيْلاً نَفَعَهُ. وَأَكْلُ الْبَصْلِ نَافِعٌ لَذَلِكَ أَيْضاً.

الْكُرْنُبُ وَالْقُنَيْطُ

قالوا: الْكُرْنُبُ مُعَيَّنٌ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ النَّبِيذِ إِذَا أُكِلَ، وَهُوَ مُذِيرٌ لِلْبُولِ. وَقَالَتِ الرُّومُ: بَيْنَ الْكُرْنُبِ وَالْكَرْمِ عَدَاوَةٌ؛ وَلَا يَكَادُ يَصْلُحُ الْكَرْمُ وَالْكُرْنُبُ إِذَا تَجَاوَرَا. قَالَتِ الْأَطْبَاءُ: إِنْ احْتَمَلَتِ الْمَرْأَةُ بَزَرَ الْكُرْنُبِ بَعْدَ الْحَيْضِ أَسْهَلَ الْمَنِيَّ وَأَفْسَاهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ حَمْلٌ، وَشَرِبُ مَائِهِ مَعَ الشَّيْحِ الْأَرْمَنِ غَيْرَ الْمَطْبُوخِ أَوْ مَاءِ التَّرْمُسِ الْمُتَقَعِ^(٣) مُخْرِجٌ لِحَبِّ الْقَرَعِ^(٤) مِنَ الْبَطْنِ. وَالْقُسْطُ^(٥) أَيْضاً خَاصَّةً بِزَرِّهِ يُفْسِدُ الْمَنِيَّ إِذَا احْتَمَلَتْهُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ طَهْرِهَا؛ وَمَقْدَارُ مَا يُحْتَمَلُ وَزَنُ دُرْهَمَيْنِ.

وتقول الروم: الْكُرْنُبُ إِنْ طُبِخَ وَخُلِطَ مَآؤُهُ بِالْحَنْدَقُوقِ^(٦) وَسُقِيَ الْمَرْأَةُ

(١) الكندر: خرب من العلك، وهو ألبان الذكر.

(٢) استعط به: أي جعل سعوطاً ليشم من الأنف.

(٣) المنقع: الذي نقع بالماء ليحلوا.

(٤) حب القرع: اسم دود يكون في البطن.

(٥) القسط: عود هندي يتداوى به.

(٦) الحندقوق: نوع من الحشيش، وقيل هو الهبيد أي الحنظل.

التي تأخر خيضها حاضت لحيثها.

قالوا: وإذا خلط ماء الكرنب بالبَنج^(١) كان نافعاً للسعال.
قال أبو محمد: سكوت إلى حنين الطبيب علة كنت أجدها في حلقي لا أكاد أبتلع معها ريقى؛ فقال: هي بيّنة في عينك. فتغرغر بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات؛ ففعلت ذلك يوماً واحداً فذهب.
قالوا: وإذا دق الكرنب وخلط به شيء من زاج^(٢) الأسايفة وشيء من خل، فأوجف^(٣) ذلك بالخطمي^(٤)، ثم طلي به برص أو جرب نفع بإذن الله تعالى.

السَّلْجَم^(٥) والفُجْل

تقول الأطباء في الفجل: إنه مهيج للجماع زائد في المني، وبزره نافع من السموم قالوا: والفُجل هاضم للطعام، فإن أكل بزره بعسل كان دواء من السعال والفواق^(٦)؛ وإذا شُدِخت^(٧) قطعة فجل فطُرحت على عَقرَب ماتت؛ وماؤه وبزره للسموم بمنزلة الترياق^(٨). وإذا طلى أحد يده بمائه ثم قبض على

(١) البَنج: هو الشيكران بالعربية، نبت له قضبان غلاظ وورق عراض وثمره شبيه بالجلنار مملوء ببزر الخشخاش.

(٢) الزاج: الشَّب اليماني.

(٣) أوجف: حرك.

(٤) الخطمي: نبات ينفع في الأمراض الصدرية والرشوحات.

(٥) السَّلْجَم: هو اللفت، وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع وقلوب ورقة تؤكل مطبوخة فتدبر البول. وبزره يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة للسموم.

(٦) الفواق.

(٧) شدخت: قطعت وشرحت.

(٨) الترياق: دواء السموم فارسي معرب.

حَيَّةٍ أو غيرها من الهوامِّ لم يُضَارَّ ذلك الموضعُ. قالوا: وإن دُقَّ بَزْرُه مع الكُنْدُر^(١) وطُلي به البَهَقُ الأسود^(٢) في الحمامِ أذهب. وإن شرب ماءً ورقه نفع من الأرقانِ^(٣) الحادث من الطحال.

الباذِنجان

قالوا: والباذنجان مُكَلِّف^(٤) للوجه يُورث داء السَّرطان والأورام الصُّلْبَة. وحَدَّثني أبي عن أبي الحارث جُمِيزَ أنه سمعه يقول في الباذِنجان: لا آكله، لون العقرب وشبه المِحْجَمَة. قيل له: فقد رأيناك تأكله على خِوانِ فلان! قال: كان مَيْتَةً وأنا مُضْطَرٌّ.

الخيار والقثاء

قالوا؛ شَمُّ الخيار نافع لمن أصابه الغَشْيُ^(٥) من الحرارة. وبِزْر القثاء إذا شربه من به حُمى الأسي^(٦) نفعه. وإن أصابت رضيعاً حُمى فالزَقَتْ به خيارتين تَمَسَّان جلده إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله، أقلعت الحُمى عنه.

السِّلَق

قالوا: والسِّلَق إن دُقَّ مع أصله وعُصِرَ ماؤه وغُسِلَ به الرأسُ ذهب بالأتربة وأطال الشعر.

(١) الكندر: ضربٌ من العلك وهو اللبن الذكر.

(٢) البهق الأسود.

(٣) الأرقان أو اليرقان: داءٌ يصيب الناس يصفرُّ منه الوجه.

(٤) المكلف: المغيِّر للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالتمش.

(٥) الغشي: تعطل أكثر القوى المحركة للإنسان «كالإغماء».

(٦) حُمى الأسي: كذا بالأصل، ولعله (الأسر) وهو احتباس البور.

الهليون^(١)

قالوا: والهليون مُدِرٌّ للبول، نافع من القولنج.

القرع

قالوا: إذا شوي القرع بالنار ثم عُصِرَ فُجِعِلَ من مائه في أُذُنٍ من اشتكى أُذُنَهُ نفعه. وإن دُهِنَتْ منابت شعر اللحية بدهن القرع المرّ، وقثاء الحمار^(٢) مُذاباً فيه شَيْخٌ أَرْمَنِيٌّ أسرع فيها نباتُ الشعر.

البقول

قالوا: والجرجيرُ زائد في الباه^(٣) والانعاظ^(٤) مُدِرٌّ للبول. وتذكر الروم أن من أكل الجرجير ثم ضُربَ بالسيّاط هَوَنَ عليه بعضُ ذلك الجلد. قالوا: وهو ينفع من دَفَرِ الإبطين^(٥) إذا أُكِلَ على الريق وطليّ الإبطان بمائه. وتزعم الروم أن ماءه ينفع من عَضّة ابن عرسٍ.

وقال بعضُ الأطباء: إن دُرَّ بَزُرُ الجرجير مدقوقاً في البيض وحشيّ كان ذلك زائداً في الباه والانعاظ زيادةً بيّنة. قال أبو حاتم عن القحذميّ قال: أكله أعرابيّ فأنعظ شهراً، فقال الفرزدق يَفْخَرُ به:

[طويل]

ومنا التميمي الذي قام أيّره ثلاثين يوماً ثم زادهم عَشْراً

(١) الهليون: نبت طري ورقه كورق الشبث ولا شوك له البتة وله بزرٌ مدوّر أخضر ثم يسود ويحمر.

(٢) مباء الحمار: نوع من أنواع القثاء البري.

(٣) الباه: النكاح.

(٤) الانعاط: إنتصاب الذكر.

(٥) الدفر: الرائحة الكريهة.

قالوا: والسَّذاب^(١) قاطع لشهوة الجماع. وقالت الروم: إن أَكَلْتَ امرأةً حاملًا أربعةَ مثاقيلَ كلَّ يومٍ بماءٍ سَخِنَ أو نَبِذَ خمسةَ عشرَ يوماً أسْقَطَتْ وَلَدَهَا.

وقال بعض الشعراء:

[مجث]

كم نعمةٍ للسَّذابِ جَلِيلَةٍ في الرُّقابِ
النَّاسُ عنها غُفُولٌ إِلَّا ذَوِي الألبابِ
فالحمد لله شكرًا لولا مكانَ السَّذابِ
لَغَيَّبَ الأرضَ نسلُ الـ مُغَنِّيَاتِ القِحَابِ

قالوا: والبقلة الحمقاء^(٢) إذا مُضِغْتَ أَذهَبَتِ الطَّرَشَ، وإذا أَكَلْتَ أَذهَبَتْ شهوةَ الجماع. والروم تقول: إن نظر ناظرٌ عند رؤية الهلال إلى الهِنْدِباءِ فحلف بآله القَمَرِ ألا يأكلَ هِنْدِباءً ولا لحمَ فَرَسٍ، سَلِمَ في كلِّ شهرٍ يحلف فيه من وجع الضرس.

قالت الأطباء: الخُسُّ إذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير الماء ومن يتأذى باحتلام. وإذا شُرِبَ بَزْرُهُ بماءٍ قطع شهوةَ الجماع.

قالوا: والخَرْدَلُ إن أُكْثِرَ من أكله أَوْرَثَ ضعفًا في البصر، وهو مُكَثِّرٌ لِلْبَنِ مُدِيرٌ لِلْبُولِ، وهو نافعٌ من الصَّرْع. وإن أَكْتُحِلَ بمائه بعد أن يُغْلَى عليه

(١) السذاب: بقل يفرع فروعاً تطلع من ساقٍ له قصيرة تشعب عليه شعب مثل الأغصان، له طبائع وخواص مذكورة في كتب الطب.

(٢) البقلة الحمقاء: يقال: بقلة الحمقاء بالإضافة على تأويل بقلة الحجة الحمقاء، والبقلة الحمقاء بالنتع. قال ابن سيدة: هي التي تسميها العامة الرجلعة.

وَيُصَفَّى جلا البَصَرَ الضعيفَ من الرطوبة. وتزعم الروم أن ماءه يَصْلُحُ للأطفال من الحُمَّى إذا أصابتهم. وهو يُفْسِدُ الدهنَ وَيُورِثُ النِّسيانَ وَيُضْعِفُ البَصَرَ.

قالت الأطباء: النَّعْنَاعُ يُسَكِّنُ القيءَ، وينفع من الفُوقِ الحادث من البلغم إذا شُرِبَ مع النَّمَامِ^(١).

وتقول الروم: الْحَبَقُ^(٢) الذي على شطوط الأنهار نافعٌ لِلرَّمَدِ إذا دُقَّ وَنُخِلَ وَاكْتُجِلَ به، وإن مضغه ماضغاً ووضعهُ على عينه نفعه.

وأما الْفُودَنْجُ^(٣) النَّهْرِيّ - فإنه يُدِيرُ الطَّمْثَ^(٤). وإن أُخِذَ من الْفُودَنْجِ الْجَبَلِيِّ أَوْقِيَّةٌ وَطُبِخَ بنصف رطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ وَيُشْرَبَ، سَهَّلَ السُّودَاءَ.

وقالت الأطباء: الْحَنْدُقُوقُ^(٥) يُورِثُ وَجَعَ الْحَلْقِ، وَيَذْهَبُ بضرره مَنْ يَأْكُلُ بعده الْكُرْبُرَةَ الرُّطْبَةَ وَالْبَقْلَةَ الْحَمَقَاءَ وَالْهَنْدِباءَ.

وَالطَّرْخُونُ^(٦) يُؤْكَلُ مع الْكَرْفَسِ.

قالوا: وَالرَّاسِنُ^(٧) ينفع من قِطَارِ الْبُولِ إذا كان من بَرْدٍ، وَيُقَوِّي الْمَثَانَةَ.

(١) النام: نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان، عطري قوي الرائحة، سمي بذلك لسطوع رائحته.

(٢) الحبق: نبات طيب الرائحة.

(٣) الفودنج النهري: نبت، ويقال فيه فودنج (ياهمال الدال وضم الأول والرابع). وأجناسه ثلاثة: برّي ونهري وجبلي ولكل منها أوصاف، وخواص تجدها مفصلة في مفردات ابن البيطار.

(٤) الطمّث: دم الحبيض.

(٥) الحندقوق: بقلة وحشيّة كالفلث الرطب (شجر ينبت في السهول والأكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهبيد، والهبيد: الخنظل، نبطيّ معرّب ويقال لها بالعربية: الرزق.

(٦) الطرخون: قال ابن البيطار: الطرخون: بقلة معروفة عند أهل الشام وهي قليلة الوجود بمصر. وقال أبو حنيفة: ورقة طوال دقاق.

(٧) الراسن: نبات يشبه الزنجبيل.

قالوا: والكشوث^(١) يذهب بالأرقان.

قالوا: وعنب الثعلب قاطع لدم الحيض إن شرب أو احتُمِلَ.
وقالوا: الكرفس^(٢) إذا طُبِّخ وشرب كان دواءً من وجع الكلتيّين ومن
الأسر^(٣).

باب الحبوب والبزور

تقول الأطباء في حبّ الفُلْفُل: إذا خُلِط بالسَّمْسِم وعُجِن بعسل
الطُّبْرُزْد^(٤) يزيد في الجماع.
والعرب تزعم أن الحبة الخضراء وشرب ألبان الإبل عليها تبعث
الشهوة.

قال جرير:

[طويل]

أَجْعُنْ قَدْ لَاقَيْتَ عِمْرَانَ شَارِباً عَلَى الْحَبَّةِ الْخَضِرَاءِ أَلْبَانَ إِيْل^(٥)
وَالْجَمَصِ زَائِدٍ فِي الْجِمَاعِ، مُكَثِّرٌ لِلْمَنِيِّ، مُحَسِّنٌ لِلْوَنِّ، زَائِدٌ فِي لَبَنِ
الْمُرْضِعِ، يُدِرُّ دَمَ الْحَيْضِ، وَإِنْ خُلِطَ بِالْبَاقِلَاءِ أَسْمَنَ.

الأصمعيّ قال: قلت لابن أبي عَطارِد: بلغني أن أباك كان ذا منزلة من
أبن سِيرِينَ، فما حَفِظْتَ عنه؟ قال قال أبي: قال لي ابن سيرين: يا أبا
عَطارِد، إن سَوِيقَ الْعَدَسِ بارد وهو يدفع الدَّم.

(١) الكشوث: هو شيء يتعلّق بالنبات مثل الخيوط يشرب بين ماء النبات الذي يتعلّق به ولا أصل
له في الأرض ويكثر في الكروم الرطبات.

(٢) الكرفس: نبت معروف وهو من أحرّ البقول عظيم النفع.

(٣) الأسر: احتباس البول.

(٤) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب.

(٥) الإبل: جمع إبل، وهو ذكر الوعول.

(٦) جعثن: اسم امرأة وهي أخت الفرزدق.

قالت الأطباء: إِنَّ الْخَرْدَلَ نَافِعٌ مِنْ حُمَى الرَّبْعِ^(١) وَالْحُمَيَاتِ الْمُتَقَادِمَةِ وَوَجَعَ الْأَرْحَامِ وَيُجَفِّفُ مِنَ الْبَلْغَمِ، وَيُنْزِلُ الرُّطوبَةَ مِنَ الرَّأْسِ، وَإِنْ أُكِلَ مَعَ السَّلَقِ الْمَسْلُوقِ نَفَعَ مِنَ الصَّرَعِ، وَإِنْ طُلِيَ الْبَرَصُ بِهِ زَالَ.

وقالت الأطباء: الْحُرْفُ^(٢) يُخْرِجُ حَبَّ الْقَرَعِ مِنَ الْبَطْنِ، وَيَنْفَعُ مِنْ عِرْقِ النِّسَاءِ^(٣) وَوَجَعِ الْوَرَكِ. وَإِنْ سُخِّنَ بِالْمَاءِ الْحَارِّ وَشُرِبَ مِنْهُ وَزَنُ أَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ أَوْ خَمْسَةِ أَسْهَلِ الطَّبِيعَةِ^(٤) وَنَفَعَ مِنَ الْقَوْلَجِ.

وقال رجل من قُدماء الأطباء في الْبَاقِلَاءِ: إِنَّهُ إِذَا أُذْمِنَ أَكَلٌ^(٥) الْبَصَرِ، وَأَحَالَ الْأَحْلَامَ أَضْغَاثًا^(٦) لَا يُتَنَفَّعُ بِهَا وَلَا يَجِدُ عَابِرُ الرُّوْيَا إِلَى تَأْوِيلِهَا سَبِيلًا. وَدَهْنُ الشَّاهْدَانِجِ^(٧) نَافِعٌ لَوَجَعِ الْأُذُنِ الْعَارِضِ مِنَ الْبَرْدِ وَالْعِلَلِ الْمُتَقَادِمَةِ مِنْهَا.

باب الفاكهة

عن مَعْمَرِ بْنِ خُثَمٍ عَنْ جَدِّهِ قَالَتْ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِذَا أَكَلْتُمُ الرُّمَانَ فَكُلُوهُ بِشَحْمِهِ فَإِنَّهُ دِبَاغٌ لِلْمَعِدَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ.

(١) حُمَى الرَّبْعِ: هِيَ الْحُمَى الَّتِي تَأْتِي فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ.

(٢) الْحُرْفُ: حَبُّ الرِّشَادِ.

(٣) عِرْقُ النِّسَاءِ: هُوَ عِرْقٌ فِي الْإِنْسَانِ يَمْتَدُّ مِنَ الْوَرَكِ حَتَّى طَرَفِ الْقَدَمِ.

(٤) أَسْهَلُ الطَّبِيعَةِ: أَيُّ سَاعِدٍ عَلَى إِخْرَاجِ الثَّقَلِ وَالرَّيْحِ.

(٥) أَكَلَّ الْبَصَرِ: أَضْعَفَهُ.

(٦) الْأَضْغَاثُ: جَمْعُ ضَغْثٍ، وَهِيَ الرُّوْيَا الَّتِي لَا يَصِحُّ تَأْوِيلُهَا لِاحْتِلَاطِهَا.

(٧) الشَّاهْدَانِجُ: الْقَنْبُ، وَهُوَ نَبَاتٌ ذُو قَضْبَانٍ طَوِيلَةٍ مَتْنِ الرَّائِحَةِ لَهُ حَبٌّ مُسْتَدِيرٌ يُوَكَّلُ وَتَتَخَذُ مِنْهُ جِبَالٌ قَوِيَّةٌ.

الأصمعي: قيل لأعرابي: لِمَ تُبَغِّضُ الرِّمَانَ؟ قال: لأنه مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَجْفَرَةٌ^(١).

قال: وقال يحيى بن خالد: شِيثَانِ يُورِثَانِ الْقَمْلَ: التَّيْنُ الْيَابِسُ إِذَا أَكِلَ، وَبِخَارِ اللَّبَانِ^(٢) إِذَا تُبَخِّرَ بِهِ.

وقالت الأطباء: وَرَقُ الْخَوْخِ وَأَقْمَاعُهُ إِنْ دُقَّ وَعُصِرَ وَشُرِبَ أَسْهَلُ حَبِّ الْقَرْعِ وَالذَّيْدَانِ وَالْحَيَاتِ الْمَتَوَلِّدَةِ فِي الْبَطْنِ، وَإِنْ صُبَّ مَاءُ وَرْقِهِ فِي الْأُذُنِ أَمَاتَ الذَّيْدَانِ فِيهَا، وَإِنْ تُدْلِكَ بِوَرْقِهِ بَعْدَ النُّورَةِ^(٣) قَطَعَ رِيحَهَا.

وَحُمَاضُ الْأُتْرُجِ^(٤) إِنْ لُطِخَ بِهِ الْكَكْفُ وَالْقُوبُ^(٥) أَذْهَبَهُ. وَحَبُّ الْأُتْرُجِ نَافِعٌ مِنَ السَّمُومِ.

وَوَرَقُ التَّفَّاحِ الْغَضُّ إِنْ دُقَّ بِالرَّفَقِ أَيَّاماً خَمْسَةً أَوْ سِتَّةً ثُمَّ ضُمِدَ بِهِ الْوَشْمُ^(٦) قَلَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَحَ مَوْضِعُهُ.

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَاتَ فِي بَطْنِهِ جَزْرَةً أَوْ جَزْرَتَانِ أَوْ ثَلَاثَ أَمِنَ الْقَوْلَجَ وَالذُّبِيلَةَ^(٧)».

وَالْقُسْتُقُ: إِنْ دُقَّ وَشُرِبَ بِالْمَطْبُوحِ الشَّدِيدِ نَفَعَ مِنْ لَسَعِ الْهُوَامِ.

(١) المبخرة من البحر وهو الرائحة الكريهة للفم، ومجفرة: أي يذهب شهوة الجماع ومجعرة: يريد ييس الطبيعة «الإمساك».

(٢) اللبان: الكندر، وهو ضرب من العلك.

(٣) النورة: حجر الكلس، ثم غليت على أخلاط تضاف إلى الكلس، كالزرتنج وغيره، وتستعمل لإزالة الشعر.

(٤) الأترج: كثير بأرض العرب يغرس غرساً، ورقه مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة، فقاحه شبيه بنور الترجس إلا أنه ألطف منه.

(٥) القوب: من القوباء، وهو داء يظهر في الجسد يتقشر منه الجلد ويسقط الشعر.

(٦) الوشم: العلامة في اليد أو غيرها.

(٧) الذبيلة: خراج ودمل كبير، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً.

وَاللُّفَّاحُ^(١): سَمٌّ، وَرَبِمَا قَتَلَ آكَلَهُ. وَتُدْفَعُ مَضَرَّتُهُ بِالْقِيءِ بِالشَّرَابِ
وَالْعَسَلِ وَالْإِسْهَالِ وَشَمِّ الْفُلْفُلِ وَالْخَرْدَلِ وَالْجَنْدَبَادَسْتَرِ^(٢) وَالسَّدَابِ وَالتَّعْطُسِ.
قَالَ وَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الدَّهَاقِينِ^(٣) عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَجَمِ: أَنَّ بُزْرَ جَمْهَرٍ قَالَ
لَأَهْلِ الْحَبْسِ: سَلُوا الْمَلِكَ أَنْ يَرْزُقَكُمْ مَكَانَ الْأَذَمِ الْأَتْرُجِّ، لِيَكُونَ الْقَشَرُ
لَطِيكِمَ، وَلَحْمُهُ لِفَاكِهِتِكُمْ، وَالْحُمَاضُ لَصِبَاغِكُمْ، وَالْحَبُّ لَدُهْنِكُمْ. فَكَانَ
ذَلِكَ أَوَّلَ مَا عُرِفَتْ بِهِ حِكْمَتُهُ.

باب مصالحي الطعام

قَالَ رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الطَّبَّاعِينَ: الْعَجِينُ يُمَلِّكُ. وَفِي الْحَدِيثِ
الْمَرْفُوعِ: «أَمْلِكُوا^(٤) الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرِّيعِينَ».

السَّوِيقُ: يُغْسَلُ بِالمَاءِ الْحَارِّ مَرَّاتٍ ثُمَّ بِالْبَارِدِ وَيَشْرَبُ.
وَالْمِلْحُ: يُتَقَبَّلُ بِهِ الطَّبِيخُ.

وَالْخَلُّ: يُنْضِجُ الْعَدَسَ وَيُصْلِحُهُ لِلْأَكْلِ.

الْبَاقِلِيُّ: يُنْقَعُ ثُمَّ يُطْبَخُ. وَلَا يُؤْكَلُ مِنَ الْفَاكِهَةِ إِلَّا مَا نَضِجَ عَلَى شَجَرِهِ،
وَيُلْقَى ثَقْلُهُ وَعَجْمُهُ^(٥)، وَيُؤْكَلُ عَلَى رِيقِ النَّفْسِ.

وَالْعِنَبُ: يُقَطَفُ وَيَمْهَلُ أَيَّاماً ثُمَّ يُؤْكَلُ. وَلَا يُؤْكَلُ مِنَ الْقِنَبِ^(٦) إِلَّا لُبُّهُ.

(١) اللُّفَّاحُ: ثَمَرُ الْبِيرُوحِ، وَهُوَ أَصْفَرُ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ ثَمَرُهُ شَبِيهُ بِحَبِّ الْكَمْثَرِيِّ، وَاللُّفَّاحُ أَيْضاً: نَوْعٌ
مِنَ الْبَطِيخِ صَغِيرِ جَسْمِهِ مَخْطُوطٌ، وَرَائِحَتُهُ طَيِّبَةُ الشَّمِّ.

(٢) الْجَنْدَبَادَسْتَرُ: نَبَاتٌ فَارِسِيٌّ مَعْرُوبٌ.

(٣) الدَّهَاقِينُ: التَّجَارُ، أَوْ رُؤَسَاءُ الْمَقَاطِعَاتِ وَالْأَقَالِيمِ.

(٤) أَمْلِكُوا الْعَجِينَ: عَجْنَهُ فَانْعَمَ عَجْنُهُ وَأَجَادَهُ، وَالرِّيعُ: الزِّيَادَةُ.

(٥) عَجْمُهُ: نَوَاهُ.

(٦) الْقِنَبُ: نَبَاتٌ مِثْلُ الرَّائِحَةِ لَهُ حَبٌّ مُسْتَدِيرٌ يُؤْكَلُ، وَتَتَخَذُ مِنْهُ الْحَبَالُ.

ولا يؤكل من الرأس إلا أسنانه^(١) وعيونه.

الباذنجان: يُشَقَّ ويُحشى بالملح، ويترك ساعة في الماء البارد، ثم يصب عنه ويعاد إلى الماء مراراً، ثم يُسَلَق بعد ذلك.

الكَبَر^(٢): يؤكل بالخل بعد غسله بالماء من الخل.

الزيتون: يؤكل وسط الطعام ويصَّب في الخل.

ويؤكل من الأَشْتُرْغَاز^(٣) خلّه ولا يُعرض لجسمه.

والكَمَاة: تُنَصَفُ ويُقشَر عنها قشرها، وتُسَلَق بالماء والملح ثم تُستعمل بالسَعْتَر^(٤) والفلفل، وتُقلى بالزيت الرّكابي^(٥)، وكذلك الفطر.

السَلَق والكُرْب: يُسَلَقان بالماء والملح، ويصَّب ماؤها ثم يُستعملان.

والبقول: تمسح ثم تؤكل ولا تغسل بالماء.

وأحمد الثمور الهَيرون^(٦). وأحمد البُسور الجيسران^(٧). وما اصفرَّ أحمد

مما اسودَّ.

وخير السمك الشَّبوط والبناني والميَّاح^(٨). ولا يؤكل السمك الطري إلا

(١) كذا بالأصل ولعله يريد لسانه.

(٢) الكبير: شجرٌ صغيرٌ شائك أبيض الزهر، جميله.

(٣) الأَشْتُرْغَار: تأويله بالفارسية شوك الجمال، ترعاه الإبل.

(٤) السَعْتَر: «الصعتر» نبات معروف.

(٥) الزيت الرّكابي: أي الزيت المنسوب إلى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من المدينة ويرى ياقوت أن ذلك وهماء لأن تلك النواحي قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها.

(٦) الهَيرون: البَري من التمر والرطب.

(٧) الجيسران: جنسٌ من أفخر النخل.

(٨) الشَّبوط: ضربٌ من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس والبناني والميَّاح. كذلك أنواع من الاسماك.

حَارًّا بِالْخَرْدَلِ فِي الشِّتَاءِ، وَفِي الصَّيْفِ بِالْخَلِّ وَبِالْأَبَازِيرِ^(١). وَأَقَلَّ السَّمَكِ أَذْيَ الْمَمْقُورِ^(٢). وَشَرُّ السَّمَكِ كِبَارُهُ السَّمَارِيسُ^(٣). وَخَيْرُ السَّمَارِيسِ الْبَيْضُ، وَأَكْلُهَا خَيْرٌ مِنْ أَكْلِ الْحَمْرِ، وَشَرُّهَا السَّوْدُ.

وَخَيْرُ الْبَيْضِ الْبَيْضُ الشَّوَابِ^(٤) مِنَ الدَّجَاجِ، وَلَا خَيْرَ فِي بَيْضِ الْهَرَمَةِ. وَأَخَفُّ الْبَيْضِ الرَّقِيقُ، وَأَثْقَلُهُ الْبَيْضُ الصَّلْبُ.

وَلَا يُعْرَضُ مِنَ الرَّأْسِ لِلدِّمَاغِ وَلَا لِللِّسَانِ، وَلَا الْغُلْصَمَةِ^(٥) وَلَا الْخَرَاطِيمِ.

وَلَحْمُ الْعُنُقِ خَفِيفٌ سَرِيعُ الْإِنْهَضَامِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «الْعُنُقُ هَادِيَةٌ»^(٦) الشَّاةُ وَهِيَ أَبْعَدُهَا مِنَ الْأَذَى.

وَالْفَقَّاعُ^(٧): يُشْرَبُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَلَا يُشْرَبُ بَعْدَهُ.

وَاللَّبَنُ: لَا يُؤْكَلُ وَلَا يُشْرَبُ إِلَّا بَعْدَ وَضْعِ الشَّاةِ بِشَهْرِ وَنَحْوِهِ.

وَالْبَاقِلِيُّ^(٨)؛ يُؤْكَلُ بَعْدَ الْفُودَنْجِ^(٩) فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِنَفْخَتِهِ.

اللُّوَيْسَاءُ: يُؤْكَلُ بَعْدَهُ الْخَرْدَلُ الرَّطْبُ، وَيُشْرَبُ بَعْدَهُ مَاءُ الرُّمَّانِ

(١) الْأَبَازِيرُ: التَّوَابِلُ.

(٢) الْمَمْقُورُ: الْحَامِضُ الْمَنْقُوعُ فِي الْخَلِّ أَوْ الْمَاءِ وَالْمَلْحِ.

(٣) السَّمَارِيسُ: صَنْفٌ مِنَ السَّمَكِ، رَأْسُ الْمَمْلُوحِ مِنْهُ إِذَا أَحْرَقَ قُلْعَ اللَّحْمِ الزَّائِدِ فِي الْقُرُوحِ وَمَنْعَ الْقُرُوحِ الْخَبِيثَةَ مِنْ أَنْ تَسْعَى فِي الْبَدَنِ وَيَقْلَعَ الثَّالِيلَ.

(٤) الشَّوَابُ: الْفَتَيَاتُ.

(٥) الْغُلْصَمَةُ: رَأْسُ الْحَلَقُومِ بِشَوَارِبِهِ «عُرُوقُ فِي الْحَلْقِ» وَحَرْقَدَتِهِ (عَقْدَةُ الْحَلْقِ).

(٦) الْهَادِيَةُ: أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ.

(٧) الْفَقَّاعُ: شَرَابٌ يَتَخَذُ مِنَ الشَّعِيرِ، يَعْلُوهُ الزَّبْدُ.

(٨) الْبَاقِلِيُّ: الْبَاقِلَاءُ، الْفُولُ.

(٩) الْفُودَنْجُ: فَارَسِيٌّ مَعْرَبٌ.

وَالسَّكَنْجِينُ^(١) المعمول بالسكر.

الْهَرِيسَةُ^(٢): تُؤْكَلُ بِالْفُلْفُلِ الْكَثِيرِ وَالْمُرِّي^(٣) وَلَا يُجْعَلُ فِيهَا السُّمْنُ.

وَالْمَضِيرَةُ^(٤): تُطَبَّخُ بِالْفُودَنْجِ وَالسُّدَابِ وَالْكَرْفَسِ.

الزَّيْتُ الرِّكَابِيُّ: إِذَا خُلِطَ بِالخَلِّ أَوْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ رُفِعَتْ رُغْوَتُهُ عَادَ كَالْمَغْسُولِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنْ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالزَّيْتِ، فَإِنْ خِفْتُمْ ضَرَرَهُ فَأَتَخَنُوهُ بِالمَاءِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ كَالسُّمْنِ.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ أَذْهَنُوا بِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْبَاسُورِ».

الْخَرْدَلُ: يُعْجَنُ بِالخَلِّ وَيُغْسَلُ بِالمَاءِ وَرَمَادِ الْبَلُوطِ أَوْ رَمَادِ الْكَرْمِ مِرَاراً بَعْدَ أَنْ يُنْعَمَ دَقُّهُ وَنَخْلُهُ، ثُمَّ يُغْسَلُ بِالمَاءِ الْقَرَّاحِ وَيُرَشَّ بِالمَاءِ حَتَّى تَخْرُجَ رُغْوَتُهُ وَيَكْثُرَ خَلُّهُ، وَيُخْلَطُ مَعَهُ اللَّوْزُ الْحُلُوُّ أَوْ مَاءُ الرِّمَانِ الْحَامِضِ وَمَاءُ الزَّرْبِيبِ.

صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي.

تَمَّ كِتَابُ الطَّعَامِ وَهُوَ الْكِتَابُ التَّاسِعُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ، وَيَتْلُوهُ فِي الْكِتَابِ الْعَاشِرِ كِتَابُ النِّسَاءِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

وَكُتِبَ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ

(١) السَّكَنْجِينُ: شَرَابٌ مِنْ خَلٍّ وَغَسَلٍ.

(٢) الهريسة: طعام من اللحم والقمح المدقوق.

(٣) المرِّي: الذي يؤتد به، ويسمى الكامخ، وأجوده المتخذ من الشعير.

(٤) المضيرة: اللحم المطبوخ باللبن الماضر أي الحامض.

الجزريّ الواعظ، في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية.

نجز كتاب الطعام ويتلوه في الجزء العاشر كتاب النساء.

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنه الأصل

الفتوغرافي ما يأتي :

قال الأصمعيّ: دخلتُ على هارونَ الرشيدِ وبين يديه بَدْرَةٌ^(١)، فقال: يا أصمعيّ، إن حَدَّثْتَنِي بِحَدِيثٍ فِي الْعَجْزِ^(٢) فَأُضَحِّكْتَنِي وَهَبْتُكَ هَذِهِ الْبَدْرَةَ؛ فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ بينا أنا في صَحَارَى الْأَعْرَابِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ وَإِذَا بِأَعْرَابِيٍّ قَاعِدٍ عَلَى أَجْمَةٍ^(٣) وَهُوَ عُرْيَانٌ، قَدْ أَحْتَمَلَتِ الرِّيحُ كِسَاءَهُ، فَأَلْقَتْهُ عَلَى الْأَجْمَةِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَعْرَابِيٍّ؛ مَا أَجْلَسَكَ هَاهُنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ؟ فقال: جَارِيَةٌ وَعَدْتُهَا يَقَالَ لَهَا سَلْمَى، أَنَا مُنْتَظَرٌ لَهَا؛ فَقُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَخِذِ كِسَائِكَ؟ فقال: الْعَجْزُ يَوْقُفُنِي عَنْ أَخْذِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَهَلْ قُلْتَ فِي سَلْمَى شَيْئًا؟ فقال: نعم؛ فَقُلْتُ: أَسْمَعُنِي لِلَّهِ أَبُوكَ؟ فقال: لَا أَسْمِعُكَ حَتَّى تَأْخُذَ كِسَائِي وَتُلْقِيَهُ عَلَيَّ؛ قَالَ: فَأَخَذْتُهُ فَأَلْقَيْتُهُ عَلَيْهِ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ: [وافر]

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلْمَى فَيَطْطَحَهَا وَيُلْقِيَنِي عَلَيْهَا
وَيَأْتِيَ بَعْدَ ذَاكَ سَحَابٌ مُزْنٌ تُطَهِّرُنَا وَلَا نَسْعَى إِلَيْهَا^(٤)

فضحك الرشيدُ حتى اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ، وَقَالَ: أَعْطَوْهُ الْبَدْرَةَ، فَأَخَذَهَا الْأَصْمَعِيُّ وَأَنْصَرَفَ.

ويُروى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا وَلِيَ الْمَدِينَةَ قَالَ لِابْنِ هَرْمَةَ: إِنِّي لَسْتُ

(١) البدرة: الكيس من الدراهم.

(٢) العَجْزُ: الضعف والتواكل.

(٣) الأجمة: مكانان فيه قصب، «أو هو التلة».

(٤) السَّحَابُ: الغيم، والمزن: المطر.

كَمَنْ بَاعَكَ دِينَهُ رَجَاءَ مَدْحِكَ أَوْ خَوْفَ ذَمِّكَ، فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ بُولَادَةَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ الْمَمَادِحَ وَجَنَّبَنِي الْمَقَابِحَ، وَإِنَّ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ أَلَّا أُغْضِيَ^(١) عَلَى تَقْصِيرٍ
فِي حَقِّ رَبِّهِ. وَأَنَا أَقْسِمُ لَنْ أُتَيْتُ بِكَ سَكْرَانٌ لِأَضْرِبَنَّكَ حَدًّا لِلْخَمْرِ وَحَدًّا
لِلسُّكْرِ^(٢)، وَلَأَزِيدَنَّ لِمَوْضِعِ حُرْمَتِكَ بِي. فَلْيَكُنْ تَرْكُكَ لَهَا لِلَّهِ تُعَنُّ عَلَيْهِ، وَلَا
تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فَتُوَكَّلَ إِلَيْهِمْ؛ فَهَئِذَا ابْنُ هَرْمَةَ^(٣) وَهُوَ يَقُولُ: [وَأَفْر]

نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمُدَامِ وَأَدَبَنِي بِآدَابِ الْكِرَامِ^(٤)
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرْ عَنْهَا وَدَعُهَا لَخَوْفِ اللَّهِ لَا خَوْفِ الْأَنْامِ
وَكَيْفَ تَضْطَبِرِي عَنْهَا وَحَبِّي لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي عِظَامِي
أَرَى طَيْبَ الْحَلَالِ عَلَيَّ خُبْثًا وَطَيْبَ النَّفْسِ فِي خُبْثِ الْحَرَامِ

ذَكَرَ هَذَا الْخَبِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ.

(١) أغضى طرفه: خفضه، هنا بمعنى أتغافل.

(٢) الحد في الخمر والسكر: الجلد.

(٣) ابن هرمة: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الكناني القرشي. أبو إسحاق. شاعر غزل
من سكان المدينة. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

(٤) المدام: الخمر.

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة

صفحة

كتاب الإخوان

٣	الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم
١٠	المودة بالتشاكل
١٣	باب المحبة
١٩	ما يجب للصديق على صديقه
٢٣	الإنصاف في المودة
٢٦	مداراة الناس وحسن الخلق والجوار
٣٠	التلاقي والزيارة
٣٤	المعاقبة والتجني
٣٨	باب الوداع
٤١	الهدايا
٥١	العيادة
٦٠	التعازي وما يتمثل به فيها
٧٧	التهاني
٨٤	باب شرار الإخوان
٩٦	باب القرباب والولد
١١٣	الاعتذار
١٢٢	عتب الإخوان والتباغض والعداوة
١٣٠	شماتة الأعداء

صفحة

كتاب الحوائج

١٣٥	استنتاج الحوائج
١٣٨	الإستنتاج بالرشوة والهدية
١٣٩	الإستنتاج بلطيف الكلام
١٤٩	من يعتمد في الحاجة ويستسعى فيها
١٥٣	الإجابة إلى الحاجة والرد عنها
١٦٣	المواعيد وتنجزها
١٧١	حال المسؤول عند السؤال
١٧٥	العادة من المعروف تُقطع
١٧٧	الشكر والثناء
١٩٤	الترغيب في قضاء الحاجة واصطناع المعروف
٢٠٤	القناعة والاستعفاف
٢١٣	الحرص والإلحاح

كتاب الطعام

٢١٩	صنوف الأطعمة
٢٣١	أخبار من أخبار العرب في مآكلهم ومشاربهم
٢٣٦	آداب الأكل والطعام
٢٤٥	الجوع والصوم
٢٤٧	أخبار من أخبار الأكلة
٢٥٧	باب الضيافة وأخبار البخل على الطعام
٢٨٧	باب القدر والجفان
٢٩٢	سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره
٢٩٥	باب الجمية
٢٩٦	باب شرب الدواء
٢٩٧	الحديث والحقنة والتخمة
٢٩٩	باب القيء

صفحة

٢٩٩	النَّكْهَة
٣٠٠	باب المياء والأشربة
٣٠٢	باب اللُّحمان وما شاكلها
٣٠٣	مضار الأطعمة ومنافعها
٣٠٥	البصل والثُّوم
٣٠٨	الكرّاث
٣٠٨	الكرنب والقنيط
٣٠٩	السلجم والفجل
٣١٠	الباذنجان
٣١٠	الخيار والقثاء
٣١٠	السُّلق
٣١٠	الهَلْيُون
٣١٠	القرع
٣١١	البقول
٣١٢	باب الجوب والبزور
٣١٣	باب الفاكهة
٣١٧	باب مصالح الطعام